

صَحِيحُ الْخَبَائِرِ
عَمَّا فِي بِلَادِ الْمَرْبِّ مِنَ الْأَشَارِ

لِلْجَزْءِ الْأَوَّلِ

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



صَحِيحُ الْاِخْبَارِ عَمَّا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الْاَشَارِ

تأليف

محمد بن الحسين بن محمد النجدي

تفضل بمراجعته وضبطه وكتابة بعض هوامشه وصنع فهرسه

محمد محي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الأول

مطبعة الشريعة الإسلامية

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسل الله ، وعلى آله وأصحابهم .

وبعد ، فهذا كتاب « صحيح الأخبار » الذي ألفه الأديب الفجدي البارع ، والنسابة الحافظ ، والمؤرخ الضليع : الشيخ محمد بن عبد الله آل بليهد . وغرضه من هذا التصنيف أن يدُل قراء العربية على المواطن التي عاش فيها شعراء العروبة وأدباؤها في عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام وتنفقوا بينها ، ، وتغنوا بذكرها ، وشاقتهم بمسارحها وملاعبها ومفاتها ، وكانت لهم فيها ذكريات وصبايات ، ثم يبين مواقع هذه البلاد الآن ، ويدكر ما بقي من أسمائها على حاله وما تغير من هذه الأسماء ، بعض التغير بتقديم بعض حروف الاسم على بعضها الآخر ، أو بإبدال حرف من حروف الاسم بحرف آخر ، وما نسي اسمه بقيةً وبُدِّلَ تبديلاً كلياً ، وهو في ذلك يحدث عن عيان ومشاهدة ، أو يخبر عن عيان وشاهد ، فلا غرو إذا وجدته يحدد لك مواقع هذه البلاد والوديان والجبال والآكام تحديداً غير الذي تجده في معاجم البلدان من أمثال معجم ياقوت ومعجم أبي عبيد البكري وصفة جزيرة العرب للهمداني ؛ لأن من يحدث عن كتاب أو رواية غير من يحدث عن رؤية ، وقديماً قالوا : فما راء كمن سمعا .

وقد كان من سوانف الأفضية أن رغب إلى الأستاذ في مراجعة هذا الكتاب والتوفر على تحقيقه ، فسرني ذلك سروراً عظيماً ؛ لأنني قدرتُ ما يمكن أن أدركه من فائدة إذا أنا تعرفت إلى هذه الأماكن التي شغلت جزءاً ليس بالقليل من نصوص الأدب العربي شعره ونثره ، والتي كانت مسارح الظباء ، وملاعب الغزلان ، وملقئ الأبطال ، في حومات النزال ، ومُعقر جبهات الصناديد ، ومصارع الحكمة الصيِّد ، وفيها ثوى أجداد لنا وأجداد ، كانوا ذوي حظوظ من كريم الخيم وأجداد ، وذكرتُ - مع هذا - أنني سأحظى حين أراجع هذا الكتاب بالكشف عن أماكن ظهرت فيها الدعوة الإسلامية أول ما ظهرت ، وجرى ذكر الكثير منها في سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه الطيبين الطاهرين ، في تنقلاتهم ومغازيهم ، وفي بيان مراقدهم التي ثووا فيها ، وفي غير هذا وذاك من أخبارهم ، وسأحظى بمعرفة مساكن قبائل العرب المختلفة ومعرفة مواطن هجرتهم وانتقالاتهم ، وفي ذلك كله ما يهون في مثله التعب ، ويقل في الحصول عليه البذل .

وتلقت هذه الرغبة الصادرة من الأستاذ المؤلف بالقبول - على ما عندي من الشواغل - وجعلت لهذا الكتاب جزءاً من وقتي أصرفه في مراجعته ، ولستكني ما بدأت فيه حتي رأيتني أنصرف إليه وأنفرغ له ، ورأيتني لأضن عليه بالانصراف التام إليه ، ذلك لأنه صادف مني رغبة في دراسته وحرصاً على تحصيل فوائده ، ورأيتني كلما ازددت له تفرغاً ازددت به ولوعاً وشغفاً ، وكلما اقتنصت منه فائدة قابلتني منه فوائد أعظم أثراً وأجلّ قدراً ، فلم أندم على وقت ضاع في مراجعته .

رأيت الأستاذ المصنف قد أحاط خبراً بمواقع الأماكن في البلاد العربية ، وقد عرف ما كان لها من أسماء وما صار لها اليوم من أسماء ، ورأيت أنه قد أحاط خبراً بسكان كل ناحية من عرب الجاهلية وصدر الإسلام ومن أبنائهم عرب هذه الأيام ، ورأيت أنه - مع ذلك - قد حفظ الكثير من أخبارهم وآثارهم ، وعرف الكثير من وقائعهم وملاحمهم ، ورأيت أنه يذكر من ذلك كله ما تدعو للناسبة إليه ، ويكرر ذلك كلما عرضت داعية له ، وعذره في هذا التكرار تداعي المعاني إلى ذهنه ، وتوارد المعلومات بعضها إثر بعض حتى إنه ليحتمل فيما يأخذ منها وما يدع ، ورأيت أنه يرد الكثير مما ذكره البكري والهمداني وياقوت وينص على خطئهم ، ويعلل لما يذهب إليه تعليلاً صحيحاً أو قريباً من الصحيح .

وإن يكن لي على الأستاذ المؤلف من عتب أو نقد ، فذلك أنه لم يستوعب الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام بالبحث والتدقيق ، أو المعروف من الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ؛ فقد بحث دواوين امرئ القيس وزهير والنابغة ، فلما أراد أن يتعرض لغير هؤلاء الثلاثة اكتفى بمعلقة كل واحد من العشرة ، ثم بشعر قليل من غير هؤلاء العشرة ، وقد كان خليقاً أن يبحث كل ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان لبيد ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان طرفة ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان الحارث بن حنظلة ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان عمرو بن كلثوم القفلي ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان عنتر بن شداد العبسي ، وقد كان خليقاً بأن يبحث كل ديوان عبيد بن الأبرص . ودواوين كل هؤلاء الفحول مطبوعة طبعاً متقناً يستطيع أن يطمئن إليه . ولئن ساغ له أن يهمل بعض هذه الدواوين فلنسنا نستطيع أن نغضى علي إغفال بعض ديوان الأعشى الذي طوف وجال ، وتنقل في بلاد كثيرة من بلاد العرب وغير بلاد العرب . ثم لماذا يكفني هو بالعشرة ؟ ولماذا نكتفي منه نحن بهؤلاء العشرة ؟ ألا يقرأ الناس شعر غير هؤلاء العشرة ؟ ألا يقرأون دواوين كثيرة مما طبع

وعما لم يطبع ؟ أين شعر الشنفرى وشعر سلامة بن جندل وشعر عامر بن الطفيل وشعر الهذليين ؟ لقد طبع شعر هؤلاء أيضاً طبعاً متقناً وبعضه طبع أخيراً في مصر : وغير هؤلاء الشعراء ! ألم تكن لهم ملاعب ومسارح ؟ ألم تكن لهم قبائل يتغنون بأيامها ؟ ومن يحدثنا عن ملاعب هؤلاء الشعراء ومسارح لهم ؟ ومن يحدثنا عن ملاعب غير هؤلاء الشعراء وملاهيهم ؟ وظنى أن مؤلف كتاب « صحيح الأخبار » سيعود إلى البحث والتدقيق مرة أخرى . وأنه سيجشم نفسه الأسفار واليقفل في بلاد العرب حتى يستدرك ما فاتته فتكون منتبه على قراء الأدب العربي أعظم وأجل . وظنى أنه لن يسوف في ذلك . بل لعله مبتدئ في هذه التكملة قبل أن يفرغ الناس من قراءة صحيح الأخبار ، فقد يكون معذورا في عدم التعرض لشعر مَنْ ذكرنا وَمَنْ لم نذكر لأن هذه الدواوين نادرة الوجود ، ولأن كثيرا من قراء الشعر العربي لم يروها . وقد يكون رأى الاكتفاء بما رواه صاحب الأغاني ، وقد يكون معذورا لغير هذا الذى تلهسناه له من عذر ، ولكنه وقد وجهنا نظره إلى ذلك لن يألو جهدا في الحصول على هذه الدواوين وغيرها إن لم يكن قد حصل عليها من قبل - ثم لن يدخر وسعا في استئناف الجهد واستكمال البحث .

وشئ آخر : كنت أحب ألا يخلو الكتاب منه . ذلك أنى كنت أحب أن يذيل الكتاب بشرح ماورد فيه من غريب الشعر ؛ فليس كل قراء هذا الكتاب ممن لا يحتاج إلى شرح غريبه وبيان مقصود الشعراء من كلامهم . وليس كل قراء الكتاب ممن لهم صبر وجلد على المراجعة والبحث . ولكن هذا أسهل من سابقه ، وإدراكه في الجملة مما لا يشق على كثير من الناس . فلنتجاوز للأستاذ الشيخ محمد آل بليهد عن هذين الأمرين ؛ إذ كان فيما أتى به ما يدعونا إلى التجاوز عنهما ويكفيه فخراً أنه قام من هذه الناحية بما كان يجب على كل متأدب أن يقوم به ؛ فلم يقصر كما قصر جمهرة المتأدبين ، والله يجزيه أحسن الجزاء .

كتبه المعتز بالله تعالى
محمد محيى الدين عبد الحميد

مصر الجديدة { ١٣ من شهر شوال ١٣٧٠
١٦ من أغسطس ١٩٥١

أَحْمَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمَائِهِ ، وَأَصْلَى وَأَسْلَمَ عَلَى خَاتِمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحِبَّائِهِ .
أما بعد ؛ فإن الدوافع التي أثارت همتي إلى تصنيف هذا الكتاب ، والاصطبار على ما بذلت
من جَهْدٍ في تحقيق مباحثه ، واحتمال العناء المُضْنَى والنَّصَبَ المَبْرَحَ في سبيله ؛ ترجع إلى
ثلاثة أمور :

أولها : أنه قد كان من سَوَافِ الأَقْضِيَةِ أَنْ سَافَرَ مَوْلَايَ حَضْرَةُ صَاحِبِ السُّمُو المَلِكِي الأَمِيرُ
المُعْظَمُ فيصِلُ آلَ سَعُودِ نَائِبُ مَوْلَايَ حَضْرَةِ صَاحِبِ الجَلَالَةِ المَلِكِ المُعْظَمِ عَبْدِ العَزِيزِ آلِ سَعُودِ
ووزير خارجية المَمْلَكَةِ السَّعُودِيَةِ ، إِلَى أَمْرِيكََا لِحُضُورِ مُؤْتَمَرِ سَانِ فِرَانْسِيْسْ كُو فِي عَامِ ١٩٤٥ المِيلَادِي
وهناك تشرف بالسَّلامِ عَلَى سَمُوهِ كَثِيرٍ مِنْ رِجَالِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ فِي المَهْجَرِ ، وَلَمَّا آتَسَا مِنْ
سَمُوهِ صِفَاتِ العَرَبِيِّ النَبِيلِ والحِرْصِ الشَّدِيدِ عَلَى مَفَاخِرِ العَرَبِ وَمَا تَرَمُّ أَبَدُوا السَّمُوهُ - حَفَظَهُ اللَّهُ ! -
مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ حَاجَةٍ مُلِحَّةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا وَرَدَ فِي الأَشْعَارِ الجَاهِلِيَّةِ - وَخَاصَّةً المَعْلَمَاتِ - مِنْ
الأَوْدِيَةِ والجِبَالِ والمِيَاءِ والقُلُوبِ والرَّمَالِ والرياضِ والبُلْدَانِ العَامِرَةِ والدارسة ، وَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَى
يَوْمِ النَّاسِ هَذَا عَلَى اسْمِهِ الأَوَّلِ ، وَمَا اعْتَرَى اسْمَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّغْيِيرِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ فِي هَذِهِ المَعْرِفَةِ
عَوْنًا لِلأَدِيبِ الَّذِي يَقْمَرُّ بِدِرَاسَةِ آثَارِ أُولَئِكَ الشُعْرَاءِ الخَالِدَةِ آثَارُهُمْ ، البَاقِيَةِ عَلَى الدَّهْرِ أَسْمَاؤُهُمْ .
وَإِنَّمَا دَعَا إِلَى إِبْدَاءِ هَذِهِ الرِّغْبَةِ مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ أَنَّ دِرَاسَةَ البَيْئَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا
الشَّاعِرُ أَوْ الأَدِيبُ أَحَدُ العَوَامِلِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى فَهْمِ شَخْصِيَّتِهِ ، وَعَلَى تَلَهُسِ بَعْضِ دَوَاعِي القَوْلِ
الَّذِي فَاضَ عَلَى لِسَانِهِ ، نَحْمَاقِدُ يَجْرُ ذَلِكَ - إِذَا مَا تَوَغَّلَ البَاحِثُونَ فِي الاسْتِقْصَاءِ وَالتَّبَعِ - مِنْ مَعْرِفَةِ
شَيْءٍ مِنْ خِصَائِصِ لُغَاتِ القَبَائِلِ المُخْتَلِفَةِ وَلَهْجَاتِهَا ، فَإِنْ لَمْ يُوَدَّ هَذَا إِلَى تَمْيِيزِ تَامٍ بَيْنَ لُغَاتِ القَبَائِلِ
فَقَدْ يُوْدَى إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّمْيِيزِ يَهْوُنُ فِي سَبِيلِهِ بَذْلُ الجُهِدِ وَالوَقْتُ وَالْمَالُ ، وَإِنْ بَدَأَ اليَوْمَ هَذَا بَعِيدَ
الْمَنَالِ فَيُظْهِرُ بِتَتَابُعِ الجُهِودِ مَيَسُورًا قَرِيبَ النِّجَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَسِرْ بِأَدَى الأَمْرِ التَّمْيِيزِ
بَيْنَ لُغَاتِ القَبَائِلِ المُخْتَلِفَةِ فِي مُفْرَدَاتِهَا وَتَرَكَهَا جَمِيعًا فَلَنْ يَعمِدَ البَاحِثُ الدَائِبُ الظُّفَرُ بِأَحَدِ
هَؤُلَاءِ ، وَلَوْ أَنَّ عُلَمَاءَنَا الأَوَائِلَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ ! - قَدْ جَعَلُوا بَعْضَ عَنَائِهِمْ مَصْرُوفًا إِلَى بَيَانِ مَا كَانَ
مِنَ المُفْرَدَاتِ مِنْ لُغَةٍ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ لَكَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ وَأَدْنَى إِلَى اليُسْرِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

يشافهون القبائل العربية في مساكنها ؛ ولو أنهم فعلوا لسكانوا قد أسدوا يداً إلى العربية مشكورة ،
ولكننا قد حصلنا على مغنم أى مغنم ، ولسكنهم لم يبالوا ذلك ولم يحفلوا به ؛ إذ كان أعظم وكدم
أن يجمعوا المفردات العربية ، غير عابئين بمن تكلم بها ، فاجتمع لنا تراث عظيم ، لكنه كربات
اللؤلؤ الغالية القيمة ، لا يضمها نظام ، ولا يؤلف بين ما تشابه منها ثم يفخذه فيميزه أنواعاً وفصائل
عرفان جوهري بارع ، وليس من المعقول عند أحد أن تكون هذه السكثرة الفائقة الحد من
المترادفات والأضداد ، وهذه الأنواع الكثيرة من الاشتقاق والقلب والإبدال من لغة قبيلة واحدة .
والله سبحانه المستعان .

ومن النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى مجهولة تلك الأما كن التي انطلقت فيها قرائح
أولئك الشعراء ، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء التي سبحت فيها أخيلتهم ، وسلس لهم فيها قياد
القول ، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم ، هذه الأما كن التي تكون
البيئة الطبيعية التي درج فيها العربي الأول : يُنغم كُشبانها ، ويضرب في صحاريها الفسيحة ،
ويستظل بسماها الصافية ، ويهتدى بنجومها الزاهرة ، راضياً بذلك ، قري العين به ، صابراً على
ما يكابد من شظف العيش وقلة وجوه الاكتساب ، مكثفياً بأنه يعيش في منازل آبائه وأجداده وفيها
مجالس أنسهم ، ومسارح لهوهم ، ومُعترك حروبهم ، وفيها نواديهم التي كانوا يتنافرون فيها
ويتفاخرون .

من النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأما كن مجهولة ، وما فيها مكان إلا له
ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم ، وتبعث في نفسه ألواناً من البطولة والمغامرة والإقدام ؛ لأنها
تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم ، والعرب هم أولئك الذين نزل كتاب الله تعالى
بلغتهم ، وُبعث أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، فطافوا بأرجاء العالم المعروف لهم
يوماً ، يحملون مشاعل النور رسلاً للإنسانية ، وزعماء للإصلاح في مختلف نواحي الحياة ، بما أوحى
إليهم دينهم وما حباهم الله به من فطرة صافية ، ومنطق عذب ، وقوة دائبة يُباركها الإخلاص
في نشر ذلك المبدأ السامى العظيم ، حتى دانت لهم المشارق والمغارب ، وأحدثوا ذلك التطور الخطير
المفاجئ ، في العقيدة ، والتفكير ، والاجتماع . قال عطاء بن أبي رباح فقيه الحجاز ، لما وفد على
سليمان بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ، إن أهل الحجاز ونجد هم أصل العرب ، ومادة الإسلام ،

دَوَّخُوا الجبابرة ، وفتحوا الأمصار ، وأعز الله بهم الإسلام ، وأحب أن تضع صدقاتهم في فقراهم » فأعطاه ذلك .

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة على ما وصلت إليه الأمم من تقدم في الصناعة ، والذوق ، ومقاييس الحياة ، فيجدُر بنا أن ننقب عن البيئات الطبيعية - بقدر الإمكان - بل نُشاهد عياناً - إذا استطعنا ذلك - لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور ، ولنكشف تلك المساتير المغلفة ؛ فلا تظل مطوية على تعاقب الأجيال ، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيعابها ثروة فكرية لا يقدر قدرها ، ومثل علماء الفكر كمثّل علماء الطبيعة والاقتصاد ، يجد كل واحد منهما بغيته في بحثها ، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر وقد اكتشف في أحشائها من معادن مطمورة لقيت إليها الأنظار بعد أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام .

وقد استجاب مولاي سمو الأمير فيصل لرغبة أولئك الأدباء المهجريين ، فأمر - حفظه الله ! - أن أكتب في هذا الموضوع - على صعوبته - مبيناً كل ماء ، أو جبل ، أو وادٍ ، أو كتيب ، وأبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم ، وما تغير اسمه ؛ لكثرة تجوالى في نجد ، ودراسى معالمها وآثارها دراسة وافية ، وفي المثل السائر « قَتَلَ كُلُّ أَرْضٍ خَيْرُهَا » .

على أي لم أكتف بمعلوماتي الخاصة ، فقد أنشأت أسفاراً جديدة ؛ حباً في الوقوف على الحقيقة ، إلى بلاد مختلفة منها « الشعراء » وهى بلدة متوسطة في عالية نجد ، يختلف إليها الأعراب من كل ناحية . وبلغ بى الأمر - إذا اشتبه على موضع لم أذهب إليه - أن أرسل بعض الأعراب الذين يعرفون البقاع في بلاد العرب إلى المكان الذى أنحى وجوده فيه ، ليجتثوا عنه ويأتونى بالخبر ، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبههم . وأضرب لذلك مثلاً واحداً ، فقد أشكل على اسم « رَاكِس » هل هو باقى بهذا الاسم أو دارس ؟ لأنه مقرون فى بعض الأشعار « بِرَحْرِ حَانَ » ورحر حان معروف بهذا الاسم إلى عصرنا هذا ، فطلبت من بعض الأعراب أن يبيحث عن ذلك ، وحددت له الأرض التى تحررت وجوده فيها ؛ فركب راحلته ، وبعد شهر من ذلك وصل إلى فأخبرنى أنه وجد جبلاً أسود ، قرب وادى الرمة - كما حدت في هذا الكتاب - وحوله كتيب من الرمل يقال له الآن « أبرق راكس » والأبرق هو كتيب الرمل ، ورا كس : هو الجبل .

الأمر الثانى : أنى رأيت كثيراً من الباحثين فى الأدب والتاريخ - حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب - يخطئون فى تحديد بعض تلك المواضع . وعذرتهم فى ذلك واضح ؛

لأنهم يُعوّلون على المعاجم العربية القديمة ، وتلك المعاجم - مع احترامي لمؤلفيها ، واعترافي بفضلهم - لا تخلو من نقص ؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عن مُشاهدة ، بل عن نقل . ويستثنى من ذلك :

- ١ - الأصمعي في كتابه (مياها جزيرة العرب) وهو كتاب مخطوط ، يوجد منه - فيما بلغني - نسختان : إحداها لدى الأستاذ « رشدي ملحس » والثانية في مكتبة الشيخ « محمود الألوسي » رحمه الله !
- ٢ - رسالة عرام بن الأصمعي السلمي الأعرابي « جبال تهامة ومحالها » التي رواها عنه أبو الأشعث الكندي . وقد نقل عنها أبو عبيد عبد الله البكري في « معجم ما استعجم » كما نقل عنها ياقوت الحموي شيئاً كثيراً ، وتوجد قطعة من أصل تلك الرسالة في إحدى مكاتب الهند ، استنسخ منها فضيلة الشيخ « محمد نصيف » نسخة ، وقد شرع في طبعها الآن ، كما ذكر لي فضيلته .
- ٣ - كتاب محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي عن نجد ، وهو كتاب تدل النقول التي نقلها عنه ياقوت على تحقيق ، ومعرفة جيدة ، ولم أطلع على أصل هذا الكتاب ، ولا عثرت له على ذكر في المكاتب .

- ٤ - كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، وهو كتاب جليل القدر ، مفيد جداً ، ولا سيما في ذكر اللواضع الجنوبية من الجزيرة ، وقد طبع الكتاب بمدينة بريل سنة ١٨٩١ م في مجلد . أضاف إليه طابعه المستشرق ملر Müller مجلداً ثانياً لفهارسه وغيرها .
- وأما بقية المعاجم العربية - كمعجم البلدان ، ومعجم أبي عبيد البكري ، وأمثالها - فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت في النقل منها .

وإنك لترى العجب العاجب حين ترى ما وقع فيه بعض رجال الأدب العربي وتاريخ الحضارة العربية من أغاليط ، سببها الثقة البالغة بما سطره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع ، ولـكم تملكني العجب - كما تملك غيري - عندما قرأت مقدمة كتاب « محاضرات الأمم الإسلامية » الذي دبّجه راع الأستاذ محمد الخضري بك - رحمه الله تعالى ! - وكتاب « تاريخ الإسلام السياسي » الذي وضعه الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بك ، والباحثين الطريفيين اللذين كتبهما الدكتور محمد صبري بك عن امرئ القيس وذى الرمة ، وكتاب « مهد العرب » الذي صنّفه الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وغير هذه الكتب مما يقوّر على إخراجه جماعة من زعماء الأدباء والمؤرخين .

والأمر الثالث : أن قوماً ممن أشرب الله قلوبهم حبَّ العرب والعربية ما فتئوا يُغيِّروْنَ اهتمامي لهذا البحث ، ويتقاضونني الانقطاع له ، ومن هؤلاء الأماثل الأستاذ الفاضل « رشدي ملحس » فلقد كتب إلي كتاباً يقول فيه « يهمني جداً معرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقات العشر . وقد عنيت لأجل ذلك بجمع ما تيسر تحقيقه ، وبما أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث ، وأن تكتب إلي مطولاً عما لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن ، مع بيان حدود كل منها ، وتعريفها تعريفاً وافياً » . وأرفقَ كتابه هذا بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه من بقاع وجبال ومياه ، ووضع كل لفظ بين قوسين ، فبعثت إليه بما عندي من المعلومات عن ذلك .

وقد رأيت يومئذ أن من الخير أن أشرك القراء معنا في هذا البحث الذي أعتقد أن كل دارس للأدب العربي - وللشعر الجاهلي منه بصفة خاصة - لا يستغني عنه ، فنشرت فصولاً من هذا البحث في جريدة « البلاد السعودية » الغراء التي تصدر بمكة المكرمة ، وفي أثناء تلك المدة التي نشرت فيها تلك الفصول وصلني كتاب من الأستاذ الكبير المرحوم جميل داود المسلمي المستشار للوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن قال فيه : بعد السلام « اطلَّعتُ في جريدة البلاد السعودية على تلك الفصول الممتعة التي تناولتم فيها بالبحث المواضع الواردة في المعلقات ، وأرجو موالاة هذه البحوث النافعة ، فقد تهافت علينا كثير من المستشرقين وأدباء العرب الموجودين في لندن ، وسألونا : هل يجمع أمثال هذه البحوث كتاب مصنف ؟ فإن عزمتم على تأليف كتاب على هذا النمط فأنا أول من يساهم في طبع ذلك الكتاب » .

ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بطبعه على نفقته ، فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يداً كبيرة ، كشأن معاليه في المسارعة إلى كل مشروع نافع ، حفظ الله معاليه رائداً لنهضة البلاد ، وساعداً آمين للعاملين في شتى ميادين الإصلاح ! .

وها أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير - بعد أن تَوَقَّرتُ على كتابته سنين طَوَّالاً - وأرجو أن أكون بهذا العمل قد سَدَدْتُ خَللاً كان ينبغي أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل ، فأكون بذلك قد أسديتُ إلى قومي اليد التي طالما تطلَّعوا إلى من يُسَدِّدها إليهم . والله سبحانه المسئول أن يجعل هذا العمل نافعا ، وأن يكتبه لنا في سجل الحسنات ، آمين

تصريح

بذكر الأماكن التي طاف بها أصحاب المعلقات

من المعروف أن العربي الأول لم يكن يميل إلى استيطان موضع مُعَيَّن ؛ فقد اضطرتّه عوامل التكوين ، ومطالبُ العيش ، وظروفُ الحياة ، إلى أن ينزح من مكان إلى آخر انتجاعاً لمواقع القطر ، ومنابت السكّال ؛ لأنّ عليها مدّارَ معاشه . والشاعر بصفةٍ خاصة من أكثر العرب تنقلاً في البلاد ، فقد دأب أكثر الشعراء على أن يقدّ على الملوك وسادات القبائل ، مادحاً ومستجدياً ، لما للشاعر من مكانة في نفوسهم ، وما يلقاه عندهم من الترحيب وجزيل المواهب .

وإذا كان موضوع بحثنا في الجزء الأول من هذا السكتاب بيان المواضع الواردة في المعلقات فسنلح هنا موجزين إلى منازل أصحابها ، وإلى الأماكن التي طافوا بها في حياتهم ، ليقف القارئ قبل كل شيء - على إشارة عن منازلهم ، وتنقلاتهم ، تمهيداً للفصول التالية .

١ - امرؤ القيس

بلدته « ذوجرة » قرية بمخلاف « السكاسك » في اليمن ، وهو رجل كان كثير التنقل في أول شبابه ، ولذلك ورد في شعره كثير من أسماء المواضع في مختلف أنحاء الجزيرة ؛ فذكر مواضع من حضر موت ، كدثمون وعندل ، ومواقع في شمال نجد كأسييس والطها وتيماء السمّوئل ، ومواقع في عالية نجد الشمالية ، كمنعج وعاقيل ، ومواقع في عالية نجد الجنوبية ، كالذخول وحومل وتوضيح والمقرّة .

ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة في القصيدة الواحدة . بل في البيت الواحد وقد وفد على قيصصر ملك الروم ، وهو يقول في هذه الرحلة :

بَكى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقَنَ أَنَا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَ
وإذا كان الحديث يجر بعضه بعضاً فإني أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير من الباحثين

في المواضع ، وهو الاعتقاد بأن بلد الشاعر صاحب هذه المعلقة هي « مَراة » المعروفة في الوشم^(١) وأول من علمته وقع في هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة « أم القرى » منذ ثلاث وعشرين سنة تقريراً رحلة بعنوان « الرحلة السلطانية » . ثم أتى كاتب آخر فنشر رحلة أخرى في جريدة « صوت الحجاز » في سنتها الأولى ، قال فيها إن « مَراة » هي « المقرأة » التي وردت في شعر امرئ القيس ، ثم جاء كاتب ثالث فقال في كتاب مطبوع معروف : إن امرأ القيس ولد في « مَراة » وآخر من علمته وقع في ذلك الخطأ : الأستاذ أحمد حسين في كتابه « مشاهداتي في جزيرة العرب » ومنشأ هذا الخطأ : أن « مَراة » قد نسبت في بعض مؤلفات القدامى إلى امرئ القيس ، ولكن اسم امرئ القيس اسم شائع في العهد الجاهلي ، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم ، وللأستاذ حسن السندوبي بحث ممتع عن « المَراقة » طبعه مع ديوان امرئ القيس ، وفي « المزهر » للسيوطي و « شعراء النصرانية » لليسوعى تفصيل عنهم . والذي وقع في مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح . ولكن امرأ القيس الذي تنسب إليه « مَراة » ليس هو امرؤ القيس بن حُجر الكندي ، صاحب المعلقة ؛ فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر « امرئ القيس » وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم ، و تميم هم سكان الوشم^(١) في العهد القديم . فمَراة لبني امرئ القيس ، وثرمداء لبني سعد ، وأثيفية لبني يربوع من بني حفظة الذين منهم بلال الشاعر ، وذات غسل لبني العنبر . و امرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مَراة المعروفة في بلاد الوشم .

٢ - زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْمَزَنِيُّ

ولد في بلاد قومه « مَزِينَة » من نواحي المدينة ، وخرجت به أمه بعد وفاة أبيه - وكان صغيراً إذ ذاك - إلى بلاد قومها بني عبد الله بن غطفان ، ونشأ فيها ، وتفتحت شاعريته على مراتع المَها من رُبَا نجد ، وقد أطنب في مدح رؤسائهم ، كهرم بن سنان والحارث بن عوف . وطبعي أن يكثر في قصائده ذكر المواطن التي نشأ فيها من بلاد غطفان ، وهي من

(١) الوشم - بفتح فسكون - موضع في اليمامة يشتمل على قرى من أشهرها : مَراة ، وثرمداء ، وأثيفية ، وذات غسل ، وهي بلد المصنف ، ونسبه في بني خالد . وستذكر قريباً .

القَصِيم إلى قرب المدينة ، فمن ذلك : غَمَارٌ ، والمَرْوَرَة ، وَنَخْلٌ ، والرَّسُّ ، والرَّسِيسُ ، والقَصِيمُ ، وَجُرْثُمٌ ، والمُتَمَثِّلُ ، والرَّقَمَتَانِ ، وغيرها مما ذكرناه مفصلاً عند دراسة أثر الشاعر .
قال أحد الشعراء يهجو زهيراً^(١) .

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ قُدْسٍ وَآرَةٍ أَحَلَّتْكَ عَبْدُ اللَّهِ أَكْنَافَ مُبْهَلٍ
أما « قُدْسٌ »^(٢) وآرَة » فهما في بلاد مُزَيْنَة قرب المدينة يُعرفان بهذا الاسم إلى عهدنا هذا .
وأما مُبْهَلٌ فهو وادٍ في بلاد غطفان يَصُبُّ في الجهة الجنوبية من وادي الرِّمَة .

* * *

٣ - طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِ

وُلِدَ في شمال الجزيرة في بلاد ربيعة - وهي من العراق إلى خَيْبَر - وأكثَر إقامته فيها ، وقد أَكثَر التجوال في بقاع نجد ، وذكر في معلقته المشهورة بقاعاً مترامية الأطراف : منها دِجْلَة في شرق الجزيرة ، وَحَوْمَلٌ في غربها ، وَتَهْمَدُ قرب نَفْيٍ في وسط نجد ، وَضَرْغَدٌ الذي يسمي اليوم ضَرْغَطٍ يقع بين بلاد بني أسد وبين بلاد طى في شمالي نجد الغربي ، ودَدٌ في نواحي البحرين ووفد على عمرو بن هند^(٣) ملك الحيرة من قبل كسرى ، وَحَظِيٌّ بالقرب منه ، ولَسَكَنَه مَلٌّ حياته الرتيبة ، على ما فيها من مَنَاعِم الحياة ، فهجاء هجاءً كثيراً منه قوله :
فليت لنا مكان الملك عَمْرٍو رَغَوْتًا حَوْلَ قَبْتِنَا تَحْوَرُ^(٤)

(١) البيت لمزرد بن ضرار الغطفاني يهجو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني .

(٢) قدس : بضم فسكون ، وآرَة : بهمزة فألف فراء مهملة مفتوحة ، وفيهما يقول البعيث الجهني ، وهو يدل على أنهما من مساكن مزينة :

ونحن وقعنا في مزينة وقعة غداة التقينا بين غيق وعيها
ونحن جليبا يوم قدس وآرَة قنابل خيل تترك الجبوا أقمتا
ووقع في معجم ياقوت « يوم قدس أواره » محرفاً ، فإن أواره من بلاد تميم في اليمامة ، وأين غانة من فرغانة ؟

(٣) هند أم عمرو : هي بنت الحارث بن عمرو القصور بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور ، وهي عممة امرئ القيس بن حجر الكندي

(٤) الرغوث - بفتح الراء - كل مرضع ، وقيل : الرضع من النعاج خاصة ، وربما استعملت في النوق ، وتحور : تصوت ، وأصل الحوار - بضم الحاء ، وفتح الواو مخففة - صوت البقر خاصة ، وربما استعمل في الإبل وغيرها .

وانتهى الأمر بقتله على يد (المكعب) عامل عمرو بن هند على البحرين فانتصر له ابن عمه عمرو بن كلثوم ، فقتل عمرو بن هند .

٤ - لبید بن ربیعة العامريُّ

وُلد في عالية نجد ، وكان كثير التجوال فيها في جاهليته ، وبعد إسلامه ، وله أشعار كثيرة ذكر فيها بقاءً كثيرة : كَمَيَّ ، وَغَوْل ، وَرِجَام ، وَتَدُوم ، وَوَجْرَة ، وهى مواضع في عالية نجد ، وكَشِيب جَبَلَة في وسط نجد ، قال لبید :

* ونحن غداة الشَّيب حين تحالفت - البيت *

وفي هذا الشَّيب يومٌ من أيام العرب انتصرت فيه بنو عامر على بنى أسد وبنى ذبيان وبنى تميم ، وقتل في ذلك اليوم لقيط بن زُرارة سيدُ بنى تميم ^(١) :
ومن المواضع التي ورد ذكرها في شعره بيشة ^(٢) وتبالة في جنوبي الحجاز .
وقد وفد على النعمان بن المنذر في الحيرة - وهو غلام - مع رؤساء بنى عامر ، ونزل الكوفة بعد إسلامه .

٥ - عمرو بن كلثوم التغلبيُّ

هو صاحب المعلقة المشهورة ، وأحدُ فتاك العرب ، ولد في بلاد قومه بنى تغلب في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربیعة . وَتَجَوَّل في تلك الناحية وفي الشَّام والعراق ونجد . ويدل على ذلك ما ذكره في مُعلَّقته من الأماكن كدمشق وبعليبك وقاصرين . وهذه الأماكن الثلاثة قريبٌ بعضها من بعض ، وقد ذكر اليمامة ، وهى الجبل المشهور : طرفه الشمالي قرب الغاط البلد

(١) انظر حديث يوم جبلة في تاريخ ابن الأثير ٢٤٣/١ بولاق ، وفي معجم أبى عبيد البكرى ٣٦٥/٢ وفي معجم ياقوت ٥٢/٣ ويسمى أيضا «يوم تعطيش النوق» وكان في العام الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) بين تبالة وبيشة يوم واحد ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، وإليها ينسب أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي ، سمع منه أبو حاتم الرازى .

المشهور ، وطَرَفُهُ الجنوبي قرب وادى الدواسر ، ويقع فى الجهة الشرقية من نجد ، وقد حَدَّثَتْه فى كتابنا هذا تحديداً شافياً على شرح هذا البيت :

فَأَعْرَضَتْ الْيَمَامَةَ وَأَشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضْلِتَيْنَا

وقد ذكر خَزَاز ، وأشار فى ذكره إلى إيقاد ربيعة النار فى رأس ذلك الجبل ، وهو فى عالية نجد ، وكان به يوم من أيام العرب بين العدنانيين واليمانية^(١) ، وهو أول يوم هَزَمَتْ فيه العدنانية اليمن ، ثم ذكر وراط ، وهو من أودية سُدير الواقع فى اليمامة ، وذكر ذا طُلُوح الذى يقال له اليوم « الطايحي » ، وذكر الشامات ، وهى : أَكْثَبَةُ بَيْضُ يقال لها اليوم « شَامَاتُ زَرُود » تقع فى شمالى زَرُود فى شمالى نجد .

وقد وَفَدَ على عمرو بن هِنْدٍ مع رؤساء قومه بَنِي تَغْلِبَ .

* * *

٦ — عَنْتَرَةُ بن شَدَّادِ الْعَبْسِيُّ

وُلِدَ فى بلاد قومه غَطَفَانَ ، وهى — كما ذكرنا عند كلامنا على زُهَيْر — من القَصِيمِ إلى قرب المدينة غرباً ، يَحُدُّهَا من جهة الشمال بلادُ بَنِي أَسَدَ ، ومن جهة الجنوب بلاد بَنِي عامر بن صَعَصَعَةَ .

وقد طاف فى جميع أنحاء نجد ، وذكر فى قصيدته مواضع بعيداً بعضها من بعض كالجِوَاءِ الواقع غربىَّ القَصِيمِ ، والحِزْنُ الذى يقال له اليوم « الحِزْلُ » شرق الدَّهْنَاءِ ، وذكر الصَّمَانُ ؛ وهو شرق الدهناء ، والمُتَمَتِّلُ : جبل قرب الجِوَاءِ ؛ وذكر عُنَيْزَتَيْنِ^(٢) ، وهى بلدة « عنيزة » الآن ؛

(١) انظر بعض خبر يوم خزاز فى معجم أبى عبيد البكرى ٤٩٦/٢ ومعجم ياقوت ٤٢٩/٣ وفى تاريخ ابن الأثير ٢١٣ / ١ قالوا « ولولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز » .

(٢) من عادة شعراء العرب أن يثنوا اسم البلد أو يجمعوه ، ويريدون بالثنائية جانبيه ، ويريدون بالجمع عدة أجزائه ، وذلك كثير فى كلامهم ، وقد ثنى الفرزدق المربد فى قوله :

* عَشِيَّةَ سَالِ الْمَرَبْدَانِ كِلَاهُمَا *

وجمع مطرود بن كعب غزاة فى قوله :

مَيْتَ بَرْوَمَانَ وَمَيْتَ بَسَلْ—مَانَ وَمَيْتَ عِنْدَ غَزَاتِ

فإذا اعتبرنا ثنائية عنزة عنيزة من هذا القبيل فهى من البلاد الباقية على اسمها إلى اليوم . هذا ، =

وذكر الغنيم، وهو في جنوبي اليمامة؛ وذكر ذا العُشيرة؛ وهو جوفى الصَّمان يقال له الآن «جو عسرى» وذكر الدُّحْرُضَيْن وهما دُحْرُضٌ ووَشِيعٌ مما يلي الخرج تفصل بينهما الدهناء، وذكر الدَّيْلَم، وهى الآن عاصمة الخرج، ويقال لها الآن «الدلم»، وذكر الرِّدَاع، وهو في عالية نجد.

٧ - الحارث بن حلزة اليشكري

وُلد في بلاد قومه بنى يشكر في بلاد ربيعة، وتحوَّل في بلاد قومه، وفي عالية نجد وجنوبها وشمالها، وفي بلاد طيء، وبلاد بنى أسد، وبلاد غطفان.

ذكر «الخلصاء» وهى في الدهناء و«برقة شماء» وهى في حى ضرية. وذكر «الحياة» ويقال لها اليوم «محبوة» جبل رفيع في بلاد غطفان بالقرب من أبان؛ وذكر «فُتُق»^(١) وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد قرب بلد حائل، وذكر «رياض القطا» وهى قرب الدهناء، وذكر «الشعبتين» وهى باقية بهذا الاسم في بلاد بنى أسد، فلما انقرضت بنو أسد نزلها قسم من قبيلة الأسلم من شمر؛ وذكر «أبلى» وهى في عالية بلاد بنى عبد الله بن غطفان، وذكر «العقيق» وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد: أعلاه قرب عُشيرة، وينتهى بالقرب من المدينة، وذكر «شخصين» وهما جبلان في شمالى جبل كَشْب المشهور، وذكر «مُلْحَة» بالقرب من «بيشة» في عالية نجد الجنوبية، وذكر «الصَّاقِب» وهو جبل في عالية نجد باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد،

= وفي عنيزة قتل مهلهل بن ربيعة جساس بن مرة قاتل أخيه كليب بن ربيعة، وفي هذه الواقعة يقول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أئينا بجانب عنيزة رحيا مدير

(١) قد ورد بلفظ «فتاق» بزنة الكتاب - في شعر الحارث بن حلزة، وفي قول الأعشى:

بكيت عرفاء حجرة الحصف غدتها عوانة وفتاق

وفي قوله أيضاً:

أتانى وغور الحوش بينى وبينه كرانس من جنبي فتاق فأبلقا

والفتق - بضم الفاء والتاء جميعاً - جمع فتاق (وانظر الهامشه رقم ٢ فى ص ١٠)

وذكر « البَحْرَيْنِ ، والحِساء » ، والبحرين يُطلق على مقاطعة هَجَر ، إلى غير ذلك من المواضع التي سنذكرها مفصلة مع بيان حدودها عند ما نتعرض لقصيدة الشاعر .
وقد وفد على عمرو بن هند بالحيرة ، شاعراً لبكر ، وقصته مع عمرو مشهورة .

* * *

٨ — الأَعشى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ

صاحب المعلقة المشهورة ، وُلد في بلدة مَنْفُوحَة قرب مدينة الرياض ، وكان رَحالة كثير التجوال ، وَفَدَّ على ملوك نَجْرَان بنى عبد المَدَان ، وعلى العَسَانِيين بالشام ، وعلى اللّخَمِيين بالعراق ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة دالية قال فيها :

فَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدًا

مَتَى مَا تُنَاقِى عَنْ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرَاحِي وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى

فصدته قريش ، ورجع إلى بلدته مَنْفُوحَة ، ومات بها ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة قال « كَادَ أَنْ يُسْلِمَ » .

ورد في دليته ذكر « النَجِير » ، وهو قصر في اليمن لَكِنْدَة ، و « صَرَحْد » وهو من قرى الشام ، فانظر إلى هذا القباعد بين الموضعين في قوله :

وَأُبْتَذِلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَدِي مَسَافَةً بَيْنَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرَحْدًا ^(١)

وذكر في معلقته مواضع كثيرة « كرياض الحزن » ، ويقال لها اليوم الحزل ، وذكر « دُرْنَا » ^(٢) ، وهي من قرى اليمامة ، وذكر « نُمَار » وهو في أودية اليمامة ، وذكر « انْخَال » وهو جبل واقع على وادى الدفينة ، وذكر « الْمَسْجِدِيَّة » وهي جبال في جبل كشب المعروف ويقال لها اليوم « العسلجيات » ومفردُها عسلج ، وذكر « الأَبْلَاء » وهي واقعة في عالية بلاد بنى عبد الله بن غَطَّامَان . وذكر « الرَّجْل » ^(٣) وهي كثيرة في نجد ، وذكر « خَنِزِيرَا » وهو جبل في عالية نجد

(١) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، والمراويل : جمع مرقال ، وهي السريعة السير

(٢) وذكر « درنا » في غير المعلقة أيضا ، في قوله :

حل أهلى ما بين درنا فبادو لى وحلت علوية بالسخال

(٣) الرجل - بكسر الراء وفتح الجيم - مسايل الماء ، واحدها رجلة .

الجنوبية، وذكر « رَوْضُ الْقَطَا » وذكر « كَثِيبُ الْغَيْنَةِ »^(١) وهو في شرق اليمامة يقال له في هذا العهد : « عريق بيان » وَالْغَيْنَةُ هي القرية المسماة الآن « غيانة » وذكر « يوم الحنو »^(٢) وهو في شمالي الحَجْرَة وكان يقال له « حنو قَرَاقر » ولا يزال له هذا الاسم إلى اليوم . وبه يوم من أيام العرب لبيعة على قسم من العرب والفرس ، وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا هو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم ، وبني نُصِرُوا » .

٩ - النابغة الذُبْيَانِي

وُلِدَ في بلاد غَطَفَانَ ، وتنقَّلَ في جميع بلاد العرب ، ووفد على الملوك اللَّخْمِيِّينَ ، وآثره النعمانُ ابن المنذر على جميع الشعراء ، ولما غضب عليه وفد على الغسانيين .
وذكر في قصائده مواضع كثيرة في نجد وغيرها : ذكر « الجليل »^(٣) وهو جبل بالشام يمتد إلى قرب حِمَصَ ، وذكر « وَجْرَة » وهي في عالية نجد ، وذكر « تَدْمُر » وذكر « تَوْضِيح » وهي أرض متسعة يقال لها اليوم « التوضحيات » بعالية نجد الجنوبية ، وذكر « جِلَق » وهي دِمَشْقُ ، وذكر « المِلح » إشارة إلى أملاح عبد الله بن غطفان ، وهي في عالية بلادهم ، وذكر « الأمرار » وهو الملح المذكور يقال لها في هذا العهد « أملاح عبد الله » وذكر « حُسَا » ويعرف الآن « بِحْسِي عَلِيَا » في عالية نجد الشمالية ، وذكر « لُصَاف » وهو مَنْهَلٌ باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذكر « ثَبْرَة » وتسمى في هذا العهد « وبرة » ويقع الموضعان في شرقي الصَّعَّانِ ، وذكر « لَابَة ضَرْغَد » التي يقال لها اليوم « ضرغط » وغير ذلك من المواضع المفصلة في هذا السكباب .

(١) الغينة : يروى بكسر الغين وفتحها .

(٢) يوم الحنو : هو المشهور بيوم ذي قار (تاريخ ابن الأثير ١/١٩٦) ، وفيه يقول الأعشى :

فصبحهم بالحنو حنو قراقر وذى قارها منها الجنود فقلت

على كل محبوبك السراة كأنه عقاب سرت من مرقب إذ تدلت

(٣) وذكر « ذا الجليل » في قوله :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذى النجليل على مستأنس وحد

وأصل الجليل الثمام - بضم التاء - وهو نبت يحشى بها خصاص البيوت ، وذكر صاحب

اللسان أن ذا « الجليل » واد لبني تميم ينبت الجليل الذي هو الثمام .

١٠ - عَمِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيُّ

وُلِدَ فِي بِلَادِ قَوْمِهِ بَنِي أَسَدٍ ، وَبَحْدُهَا بِلَادُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ جَنُوبًا وَبِلَادُ طِيٍّ شَمَالًا .
وَجِبَالُ بَنِي أَسَدٍ : رَمَّانٌ وَحَبَشِيٌّ ، وَغِمَارُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمُ الْغِيَارُ .
ذَكَرَ « مَلْجُوبٌ » وَهُوَ فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ « مَكْحُولٌ » قَرِبَ سَمِيرَاءَ ^(١) وَذَكَرَ
« الْقَطِيبَاتِ » ^(٢) وَذَكَرَ أَنَّهَا قَرِبَ جَبَلِ سَوَاجٍ ، وَيَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدِ الشَّمَالِيَةِ ، وَذَكَرَ « الذَّنُوبُ »
وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى عَهْدِنَا هَذَا ، وَتَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ بِالْقَرْبِ مِنَ الدَّفِينَةِ ^(٣) ، وَذَكَرَ
« رَاكِسًا » وَهُوَ بَاقٍ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، وَيَقَعُ فِي شَمَالِ نَجْدٍ ، وَذَكَرَ « ذَاتَ فَرْقَيْنِ » وَهُوَ
جَبَلٌ لَهُ رَأْسَانٌ ، تَرَاهُ إِذَا كُنْتَ فِي بَلَدَةٍ نَفَى ، وَيَعُدُّ مِنْ جِبَالِ الْخَاسِرِ ، وَذَكَرَ « ثَعْلِبَاتٍ » وَيُقَالُ
لَهُ الْآنَ « الثَّعْلِبِيُّ » مِنْ مِيَاهِ طِيٍّ ، وَذَكَرَ « عَرْدَةَ » وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَّا أَنَّهَا ذَكَرَتْ
وَتُنِيتَ ، فَقِيلَ لَهَا « عَرْدَانُ » وَتَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وَذَكَرَ (حَبْرًا) وَهُوَ جَبَلٌ أَسْوَدٌ فِي عَالِيَةِ
نَجْدِ الشَّمَالِيَةِ .

* * *

وهؤلاء الشعراء العشرة كلهم من نجد ، ما عدا امرأ القيس ، أربعة منهم من ربيعة وهم :
عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد ، والأعشى . وأربعة من قيس عيلان وهم :
زهير بن أبي سلمى ، ولبيد بن ربيعة العامري ، والنابغة الذبياني ، وعنترة بن شداد العبسي ،
وعبيد بن الأبرص من بني أسد ، وامروء القيس من اليمن ، وأكثر إقامته في نجد .

(١) سميراء - بفتح فسكسر ممدودا - وردت في حديث طليحة الأسدي لما ادعى النبوة ، وذلك
« أنه عسكر بسميراء » وقال مرة بن عياش الأسدي :

جلت عن سميراء الملوك ، وغادروا بها شر قن لا يضيف ولا يقري
فأما الذين ذكر أنهم رحلوا عن سميراء فهم بنو حبيب بن أسامة من أسد ، وأما الذين ذكر
أنهم استوطنوها فقبيلة من بني نصر يقال لهم بنو حجران ، وهو يهجوهم بأنهم عبيد لا ينزلون الضيفان
عندهم ، ولا يقرونهم إن طرقتهم .

(٢) في اللسان ما معناه : أراد عبيد القطبية جمع كأنه يعني الماء وما حوله (وانظر الهامشة رقم ٢ ص ١٠)

(٣) وقد ورد الدفين أيضاً في شعر عبيد مكرراً ، فمن ذلك قوله :

تغيرت الديار بنى الدفين فأودية اللوى فرمال لين
ومن ذلك قوله :

ليس رسم من الدفين ببال فلوي ذروة فنجي ذيال

١

أَمْرُ وَالْقَيْسِ بْنِ مَجْرٍ الْكِنْدِيِّ

امرو القيس

مات سنة ٨٠ قبل الهجرة (٥٦٥ للميلاد) تقريبا

هو امرؤ القيس بن حُجْر ، نسبة في بني ثور بن مُرتع بن كِنْدَة من كَهْلَان ^(١) .
نذكر أولا : المواضع الواردة في معلقته ، وهذا مطلعها :

١ - قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ
فَتُوضِحَ فَاَلْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَشْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأما كن فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه
المواضع في اليمامة ، قال ياقوت في معجمه ^(٢) : توضح والمقرة قريتان من قري اليمامة ، وتبعهم
حسن السندوبى في شرحه لهذه القصيدة ، وذكر أن جميع هذه المواضع في اليمامة .

ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم ، إلا عبارة واحدة وردت في معجم
البلدان أثناء ذكر الدَّخُولِ . قال : إن الدخول ^(٣) بئر ، ثم عزز هذا القول بقوله : حكى نصر
أن الدَّخُولِ موضع في ديار بني بكر بن كلاب .

سِقْطُ اللَّوَى : السقط لغةً : يطلق على طرف كل كشيء ، أما الذى عناه امرؤ القيس في
قصيدته ، فهو سفاف يقال له اليوم مشرف ، واسمه في الجاهلية شَرَّاف ، كأنه كشيء من الأبارق
والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حَوْلِ ، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول ، والدخول
وحول باقيا بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

الدخول أما الدَّخُولِ فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالاً الهضبة المعروف بين وادى
الدواسر ووادى رَنْيَسَةَ ، وذلك الماء تحت يد ابن نوير الشيباني اليوم ؛ وفي شعر حذيفة بن
أنس الهذلى :

فلو أسمعَ القومَ الصراخَ لقوربت مصارعُهم بين الدخول وعَرَعرَا

(١) لامرؤ القيس بن حجر ترجمة في الأغاني ٦٢/٨ وفي طبقات الجحى ١٥ أوربة وفي خزائن
الأدب ١ / ١٦٠ وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة ٣٧ أوربة .

(٢) المعجم ٢ / ٤٣٠ (٣) المعجم ٤ / ٤٥

وغرعر : ماء ببطن الهضْب بينه وبين الدخول مرحلتان للإبل ، يسمى اليوم « عراعر » .
أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية ، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول .

والمقراة : وادٍ ينصبُّ إلى جهة الجنوب بين الهضْب والسوادة ، وقد حُرِّفَ اليوم إلى القمرأ ، فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم « القمرأ » فى ألسُن جميع أهل نجد ؛ وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة .

وتوضح : أرض قريبة من الهضْب يقال لها اليوم « التوضحيات » تقع عن جبل الحمل جنوباً ، والجبل : يقع جنوبى الهضْب ، فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض : منها ما يبعد عن الثانى مرحلة ، ومنها ما يبعد مرحلتين ، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التى يقال لها اليوم مُشرف ، واسمها فى الجاهلية شَرَّاف ، قال الشماخ فى شطر بيت :^(١)
* مَرَّتْ بِنَعْفَى شَرَّافٍ وَهِيَ عَاصِفَةٌ *

وقال زُمَيْل بن زامل الفزَارِى قاتلُ ابنِ دارة :

لقد عَضَّنِي بِالْجَوْ كَتِيفَةٍ ويوم التقينا من وراء شَرَّافِ^(٢)
قصرت له الدعصى ليعرف نسبى وأنبأته أنى ابنُ عبد مناف
رفعتُ له كَفًى بِأَبْيَضَ صَارِمٍ وقلت التَّحِفَةُ دُونَ كُلِّ لِحَافِ

وشراف هذا : هو الذى أشار إليه امرؤ القيس بقوله « بسقط اللوى » سِقْطُهُ : طرفه ، واللوى : الأبارق منه أكثبة متراكمة ، والدخول وحومل والمقراة وتوضح : كلها تقع من جبل السوادة فى الجنوب الغربى ، بينها وبين الهضْب الذى يقال له اليوم « هضْب آل زايد » وآل زايد : الدواسر ، وتوضح يقال لها اليوم « التوضحيات » تقع جنوبى جبل الحمل ، وموقعها من الهضْب من جهة مطلع الشمس ، أما سبب تسمية الدخول فإنه واقع بين هضبتين والماء بينهما ، ولا يُدْخَلُ إليه

(١) هكذا رواه ياقوت (شراف) ونسبه للشماخ ، ولكنى بحثت ديوان الشماخ من أوله إلى آخره فلم أجده فيه .

(٢) هكذا رواه ياقوت ، ورواه صاحب اللسان (ش ر ف) * لقد غظتني بالحزم حزم كتيفة *
وذكر أن شراف ماء لبني أسد .

إلا من بين الهضبتين ، وفي هضبة من هضابه ماء ليس بالكثير في عرض الهضبة يجتمع من الأمطار ، فلا ينقطع أبداً ، ولا يصل إليه الرجل إلا وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتسميه البادية اليوم « الدخول » أعني هذا الرس الذي في الهضبة نفسها ، قال سعيد بن عمرو الزبيدي يذكر هضاب الدخول :

وإن يكُ ليلي طال بالنَّيرِ أُرْسَجَا فقد كان بالجماء غير طويل ^(١)
ألا ليتني بُدِّلْتُ سَعِيًّا وأهله بدمخ وأضراب بهضب دخول
النَّيرِ وسَجَا ودمخ كلها باقية بهذه الأسماء . سجا : ماء يحمله سمو الأمير فيصل لإبله وخيله ، وهو من أحسن مياه البادية ، والنَّيرِ ودمخ : جبلان عظيمان في عالية نجد ، فإن مرَّ لهما ذكر في إحدى القصائد زدناهما إيضاحاً .

سجا
والنير ، ودمخ

أما هضب آل زايد فهو يقرب من الدخول مسافة يوم تقريباً ، ومن مياهه : الضيران ، والقبَّية ، وسَقْمَان ، وصلاصل ^(٢) ، ومشيته ، وعراعر ، ومأسل ، ومويسل .

فأما عراعر وصلاصل ومأسل ومويسل فهذه أسماؤها في الجاهلية ، وما تغيرت إلى يومنا هذا ، غير أنهم جمعوا « عراعر » على نهج أسلافهم فقالوا « عراعر » وقد قال امرؤ القيس في ذكر عراعر :

سَمَّا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سَلِيمَى بَطْنِ قَوْ فَعَرَّعَرَا

وقال شاعر من بني كلاب في سقمان :

رُعِيَ الْقُسُورَ الْجَوْنِيَّ مِنْ حَوْلِ أَشْمُسٍ وَمِنْ بَطْنِ سَقْمَانَ الدَّاعِجَ سِدِيمَا ^(٣)

وقال تليد العبشمي على ذكر صلاصل :

(١) الجماء المذكورة في هذا البيت : هي ماء الجمانية المعروفة في جهة النير في غريه الشمالى .

(٢) صلاصل : ماء لبنى أسمر من بني عمرو بن حنظلة ، قاله السكري في شرح قول جرير :

عفا جو ، وكان لنا محلا ، إلى جوى صلاصل من لبني

(٣) وقد أنشده ياقوت ولم ينسبه ، ووقع في ياقوت « الدداع ديم » ووقع في لسان العرب

« الدداع سديما » وذكر عن ابن بري أنه أنشده « الدداع » بدال واحدة بزنة الغراب « اللديما »

أى الذى جادته الديمة وهو المطر الدائم ، والدداع في الرواية الأخرى : نبت يكون فيه ماء في

الصف ، وسديم : بزنة درهم وأصله السدم ، وهو الحريص على الشيء ، ويقال : فحل سدم ، إذا كان

قد أرسل في الإبل فهو يهدر بينها ، وفي شرح القاموس « أشمس : موضع ، وسديم : فحل » .

أَتَمَنَّا بنو قيسٍ بجيشٍ عَرَمَرَمٍ وشن وأبناء العمودِ الأكبرِ
إلى أن قال :

سقيننا القليل من سَمِيرٍ وجعون وأفلتتنا ربُّ الصلاصلِ عامرُ
ربه : يعنى راعيه الذى يسكنه ، وموقعه فى الهضب ، والهضبُ فى القديمِ لبني عامر بن
صعصعة ، ومأسل : يأتى عليه الكلام إن شاء الله ، وفي مُوَيْسِلٍ يقول راجز من بني عقيل بن عامر :
ظَلَّتْ على مُوَيْسِلٍ حَيَامِي ظَلَّتْ عليه تَعْلُكُ الرماما

* * *

٢ - وقال امرؤ القيس :

كَدَأَبِكَ مِنْ أُمِّ الْخَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
مأسل : ماء فى الهضب مجاور لتلك المواقع التى تقدم ذكرها ، وهذا الاسمُ يطلق على ثلاثة
مواضع فى جهة نجد الجنوبية .

أحدها : فى وسط الهضب ، وهو الذى عناه امرؤ القيس بقوله هذا .

والثانى : مأسل الجمع يقع شمالى عرض شَمَام .

والثالث : فى حصاة آلِ عَلِيَّانِ بين الركا والسوادة ، وهى التى يقال اليوم الحصاة : حصاة^(١)

آل عليان ، وحصاة آل حويل ، والجميع : من قحطان ؛ حصاة آل حويل : جبال سود ، وحصاة
آل عليان : جبال حمر ، وبينهن ريعان وطرق ؛ واسمها فى الجاهلية : الحِصَاءُ ؛ لأن جبالها خالية
من النباتات والشجر ؛ فسميت الحِصَاءُ لذلك ، فإن كل شئ خالٍ من النبات يقال له : أَحَصَّ ،
وهى فى ديار بكر بن كلاب ، وفيها يقول مَعْقِلُ بن رِيحان :

جَلَبْنَا مِنَ الْحِصَاءِ كُلَّ طِمْرَةٍ مُشَدَّةً فَرَجَاءَ كَالْجَذَعِ جِيدُهَا

وهى التى ذكرها أخو عطاء حين رثى أخاه ، وهو مولى لبني بكر بن كلاب :

(١) الحصاة : هى التى فيها الوادى المشهور الذى يسمى « خيم » وفيه بُرْ عذبة تسمى « خيم »

وهى التى عنها جريير بقوله ، لما وفد على أمير من الأمراء فى زمن عبد الملك بن مروان فقال :

أقبلن من نهلان أوادى خيم على قلاص مثل خيطان السلم

وخيم باقية بهذا الاسم إلى اليوم لم تتغير . ذكرها صاحب الأغاني فى ترجمة جريير ج ٨ ص ٤١ بولاق

لَعَمْرُكَ إِنِّي إِذْ عَطَاءٌ مُجَاوِرِي لَزَارٍ عَلَى دُنْيَا مُقِيمٍ نَعِيمُهَا
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَتَقَهُ عَلَى الْخِصَاءِ تَهْوَى ، وَأَمْسَكَتْ مِصَارِعَ حُمَى تَصْرَعْنَهُ وَمُومُهَا
فِيَا حَبِذَا الْخِصَاءِ وَالْبَرْقُ وَالْعَلَا وَرِيحَ أَتَانَا مِنْ هُنَاكَ نَسِيمُهَا
وَبَلْغَنِي أَنْ فِي جَبَلِي طَيِّبٌ مَاءٌ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : مَأْسَلٌ ، وَلِلثَّانِي مُوَيْسَلٌ :

* * *

٣ — وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ الْبَيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيَّامٍ يَوْمٍ بِدَارَةٍ جُلُجُلٍ

دَارَةُ جُلُجُلٍ الدَّارَاتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرَةٌ ، مِضَافَةٌ وَغَيْرُ مِضَافَةٍ ، وَأَمَّا دَارَةُ جُلُجُلٍ الَّتِي عَنَاهَا امْرُؤُ الْقَيْسِ فَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ فِي بَطْنِ الْهَضْبِ ، تَقَعُ فِي جِهَتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَيُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ « دَارَةُ جُلُجُلٍ » وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي عَنَاهُ عَمْرُو بْنُ الْخَثَّارِمِ الْبَجَلِيُّ بِقَوْلِهِ :

وَكُنَّا كَأَنَّا أَصْلَ دَارَةِ جُلُجُلٍ مُدِلٌّ عَلَى أَشْبَالِهِ يَتَهَمَمُهُمْ

وَهِيَ دَارَةٌ عَظِيمَةٌ تَحِيطُ بِهَا هَضْبَاتٌ بَاقِيَةٌ عَلَى هَذَا الْاسْمِ ، وَفِي كِتَابِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لِلْأَصْمَعِيِّ « دَارَةُ جُلُجُلٍ : مِنْ مَنَازِلِ حُجْرِ الْكَنْدِيِّ بَنَجْدٍ » وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ صَحِيحَةٌ .

* * *

٤ — وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَنْقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلٍ

وَجَرَّةٌ : مَعْرُوفَةٌ بِكَثْرَةِ الظُّبَاءِ ، وَقَدْ أَطَالَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْمَعَاجِمِ ، وَهِيَ رَكْبَةُ الشِّمَالِيَّةِ . وَأَمَّا رَكْبَةُ الْجَنُوبِيَّةِ فَهِيَ الَّتِي يَسْلُكُهَا طَرِيقُ السَّيَارَاتِ مِنْ عَشِيرَةٍ إِلَى الْوَيْهَةِ ، وَوَجَرَّةٌ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْيَوْمَ طَرِيقُ السَّيَارَاتِ مِنْ عَشِيرَةٍ إِلَى الْمَهْدِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا جَرِيرٌ :

حَيْثُ لَسْتُ غَدًا لَهْنُ بِصَاحِبِ بَحْزِيرِ وَجَرَّةٍ إِذْ يَخِذْنَ عِجَالًا

وَقَالَ بَعْضُ الْعِشَاقِ :

أَرْوَاحُ نَعْمَانٍ هَلَّا نَسْمَةُ سَحَرَا وَمَاءُ وَجَرَّةٍ هَلَّا نَهْلَةُ يَنْفَمِ

وقال أعرابي :

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحّم المقلتين ربيب
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأى عنه غريب

وقال بعض الأعراب :

أتبكي على نجد ورياً ولن ترى بعينيك ريباً ما حميت ولا نجدا
ولا مشرفاً ما عشت أنقار وجرة ولا واطئاً من ترهبين ترى جعداً^(١)
ألم تر أن الليل يقصر طوله بنجد ، وتزداد الرياح به بردا

* * *

٥ - وقال امرؤ القيس لما ذكر البرق :

يضيء مناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل^(٢)
قعدت وأصحابي له بين صارح وبين العذيب بعد ما متأمل^(٣)

ضارج : جبل في بلاد بني أسد ، تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم ، وقد اختص به بنو الصبيداء
وهم بطن من بني أسد ، وقال الشاعر :

وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهى الأكف صارخا غير أعجم
وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في معلقته ، فأما ضارج الذي في البيت الثاني من قوله :
ولما رأت أن الشريعة همها وأن بياضا من فرائصها دامي^(٤)
تيممت العين التي عند ضارج يفي عليها الظل عرمضها طامي^(٥)

(١) الأنقار : جمع نقرة ، وهي الوهدة المستديرة في الأرض .

(٢) السنا : الضوء ، والسليط : الزيت ، والذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة .

(٣) بعد : بضم الباء وسكون العين على أنه فعل دال على التعجب ، وأصله بعد - بوزن كرم -
فنقلت ضمة العين للباء ، وكأنه قال : ما أبعد ما تأملت ، ويروى « بعد » بفتح الباء وسكون العين
وهذه الرواية تحتمل أن الأصل كما في الرواية الأولى إلا أنه حذف ضمة العين ولم ينقلها إلى الباء ،
وتحتمل أن « بعد » ظرف ، وكأنه قال : نظرت إليه بعد أن تأملته .

(٤) البيتان في وصف حمر وحشية ، والشريعة : مورد الماء ، وهمها : مقصدها .

(٥) تيممت : قصدت ، والعروض - بفتح العين والميم جميعاً وبينهما راء مهملة ساكنة - الطحلب

فهو من جبال الحجاز .

العذيب

فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع : اثنان منها في جهة العراق ، وقد أكثر الشعراء من ذكرهما ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص « إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، وشرق بالناس وغرب بهم - إلخ » وهذا دليل على أن هناك عذيبين . والعذيب الثالث في بلاد عذرة ، وهو الذي عناه كثير في شعره حين قال :

خليلى إن أم الحكيم تحملت وأخلت بخيمات العذيب ظلالها
فلا تسقياني من تهامة بعدها بلالاً ، وإن صوب الربيع أسالها
وكنتم تزينون البلاد ففارقت عشية بنتم زينها وجمالها
وهناك عذيب رابع بئر جاهلية قديمة يقال لها العذيب من آبار أثينية ، تقع في جنوبها عليها نخل ومزارع ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهم أهل الوشم .
وظنى أن امرأ القيس لم يعن في قصيدته إلا عذيباً قد تغير اسمه في عالية نجد ؛ لأن المواضع التى ذكرها كلها في عالية نجد !

* * *

٦ - وقال امرؤ القيس :

عَلَا قَطَنًا بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذْبُلُ
علا : فعل ماضٍ نَصَبَ قَطَنًا .

قطن

وقَطَنٌ : جبل معلوم قريب الفوارة ، وهو جبل أحمر ، وعنده أكمة بيضاء يقال لها « خيمة قطن » لبياضها ، وهو في بلاد غطفان ، يقع شمالى وادى الرمة وغربى أبان الأسود ، وهو لبني عبس في الجاهلية ^(١) ، قال الشاعر :

أَيْنَ أَنْتَهَى يَابْنَ صُمَيْعَاءَ السَّنَنِ لَيْسَ لَعَبْسٍ جَبَلٌ غَيْرَ قَطْنٍ
وقال شاعر من الأعراب :

سَلَّمَ عَلَى قَطْنٍ إِنْ كُنْتَ نَازِلَهُ سَلَامٌ مَنْ كَانَ يَهْوَى مَرَّةً قَطْنًا

(١) ويسكنه اليوم بنو حرب ، على اختلاف بطونهم ، وحرب : قبيلة معروفة في الجاهلية ، وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم .

أحبه والذي أُرْسِي قواعده حباً إذا أعلنت آياته بَطْنًا
ياليقنا لا تريمُ الدهرَ ساحتَه وليته حين سرنا غربةً مَعَنَا
ما من غريبٍ وإن أبدى تجلده إلا تذكر عند الغربة الوطنًا
أنظر وأنت بصيرٌ هل ترى قطنًا من رأس حوران؟ مَنْ آتٍ لفا قطنًا
ياؤيحمها نظرةً لَيْسَتْ براجعةٍ خيرًا ، ولكنها من غيره قِنًا
وقال كثير عزة^(١) :

فإنكِ عَمْرَى هل أريك ظعائفًا بصحن الشبّا كاللّوم من بطن تريمًا^(٢)
نظرت إليها وهي تنضو وتكتسى من الفقر آلاء فما زال أقمتما
وقد جعلت أشجانَ بركٍ يمينها وذات الشمال من مريحَة أشاما
مؤلّيةً أيسارها قطنَ الحمى تواعدن شرباً من حمامة مُعظماً

وهو باقٍ بهذا الاسم ، وغزوة قطن مشهورة ، قتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن عبد الأسد ، وذكره في المغازي كثير وفي أشعار
العرب كذلك .

والستار : جبل في حمى ضريبة يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضريبة وبين شعبي
الجبل المشهور في حمى ضريبة يقع في جنوب مسكة الغربي ، ويوم الستار يوم عظيم بين بكر
ابن وائل وبني تميم ، قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر بن وائل ، قتله قيس بن عاصم ،
وفي ذلك يقول شاعرهم :

قتلنا قتادة يوم الستار وزيداً أسرنا لدى مُعنق

وقال جرير :

إن كان طيكم الدلال فإنه حسنٌ دلالك يا أميم جَمِيل^(٣)

(١) هي أبيات في ديوان كثير ١ / ١٦٥ وفي معجم ياقوت ٧ / ١٢٦

(٢) وقع في ياقوت « بصحن الشتا » تحريف ، وصحن الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة
وذكره ياقوت في أبيات أخرى لكثير ٥ / ٢٢٥ على الصواب .

(٣) الطب : الدأب والعادة ، وقال فروة بن مسيك :

فما إن طبننا جبن ، ولكن مناينا ودولة آخرينا

أما الفؤاد فليس يَنْسَى حُبَّكُمْ مادام يَهْتَفُ في الأراك هَدِيلُ
أَيَقِيمُ أَهْلَكَ بالسَّتَارِ وَأَصْعَدَتْ بَيْنَ الْوَرِيعةِ وَالْمَقَادِرِ حُمُولُ

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته ، وفي كتاب الأصمعي عن جزيرة العرب
« السَّتَار : أجْبُلُ سود مُنْقَادَةٌ لبني بكر بن كلاب » والسَّتَار الذي ذكره الأصمعي على اسمه إلى
اليوم ، ما زال يقال له السَّتَار لم يَتَغَيَّرْ ، وهو قريب من الدخول وحومل ، والسَّتَار الأول الواقع
قريب مسكة هو الذي عناه امرؤ القيس ؛ لأنه — حين ذكره — ذكر قطنًا معه ، وهو القريب
من قطن ، وذلك أقرب للصواب ، وهو باق على اسمه إلى اليوم ؟

يَذْبُل

يَذْبُل : جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم ، وموقعه في عالية نجد الجنوبية ، قال في
معجم البلدان^(١) : « قال أبو زياد : يَذْبُلُ جبل لباهلة » وهذا صواب ، وقال النابغة الجعدي
وهو مخضرم :

مَرِحْتُ وَأَطْرَافَ السَّكَلَالِبِ تَتَقَى فَقَدْ عَبَطَ الْمَاءَ الْحَمِيمُ وَأَسْهَلَا
فَإِنْ كُنْتَ تَلَجَّاهُ لَتَنْقَلِ مَجْدَنَا لَسَبْرَةٌ فَانْقَلِ ذَا الْمَنَاكِبِ يَذْبَلًا
وَإِنِّي لِأَرْجُو إِنْ أُرِدْتَ انْتِقَالَهُ بِكَفَيْكَ أَنْ يَأْنِي عَلَيْكَ وَيَثْقَلَا

أما اسم هذا الجبل فقد تغير ، ولم يعد يذكر بهذا الاسم ، وهو الذي يسمى اليوم « صبحا »
وهو واقع بين الحصاة وعرض ابني شمام ؛ وصبحا : جبل أحمر رفيع ، وتسميته صبحا تسمية
حديثة ، حدثت عند توغُّل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبريه ، وكان قوم من
علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى يَذْبُل ، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر ،
فكان فارسهم عند الطعان يقول : خَيَّالٌ صَبِحَا^(٢) جَبَلِي ، ويُطْلَقُ هذا الاسم على يَذْبُل ،
وتكرر ذلك حتى نُسِيَ اسمه الأول وصار اسمه صبحا ، وقال شاعر من العرب :

إِذَا كُنْتُ فِي الْحِصَا أَوْ فِي بَجَادَةٍ نَظَرْتُ حُدُوجَ الْحَى فِي سَفْحِ يَذْبُلِ

والحصاء : هي المعروفة اليوم بالحصاة ، والبجادة : جبل صغير منقطع من الحصاة ، وإذا
كنت في الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مَسَافَةٌ قَرِيبَةٌ ، وهي تبعد عن ثنية ابن عصام الباهلي
حاجب النعمان بن المنذر مسافة يوم ونصف يوم ، ولا يوجد في جميع المعاجم « صبحا » إلا أرض

(١) المعجم ٨ / ٥٠٢ . (٢) يريد أنا فارس صبحا الذي هو جبلي .

مسطحة ليس فيها جبال تقع شرق وادي سدير ، وقد ذكروا أنها سميت صبحا باسم رجل من
العاليق يقال له « صبح » هلك ودفن فيها فسميت صبحا باسمه ، فصبحا اليوم هو الجبل المشهور
في عالية نجد الجنوبية ، والذي كان يسمى يذبل فيما سبق .

٧ - وقال امرؤ القيس :

وَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

كُتَيْفَةُ التي ذكرها امرؤ القيس في هذا البيت : جبل صغير في أعلى مُبَيْهِل ، ومُبَيْهِل : واد
ابن عبد الله بن غطفان يصب في وادي الرُّمَّة ، وهي تقع شمالى بقيعى اللهيب على مسافة ساعتين
وجنوبى أبان الأحمر ، على مسافة يوم ، وهي التي عناها امرؤ القيس ، وهي واقعة من الستار
المذكور على مسافة يوم في جهته الشمالية الشرقية ، وكُتَيْفَةُ أيضا : جبل صغير بين شهلان ودَمَخ ،
في منازل بنى عمرو بن كلاب ، قال أبو جابر السكلابي :

أَيَا نَخْلَتِي وَادِي كُتَيْفَةٍ حَبْدًا ظَلَالُكَما لو كنت يوما أنالها
وماؤ كما العذب الذي لو شربته شفاءً لنفسٍ كان طال اعتقالها^(١)
مُعْنَى على طول الهيام غليله بذكر مياهٍ ما يُنَالُ زلالها

٨ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ مَسْكَكِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صُبْحُنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُغْلَغَلِ

الْمَسْكَكِي : نوع من الطير يطرب عند نزول المطر ، فتراه يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض
في سرعة ، وله تعريد ، وهو المعروف بأُم سالم ، واشتقاقه من الْمَكَاء ، وهو الصغير ، قال تعالى :
(وما كان صلاتُهُمْ عند البيت إلا مُسْكَاءً وَتَصَدِيَةً) .

وقال الشنفرى :

وَلَا خَرِقِ هَيْقٍ كَأَنَّ فُوَادَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمَسْكَاءَ يَفْلُو وَيَسْفُلُ

والجِوَاء : قطعة من القصيم تقع في شماليه الغربى ، وكله واقع شمالى وادى الرُّمَّة .
الجِوَاء

(١) « كان » في هذا البيت زائدة ، وجملة « طال اعتقالها » صفة لنفس .

والجواء : قرى ومزارع ونخيل وجبال ، وأغلب أسماء أماكفه اليوم هى الأسماء التى كانت لها فى الجاهلية : فمن قراه المعمورة : وُئال ، والروض ، والعيون ، والقرعى ، والشقة ، والشيجية ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى اليوم ، فأما وئال فقال فى معجم البلدان ^(١) : هو بضم أوله ، وأطال الكلام عليه ، ثم قال « هو منزل للحاج بين البصرة ومكة » وقال « هو حصن فى بلاد بنى عبس بالقرب من بلاد بنى أسد » وكلا القولين صحيح : أنه ينزله الحاج ، وأنه لعبس ، قال كثير :

أَرْمَى الْفَجَاجُ إِذَا الْفَجَاجُ تَشَابَهَتْ أَعْلَامُهَا بِمِهَامِهِ أَغْفَالِ
بِرُكَّابٍ مِنْ بَيْنِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ سُرْحُ الْيَدَيْنِ وَبَازِلِ شِمَالِ
إِذْ هُنَّ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ قَوَارِبَ أَعْدَادٍ عَيْنٍ مِنْ عَيُونِ أَثَالِ

وقال متمم بن نويرة اليربوعي أخو مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد رضى الله عنه على البطاح ، والبطاح باقٍ إلى الآن بهذا الاسم ، محاذ للجواء ، بينهما وادى الرثمة ، قال متمم :

وَلَقَدْ قَطَعْتَ الْوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ وَأَخَوَالِ الصَّرِيمَةِ فِي الْأُمُورِ الْمَزْمِعِ
بِمَجْدَةٍ عَنَسٍ كَأَنَّ سَرَاتِمَهَا فَدَنُّ تَطْيِيفُ بِهِ الْفَيْيُطُ مُرْفَعِ
قَاطَتْ أَثَالٌ إِلَى الْمَلَا ، وَتَرَبَّعَتْ بِالْحَزَنِ عَازِبَةٌ تُسَنُّ وَتُودَعُ
حَتَّى إِذَا لَقِيتَ وَعُوَلَى فَوْقَهَا قَرْدٌ يَهْمُ بِهِ الْغَرَابُ الْمَوْقِعِ
قَرَّبَتْهَا لِلرَّحْلِ لَمَّا اعْتَادَنِي سَقَرُ أَهْمٍ بِهِ وَأَمْرُ مُجْمَعِ

هذا المتعلق بأثال وذكره ، فأما الروض المجاور لأثال فهو باقٍ على اسمه إلى اليوم ، وهو اسمه القديم ، قال النابغة الشيباني :

خَرَجُوا إِنْ رَأَوْا مَخِيلَةَ غَيْثٍ مِنْ قُصُورٍ إِلَى رِيَاضِ أَثَالِ

قال فى معجم البلدان ^(٢) : « العيون : جمع عين الماء ، وهو فى مواضع ؛ ومن أشهرها عند العرب الذى على طريق مكة إذا خرجوا من واسط فينزلون فى طريقهم العيون » وعيون الجواء المذكورة هى هذه التى على طريق مكة . والقرعاء التابعة للجواء . قال فى معجم البلدان ^(٣) : « هو منزل فى طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة » وذكر الخبراء عند ذكره القرعاء ، والخبراء باقية بهذا الاسم بين الجواء والقصيم ، وفى القرعاء ملازم ماء وركايا قديمة ، وكان بها وقعة بين بنى دارم بن

مالك و بنى يربوع ، وهاج بعضهم على بعض عند الماء ، والشقة تسمى اليوم بهذا الاسم ، ومنهم من يقول لها « الشقة » ومنهم من يقول لها « الشقوق » واسمها في الجاهلية الشقوق قال في المعجم ^(١) « هو منزل في طريق مكة » وهى كما ذكر على طريق مكة . والشيخة باقية على اسمها إلى اليوم ، واسمها في الجاهلية الشَّيْخَة قال في المعجم ^(٢) « بينها وبين النجاج أربع مراحل » وهذا صحيح . ثم قال « وقيل : الشيخة بطن الرمة » وليست هى بطن الرمة ، وإنما تقع شماليه .

أما جبال الجواء فهن : صارات ، وصارة ، وساق ، والأصابع ، والموشم ، وجميع هذه الأسماء التى كانت لها في الجاهلية باقية إلى يوم الناس هذا ، وفي صارات يقول الصمة بن الحارث الجشمى ^(٣) :

ألا أبلغ بنى ومن يلبهم بأن بيان ما يَبْغُون عندى
جَلَبْنَا الخيل من تَحْلِيثِ إنا أتينا آل صاراتِ فرَقْدِ
« صارة » قال في معجم ^(٤) البلدان « هو جبل في ديار بنى أسد » وهو كذلك ، قال لمبيد

ابن ربيعة العامرى :

فأجماد ذى رقد فأكناف نادى فصارة توفى فوقها فالأعابلا
وقال محمد بن عبد الله الفقعسى : ^(٥)

سقى الله حياءً بين صارة والحمى حتى فيد صوب المدجنات المواطير
أمين ورد الله من كان منهم إليهم ووقاهم صروف المقادير
كأنى طريف العين يوم تطالعت بنا الرمل سلان القلاص الضوامر
أقول لمقام بن زيد : « أما ترى سنا البرق يبدو للعيون النواظر
فإن تبك للوجد الذى هيج الجوى أعنك ، وإن تصبر فلست بصابر

و « ساق » باق بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى هضبة مملومة شاحخة إلى السماء ، وقد أكثر الشعراء من ذكره .

وقال ياقوت : ^(٦) « وساق الفريد في قول الخطيئة :

(١) المعجم ٥ / ٢٨٣ . (٢) المعجم ٥ / ٣١٨ .

(٣) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ . (٤) (٣ ، ٤ ، ٥)

(٦) المعجم ٥ / ١٠ .

نظرت إلى فرت ضحيا وعبرني لها من وكيف الرأس شَنِّ وواشل
إلى العير تُحْدَى بين قَوِّ وضارج كما زال في الصبح الأشياء الحوامل
فأتبعهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل
وساق الجواء : موضع آخر ، وساق القرو : جبل في أرض بني أسد ، كأنه قرن ظبي ،
ويقال له ساق القروين ، وأنشد الخفصى :

أقفر من خولة ساقُ فَرَوَيْنِ فالخضر فالركن من أَبَانَيْنِ
وساق ، والخضر ، وأبانين : مقاربات من كان بأحدها يرى الآخر .

وأهل نجد يسمونه إلى اليوم ساق الجواء وشاهد هذا قول زهير بن أبي سلمى :
نشزنا من الدهناء يقطعن وسطها شقائق رمل بينهن خمائل
فلما بدت ساق الجواء وصارة وفرش وحمّاواتهن القوابل
الأصابع : آكام صغار متفرقة ، وهى بهذا الاسم إلى اليوم ، فى أعلاها أحجار كالأصابع ،
وهى التى عنها حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مطلع قصيدته التى قالها فى فتح مكة حين قال :
عفت ذاتُ الأصابع فالجِوَاهِ إلى عذراء منزلها خـلاء
ديار من بنى الحسحاس قَفَرٌ تُعْقِمُهَا الروامسُ والسماء
ويضاف إلى الأصابع مائة يقال لها اليوم « بقيعا أصبع » وتسمى فى الجاهلية بَقْعَاء ، قال جرير :

وقد كان فى بَقْعَاء رِيَّ لَشائِكُم وتلعة والجوفاء يجري غديرها
وماؤها مرٌّ ، وهى لبني عبس ، وقد تزوجت امرأة من بني عبس فى بني أسد ، ونقلها زوجها
إلى « لينة » الماء المعروف اليوم ، وماؤها عذب ، وكان زوجها الأسدى عَيْنِيْنَا ، فقرّكته ،
واجتمعت الماء ، فاخيلت منه ورجعت إلى بلادها ، وتزوجها رجل من أهل بَقْعَاء ، فقالت :

فَمَنْ يُهْدِلِي من ماء بَقْعَاء شربةً فَإِن له من ماء لينة أَرْبَعَا
لقد زادنى وجدًا ببقعاء أنى وجَدْتُ مطايانا بلينة ظُلَمَا
فمن مُبْلَغ تَرْبَى بالرمل أنى بكيت فلم أترك لَعْنَتِي مَدْمَعَا

وبَقْعَاء المذكورة مُسَمَّاة اليوم « بقيعا » وقد جهَّز إليها أبو بكر رضى الله عنه جيوش المسلمين

لقتال أهل الردة ، وهى على طريق البطاح من المدينة^(١) فكانت بعد ذلك وقعة البطاح المشهورة .
الموشم : باقى بهذا الاسم إلى اليوم ، وأسمه في الجاهلية « موشوم » قال عبد الله بن الصمة :
أسقى الأجارع من نجد فخص به سعد فبطن بليات فموشوم
وقال جرير :

وابنى شريك شريك اللوم إذ نزلنا بالجزع أسمل من أطواء موشوم
ياقبح الله عبداً من بنى لجأ يأوى إلى نسوة رضع مداريم
انتهيما من ذكر الجواء مفصلاً .

وأما لفظ « الجواء » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، ولكنهم مختلفون ، وسنذكر ما جاء
من الصواب فى ذكره ، قال عنقرة :

وتحل عبلة بالجواء وأهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيا لم
وقال زهير بن أبى سلمى :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمنن فالقوادم فالجساء
وكان بالجواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة من غطفان وهوازن فى أيام أبى بكر ، فقتلهم
خالد بن الوليد شريفة ، وقال أبو شجرة :

ولو سألت مجل غداة لقائنا كما كنت عنها سائلاً لو نأيتها
نصبت لها صدرى وقدمت مهرتى على القوم حتى عاد ورداً كميئتها^(٢)
إذا هى حالت عن كمي أريده عدلت إليه صدرها فهديتها
لقيت بنى فهر لغب لقائنا غداة الجواء ، حاجة فقضيتها

(١) هى تلقاء نجد ، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة ، وانظر تحديدها وما قيل فيها من
الشعر فى المعجم ١ / ٢٥١ . وقد ذكر ياقوت أن أبا بكر - رضى الله عنه - خرج إليها ، لكن
الذى فى كتب التاريخ أنه إنما خرج إلى بقاء ذى القصة (كامل ابن الأثير ٢ / ١٤٣ بولاق) وهى
غير هذه .

(٢) الورد - بفتح الواو وسكون الراء - الفرس الأحمر ، هنا . والكيت - بزنة التصغير -
الفرس بين السواد والحمرة . يريد أن ما سال من دماء أقرانه كثير ، حتى إنه غير لون فرسه من
السمر إلى الحمرة ، يصف نفسه بالشجاعة .

٩ — وقال امرؤ القيس :

وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ^(١)

القنّان

القنّان : جبل مشهور في بلاد بني أسد باقي بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو مما يلي بلاد بني عبد الله بن غطفان ، وهو واقع بين الجواء وسميراء ، وكان لبني فقعس قوم من قُطّاع الطريق كانوا يلجئون إلى هذا الجبل مخافة أن يفتك بهم السلطان ، قال الشاعر :

صَمِنَ الْقَنَانُ لَفَقْعَسٍ سَوَاتِيهَا إِنْ الْقَنَانُ لَفَقْعَسٍ لَمُعَمَّرُ

* * *

١٠ — وقال امرؤ القيس :

وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جَذَعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ^(٢)

تيماء السموأل

تيماء هذى : هي تيماء السموأل الواقعة في القطعة الشمالية من نجد ، وهي بلدة قديمة جاهلية بهذا الاسم ، ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع ووطئ النبي صلى الله عليه وسلم وادى القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية ، وأقاموا ببلاذهم وأرضهم بأيديهم ، فلما أجلي عمر رضى الله عنه اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم ، قال الأعشى :

وَلَا عَادِيًا لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ مَالُهُ وَوَرَدُ بَتِيَاءِ الْيَهُودِيِّ أُنْبَقُ

وقال بعض الأعراب :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ، لَا إِلَى النَّاسِ ، أَنْتَى بَتِيَاءِ تِيَاءِ الْيَهُودِ غَرِيبُ
وَأَنْتَى بَتِيَاءِ الرِّيحِ مُوَكَّلُ طَرُوبُ إِذَا هَبَّتْ عَلَى جَنُوبِ
وَإِنْ هَبَّ غُلُوبُ الرِّيحِ وَجَدْتَنِي كَأَنِّي لَغُلُوبِ الرِّيحِ نَسِيبُ

* * *

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروي « من كل منزل » بزنة مسجد ، ويروي الأصمعي صدره « وألقى ببيسان مع الليل بركة » وعليها شرح الأعمى .

(٢) الأطم - بزنة العنق - الحصن أو البيت للسقف ، وجمعه أطام ، ويروي « ولا أجماء » - كعنق أيضا - وهو كالأطم وزنا ومعنى وجمعا .

١١ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَهْ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)

أبان : يثنى ويفرد ، وهما جبلان عظيمان ، يقال لأحدهما وهو الشمالى : أبان الأسود ، ويقال للآخر : أبان الأحمر ، وهو الجنوبى ، ومجرى وادى الرثمة بينهما ، يقال لذلك المسلك « الخنق » وهما فى الجاهلية لبني عبس وبني فزارة^(٢) ، وقرية النبهانية تحت أبان الأسود ، وكان بعض الأعراب يقطع الطريق فحبسه والى اليمامة ، فحن إلى وطنه ، فقال :

أقول لبوابي والسجن مُغْلَقٌ وقد لاح برق : ما الذى تَرَيَانِ ؟

فقالا : نرى برقاً يلوح ، وما الذى يَشُوقُكَ من بَرَقٍ يلوح يمانى ؟

فقلت : افتحَا لى البابَ أَنْظُرْ ساعةً لعلّى أرى البرق الذى تَرَيَانِ

فقالا : أَمِرْنَا بالوثاق ، وما لَنَا بمعصية السلطان فىكَ يَدَانِ

فلا تَحْسِبَا سَجْنَ اليمامة دأماً كما لَمْ يَدُمْ عِيشُ لَنَا بِأَبَانِ

وقال بشر بن أبى خازم وقد ذكرها بالثنوية :

ألابان الخليط ولم يَزَارُوا وقلْبُكَ فى الظَّعَائِنِ مستعار

أسائل صاحبي ولقد أرانى بصيراً بالظَّعَائِنِ حيث صاروا

تؤم بها الحداة مياةً نَحْلٍ وفيها عن أبانين ازورارُ

وأبان : هو حَدُّ القرى المعمورة من مقاطعة القصيم مما يلي الغرب على وادى الرثمة :

* * *

١٢ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ غُدُوَّةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالْعُثَاءِ فَلَسَكَةَ مِغْزَلٍ^(٣)

(١) يروى « كَانَ أَبَانًا فى أفانين وبله » .

(٢) قال ياقوت « أبان الأبيض ، وأبان الأسود ، فأبان الأبيض شرقى الحاجر فيه نخل وماء يقال له أكرة ، وهو العلم ، لبني فزارة وعبس ، وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض ميلان » .

(٣) الذرى : الأعلى ، واحدها ذروة ، ويروى « من السيل والأغشاء » على أن الأغشاء جمع غشاء ، وقال أبو جعفر النحاس : « من رواه من السيل والأغشاء فقد أخطأ ، لأن جمع الغشاء الأغشية =

المجيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير ، جبيل أسود صغير في أعلى مُبْهَل ، ومبهل : يصبُّ في وادى الرمة ، يقع في بلاد غطفان ، ويقال له اليوم « المجيمر » قال عباد بن عوف المالكي ، ثم الأسدي :

لمن ديار عَفَتْ بِالْجِزْعِ مِنْ رِمَمٍ إِلَى قَصَاةٍ فَالْجُفْرِ فَالْهَدَمِ
إِلَى الْمَجْمِرِ وَالْوَادِي إِلَى قَطَنٍ كَمَا يُخِطُّ بِيَاضُ الرَّقِّ بِالْقَلَمِ

١٣ - وقال امرؤ القيس :

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيْطِ بَعَاةً نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ

صحراء الغبيط : معلومة في بلاد بني يربوع ، والصحراء : المستوية من الأرض ، وقال « صحراء الغبيط » لأنها منخفضة الوسط وطرفها مرتفع كالغبيط الذي هو من مراكب نساء البادية وبين قطن ووادي الرمة أرض يقال لها اليوم « الصحراء » وهي التي عنها شاعر من بني عبس بقوله :

تَبَدَّلَتْ بُؤْسًا مِنْ صَحِيرٍ وَأَهْلِهِ وَمِنْ بُرْقِ الثَّيْنِ نَوَطَ الْأَجُولِ

وأما « صحراء الغبيط » فهي واقعة جنوبي وادي الرمة في بلاد بني يربوع ، ويوم الغبيط^(١) : من أيام العرب بين تميم وربيعة ، قال جرير :

وَلَا شَهِدْتُ يَوْمَ الْغَبِيْطِ مُجَاشِعَ وَلَا نَقْلَانَ الْخَيْلِ مِنْ قُلَّتَى نَسْرِ

وهذا اليوم الذي أسر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام بن قيس فقدي نفسه ثم أطلقه وجز ناصيته ، فقال الشاعر :

رَجَعَنْ بَهَانِيٍّ وَأَصْبَنَ بَشْرًا وَبَسْطَامٌ تَعَضُّ بِهِ السَّكْبُولُ

وقال لبديد بن ربيعة العامري :

فَإِنْ أَمْرًا يَرْجُو الْفَلَاحَ وَقَدْ رَأَى سَوَامًا وَحَيًّا بِالْإِفَاقَةِ جَاهِلُ

غَدَاةً غَدَا مِنْهَا وَأَسْرَ سَرِبَهُمْ مَوَاكِبُ يُحْدِي بِالْغَبِيْطِ وَحَامِلُ

= وإنما يكون أفعال جمع المقصور نحو رحي وأرحاء « اه وىروى » كأن قليلة المجيمر « وىروى : « كأن طمية المجيمر » .

(١) انظر يوم الغبيط في ياقوت ٢٦٨/٦ واللسان (غ ب ط) وكامل ابن الأثير ٢٥٠/١ بولاق

وصحراء الغبيط لا نعرف اليوم بهذا الاسم في نجد ، ولكننا إذا تتبعنا أقوال الشعراء فيها وأردنا تحديد ما تبين أنها تقع بين الحامر ووادي الرمة ، وتكون من القصيم في جهة الجنوب الغربية انتهى ماورد في معلقات امرئ القيس من أسماء البقاع ، وقد وضعنا كل شيء على قدر الإمكان ونبتدىء الآن في قصائد امرئ القيس الأخرى ، وما ورد فيها من البقاع والجبال والمياه والتلول ، وسنوضح الذي يظهر لنا توضيحه وتحديد في جهته .

١٤ — قال امرؤ القيس :

سَأَلْتُ بَيْنَ نَطَاحٍ فِي رَأْدِ الضُّحَى وَالْأَمْعَزَانِ وَسَأَلْتُ الْأَوْدَاءَ

نَطَاحٍ : ماء معروف إلى اليوم بهذا الاسم في بلاد عبد القيس ، لم يتغير . وهو واقع في مياه
الطف بين الدهناء وساحل البحر ، جميع أهل نجد يعلمون اسمه ومكانه .
والأوداء — بالمد — ماء لبني تميم الله بن ثعلبة بن عكابة ، قاله ياقوت^(١) ، وأنا لا أعلم موقع
هذا الموضع اليوم .

وأود — بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة — موضع في بلاد بني تميم ، ثم لبني يربوع
منهم ، بنجد في أرض الحزن . قال بعضهم :

وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبٌ فَكُنَّا يَرَى أَهْلُ أَوْدَ مِنْ صُدَاءَ وَسَلَهَمًا
وقال ابن مقبل :

لِلْمَازِنِيَّةِ مُصْطَافٍ وَمُرْتَبَعٍ مِمَّا رَأَتْ أَوْدُ فَاَلْمِقْرَاءُ فَالْجَرَعُ^(٢)

وقال آخر :

كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ بِكُرِ أَطَاعَ لَهَا مِنْ حَوْمَلٍ تَلْعَاتُ الْجَوُّ أَوْ أَوْدًا

ولا أعلم لهذا الاسم أيضا ذكرا في بلاد العرب اليوم ، ولكن الذي يظهر لي أن «أود» واقع
في شرقي اليمامة ، وأن اسمه قد تغير ، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه في عالية نجد .

فأما قول امرئ القيس في بيتيه « وسألت الأوداء » فالذي يظهر لي أن الأوداء : ماء
لبني تميم يقع شرقي اليمامة ، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم . وأنت ترى ابن مقبل قد ذكر
« أود » وقرنه بالمقراة ، وكذلك ترى صاحب البيت الذي بعده قرنه بحوَمَلٍ ، والمقراة وحومل
في عالية نجد الجنوبية ، ولا شك أن «أود» قريب منهن ، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم .

(١) المعجم ٣٦٨/١ (٢) رأيت ، ههنا : أي قابلت .

١٥ — وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلِي مُرَا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لَتُقْضَى لِبَاكَاتُ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ

قال :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَمَانٍ سَوَالِكَ نَقَبَا بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِبِ
النَّقَب : يطلق على كل ثنية سُدِّكت أو لم تسلك .

شَعْبَعِب : موضع باليمامة بين وادي نساخ ووادي الحائر لبني قُشَيْر ، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم منه شيء ، وقد قال الصمة بن عبد الله القُشَيْرِي يذكُر شَعْبَعِب وهو بالسند ، وهي قصيدة طويلة قال فيها :

شعبعب

طَوَالِعِ الْخَلِيلِ مِنْ تَبْرَاكَ مَصْعَدَةً كَمَا تَقَابِعُ قَيْدَامَ مِنَ الشُّقْنِ
يَالَيْتَ شَعْرِي وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيَانًا مِنَ الْحَزَنِ
هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلْخَدِّ مَرْفَقَةً عَلَى شَعْبَعِبَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ ^(١)

وتبراك الذي ذكره في هذه الأبيات : يقع من المواضع التي ذكرنا أن شعبعب يقع عندها في شماليها الغربي ، بينها وبينه كَثِيبٌ جو اليمامة على مسافة يوم ونصف للإبل التي تحمل الأثقال وهناك موضع بين وادي نساخ ووادي الحائر يقال له « الحويض » اليوم ، ويمكن أن يكون هو الحوض الذي قرّنه الصمة بن عبد الله بشعبعب ، ويكون شعبعب قد تغير اسمه ، ولكنه في تلك الناحية التي فيها تبراك والحويض ؛ بدليل أنهما قرنا به .

١٦ — وقال امرؤ القيس :

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشْتَ وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَارِعٌ بَطْنُ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

يعلم القارئ أن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إذا نفرت من منى نزلت الْمُحَصَّبُ ، وطرفه الذي يلي مكة في طرف جبل الخندمة الشرقي الذي أمام بيت سمو الأمير فيصل ، وتسميه العرب « الْمُنَحَنَى » لانحناء الطريق عنده إلى منى ، وطرفه الثاني على حدود منى ، وكانت العرب تجتمع فيه يوم النَّفَرِ من منى ، وتبيت هناك حتي تنقضي من مناسك حجها وغيره ،

(١) قد عثرنا على بُرٍّ في تلك الناحية قرب العقبة التي يقال لها « أبو القد » يقال لتلك البئر : « العطينة » ولاشك أنها هي التي يقول فيها الشاعر « بين الحوض والعطن » لأنها مجاورة لتلك المواضع

ثم ينصرفون إلى أوطانهم ، قال كثير عزة :

فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
وجدت بها وجد المصل ركابة بمكة والركبان غاد ورائح

فالذهابة من الإبل لا يظفر بها صاحبها إذا تفرق الناس .

ومن قال : إن الحصب في منى واستدل لما ذهب إليه بقول عمر بن أبي ربيعة :

نظرت إليها في المحصب من منى ولى نظراً لولا التخرج عارم

فقد أخطأ الفهم ، ولم يفرق بين اسم المكان المعين ، واسم المكان الذى يراد به المعنى الاشتقاق
أما الحصب الذى ذكره امرؤ القيس فهو الواقع بين منى ومكة ، ويسمى الحصب إلى اليوم ،
وأما الذى ذكره عمر بن أبى ربيعة فهو لم يقصد مكاناً بعينه ، وإنما هو رجل رأى معشوقته ترمى
الجار ، والعرب تسمى الجمار والحجارة الصغار : الحصباء ، فإذا رمى أحد بالحجارة الصغار قالوا :
حصب بالحجارة ، فالحصب فى كلامه اسم مكان مشتق من التحصيب أى رمى الحصباء ، وكأنه
قال : نظرت إليها فى المكان الذى ترمى فيه الجمار من منى .

بطن نخلة

بطن نخلة فى الطريق السالك إلى نجد ، وهما نخلتان : نخلة اليمانية ، ونخلة الشامية .

أما نخلة اليمانية فتبتدىء من الزيمة وتنتهى على حد بهيمة .

وأما نخلة الشامية فتبتدىء من عين المضيق ، وتنتهى فى أرض واسعة يقال لها مكة ، وسيول
نخلة اليمانية أعلاها من وادى قرن ، وتجتمع جميع الأودية فى ذلك الوادى وتصب فيه ، وتأتى
عن طريق بطن نخلة اليمانية ، وسيول نخلة الشامية تأتى من أودية الضريبة ، وتسلك بطن نخلة
الشامية ، وسيول الواديين تجتمع فى بستان ابن عامر ، هذا اسمه القديم ، وهو اليوم موقع عين
الجديدة ، وإذا اجتمعوا سلكوا وادى مر ، المسمى اليوم وادى فاطمة ، حتى يصب فى البحر الأحمر ،

قال جرير :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن بلاد بها تستودع العيس
حنت إلى نخلة القصى فقلت لها بسل حرام ألا تلك الدهاريس
أمى شامية إذ لا عراق لنا قوماً نودهم إذ قومنا شوس

وقال كثير عزة فى نخلة الشامية :

حلفت برب الموضعين عشية وغيطان فلنج دونهم والشقائق

يُحْشُونَ صَبْحَ الْحَرِّ خُوصًا كَأَنَّهُـا بِنَخْلَةٍ مِنْ دُونَ الْوَحِيفِ الْمَطَارِقُ
لَقَدْ لَقِيتُنَا أُمَّ عَمْرٍو بِصَادِقٍ مِنَ الصَّرْمِ أَوْضَاقَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِقُ
وَقَالَ ذُو الرِّمَةِ :

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُتَلَبِّثُونَ بَيْتَهُ شِلَالًا وَمَوْلَى كُلِّ بَاقٍ وَهَالِكٍ
وَرَبِّ قَلَاصِ الْخُوصِ تَدْمَى أَنْوْفُهَا بِنَخْلَةٍ وَالِدَاعِينَ عِنْدَ الْمَنَاسِكِ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الْأَرْضَ مَا يَسْفِرُنِي لَهَا الشُّوقُ إِلَّا أَنَّهُا مِنْ دِيَارِكِ

وفي بطن نخلة يوم من أيام الفِجَارِ بين قيس عَمِيلَانَ وقريش ، وفيه انهزمت قريش حتى دخلت الحرم ، وفي ذلك يقول ابن زهير ، هكذا قالوا ، وهو خدّاش بن زهير شاعر من هوازن :

يَا شِدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

قال في معجم البلدان ^(١) في الكلام على نخلة اليمانية : وادٍ يصب فيه يدَعَانُ ، وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حُنَيْن . ويدَعَانُ لم يتغير اسمه إلى اليوم إلا أن جميع أهل الحجاز ونجد أبدلوا ياءه جيمًا فقالوا « جدعان » ^(٢) .

ونخلة اليمانية التي طريقها على قرن المنازل هي مسلك حجاج أهل نجد في الجنوب ، وأخص من نجد القطعة الجنوبية ، والحساء وعمان واليمن .

فأما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عِرْقٍ فيسلكها حاجُ العراق وحاجُ القسم الشمالي من نجد ، وسكان أهل نخلتين هم : هُذَيْل من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا .

وكعب : هو الجبل المطَّلُّ على عرفة ، من جهته الشرقية ، وَنَجْدُهُ : الأرض المرتفعة المحيطة به قال ساعدة بن جُوَيَّةَ الهُدَلِي ، وهو من سكان تلك الناحية :

كَيْدُوا جَمِيعًا بَأَنَاسٍ كَأَنَّهُمْ أَفْنَادُ كَعْبِ ذَاتِ الشَّتِّ وَالْخَزَمِ

الأفناد : جمع فند - بالكسر - وهو الشمراخ من شमारِخِ الجبل ، والشَّتُّ والخَزَمُ : من نبات أرض الحجاز .

وَالْحَصْبُ وَنَخْلَةُ وَكَعْبُ كَلَّمَا بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

(١) المعجم ٨ / ٢٧٥ .

(٢) وليس ذلك بهجيب ، بل إن في لغة أسلافهم العرب الذين يحتاج بكلامهم إبدال الجيم ياء ، فقد

قالوا في شجرة وشجرات : شيرة وشيرات ، وقال الشاعر :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا جَنَى فَأَبْعَدُكُنِ اللَّهُ مِنْ شِيرَاتِ

١٧ - وقال امرؤ القيس :

بُجْجَفَرَةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قَتُودَهَا عَلَى أُنْبَلَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرِبِ
أَقْبَ رَبَاعٍ مِنْ سَحِيرِ عَمَايَةَ يَمِجُ لِعَاعِ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ
عَظِيمٍ طَوِيلٍ مُطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ بِأَسْفَلِ ذِي مَأْوَانٍ سَرَحَةٌ مَرْقَبِ

قد اختلف أهل المعاجم والأخبار في ذكر الجبال والمياه ، وقد ذكرت طرفا من ذلك في أول كتابنا هذا ، وقد اختلفوا في عماية ؛ منهم من قال : إنها بالبحرين ، ومنهم من قال : إنها في عالية نجد في سواد باهلة ، والروايتان كلتاها مجانبية للصواب ، فعماية وعلية جبلان عظيمان في عارض اليمامة .

أما علية فهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم ، وذكرها صاحب المعجم بهذا الاسم . وعماية وحدها جبل ذو هضبات متقاربة كان ذوؤبان العرب في الزمن القديم يأوون إليها ، فإذا دخل أحدهم عماية عمى خبره ، ومسالكها مضيعة ، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى ، فمن هنا سميت عماية ، وقد زال اسمها اليوم فلم يبق منه شيء ، وهي تثني وتفرد ، قال جرير في تثنيها :

لَوْ أَنَّ عُصْمَ عَمَائَتَيْنِ وَيَذْبُلُ سَمِعْتَ حَدِيثَكَ أَنْزَلَ الْأَوْعَالَ
وَأَفْرَدَهَا جَرِيرٌ فِي قَوْلِهِ لَمَّا تَوَعَّدَهُ الْحِجَاجُ وَدَخَلَهَا :

وَحَفِيَّتُكَ حَتَّى اسْتَنْزَلْتَنِي مَخَافَتِي وَقَدْ حَالَ دُونِي مِنْ عَمَايَةِ نَيْقُ
يُسْرِ لَكَ الْبَغْضَاءُ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

وقال القتال السكلابي واسمه عيد الله بن مجيب ، وكان كثير القتل والفك بالناص ، فهرب

ودخل عماية :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجِزَاءُ بِكَفِّهِ عَمَايَةَ عَمَّا أَمَّ كُلُّ طَرِيدِ
فَلَا يَزْدْهِمُهَا الْقَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلُّ بَرِيدِ
حَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عَيْطَاءٍ عَيْطَلٍ وَكُلُّ صَفَا جَمِّ الْقِلَاتِ كَوْوِدِ

وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وكذلك أهل الأخبار ، وهي جبل في عارض اليمامة الواقعة عن وادي بريك جنوبا ، يقسمها وادي برك قسمين : ما كان بين بريك وبرك يقال له : عماية ، وكذلك الذي بين برك والأفلاج يقال له : عماية ، فسميت عمائتين ، أخذت هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن في بلد الحوطة الواقعة في وادي برك .

ماوان

وأما ماوان فقد غلط فيه أناس كثير، قال حسن السندوبى عن ابن السكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربدة ، وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربدة ، وفيه يقول عروة بن الورد العبسى :

وقلت لقومى فى الكنيف تَرَوُّحُوا عَشِيَةً بَتْنَا دُونَ مَاوَانَ رُزِحَ
تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنْفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاخٍ مِنْ حِمَامٍ مَبْرَحِ
وَمَنْ يَكْ مِثْلَى ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنْفَالِ رَغِيْبَةً وَمُيْلُغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

ولقد أخطأ فى بعض ذلك وأصاب فى بعض : أخطأ فى استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرئ القيس ؛ لأن ماوان الذى عنه امرؤ القيس غير « ماوان » المذكور فى هذه القصيدة ، وأصاب فى ذكر ماوان ، أما « ماوان » الذى ذكره عروة بن الورد فإنى أعرفه وأعرف الذى ذكره امرؤ القيس مثلما أعرف منازل بيتى ، والذى أعرف أنه جبل واقع بين بلاد بنى عبس وبلاد بنى أسد ، ويقال له « ماوان » إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض ، ليس بالكبير ، عنده ماء يقال لها : الماوية ، أضيفت إلى هذا الجبل ، تقع شمالاً بُلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم ، وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل .

وأما « ماوان » الذى ذكره امرؤ القيس فهو وادٍ عظيم فى وَسَطِ عُلْيَةِ الْجَبَلِ الْمَشْهُورِ فى عَارِضِ الْيَمَامَةِ ، وهو من أَمْنَعِ جِبَالِ نَجْدٍ ، ومما يَجْرَى عَلَى لِسَانِ الْعَامَةِ إِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِ جُرْمٍ وَالتَّجَأَ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَعَزَمَ عَلَى حَامِيَتِهِ قَالَ لَهُ « كَأَنَّكَ فى رَأْسِ عُلْيَةِ » وهى واقعة بين بريك ونساح ، وفى ماوان قصور ومزارع ، وفى كلام أهل نجد مما يجرى مجرى المثل « لعل ماوان يكفى أهله » وسيولُه مع سيول عُلْيَةِ تَنْصَبُ إِلَى جِهَةِ الْخُرْجِ ، ووَادِى بَرِيكِ يَحْدُ الْعُلْيَةَ جَنُوبًا ، ونساح يحدها شمالًا ، ومن قرأه المعمورة : الحريق ، والمفيجر ، ونعام .

قال شاعر من بنى عقيل :

فَمَا يَخْفَى عَلَى طَرِيقِ بَرِكٍ وَإِنْ صَعَّدْتَ فى وَادِى نَعَامِ

وهو لبنى هَزَّانٍ فى الْجَاهِلِيَّةِ ، وفيه بقايا منهم إلى هذا اليوم ، قال شاعر جاهلى من بنى جُشَمَ :

أَتَمَّكَ هَذَا نَكَ مِنْ نَعَامِهَا وَمِنْ عُلْيَةِ وَمِنْ آ كَامِهَا

وفى بريك - غير الحريق والمفيجر ونعام - قَسَمٌ مِنْ قَرْيِ الْحُوْطَةِ الْمَعْمُورَةِ .

وأما « برك » فهو أعظم من بريك ، وهو من أكبر أودية عارض اليمامة ، وغلط فيه كثير

من أهل المعاجم ، قال ياقوت لما ذكر « بَرَكُ الغماد » ، وذكر « برك » بغير إضافة ، وقال : هو ناحية باليمن ، وقال ^(١) في عبارته « وبرك أيضا ماء لبني عقيل بنجد » هذا كلام ياقوت . قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم ^(٢) « برك ونعام : موضعان في أطراف اليمن » وهذا خطأ . وبرك ينصبُّ من الغرب إلى جهة الشرق في جنوبى وادى بريك ، وفيه قسم عظيم من قرى الحوطة حوطة بنى تميم ، وفيه مدينتهم وفيه : الحلوة ، والقويح ، والعطيان ، وقرى كثيرة . لا تحضرني أسماؤها ساعة كتابة هذا .

وفى برك وبريك من النخيل والمزارع والآبار شىء لا يحصىه إلا الله ، وقد سئل رجل من أهل الحوطة : كم فيها من بنى تميم ؟ ولم سكانها ؟ فقال : فيها أربعة آلاف بئر كل بئر فيها أربعة نفر من الموالى للأعمال ليسوا من بنى تميم ، فعدد العمال ستة عشر ألف نفر غير سكانها وغير أهلها التميميين ، وسيول الأودية تنصبُّ إلى بلد الخرج . وبرك هذا هو الذى عناه أوس بن حجر في قوله ^(٣) :

تَفَكَّرَ بَعْدَى مِنْ أَمِيمَةٍ صَائِفُ فَبِرْكُ فَاعِلَى تَوَلَّى فَلَمَّخَالَفُ
فَبَطْنُ السَّلَى فَالسَّخَالُ تَعَذَّرَتْ فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِفُ
فَقَوَّ فَرَهْبِي فَالسَّلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عَوْدُ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ

قد ذكر فى ثلاثة الأبيات هذه مواضع باقية على أسمائها إلى يومنا هذا : برك هو الوادى المشهور ، بطن السلى : موضع يقال له السلى بينه وبين الرياض أقل من نصف يوم ، وهو فى جهته الشرقية ، ولا يزال باقياً بهذا الاسم ، ومعقلة : ملازم ماء فى أدنى الصمان يقال له اليوم «معقلى» والسليلى : بلد عظيم معمور فى أسفل وادى الدواسر . وأما رهبى وعاذب ومطار وواحف فلها ذكر فى الأشعار القديمة ، وأغلبها ملازم ماء فى جهة الصمان .

* * *

١٨ — وقال امرؤ القيس فى وصف فرسه :

وَأَسْحَمُ رِيَّانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عَثَا كَيْلُ قِنَوٍ مِنْ سُمَيْحَةٍ مُرْطَبِ

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١٥٠ ، ١٥١ وبرك فى هذه العبارة بكسر الباء .

(٢) انظر معجم ما استعجم ١ / ٢٤٤ وفيه ذكر برك ونعام أنهما بأطراف اليمن .

(٣) ثلاثة الأبيات فى معجم ما استعجم (١ / ٢٤٤) وذكر أن المواضع التى ذكرت فيها من بلاد

سميحة

سميحة : بئر قديمة في المدينة عليها نخل ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال كثير ^(١) :

كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَمَّا تَحَلَّلَتْ نَخَارِمَ بَيْضًا مِنْ تَمَنَّى جَمَالِهَا
قَبْلَ أَنْ غَرُوبًا مِنْ سَمِيحَةٍ أَنْزَعَتْ بَيْنَ السَّوَانِي وَاسْتَدَارَ مَحَالِهَا

وقد أجابه علقمة بن عبدة التميمي على هذه القصيدة ، وهو رجل جاهلي ، وكلمته مذكورة في ديوان امرئ القيس ، وقد عزمنا إن وجدنا بها شيئاً من المواضع أن نورد في كتابنا هذا .

* * *

١ — قال علقمة بن عبدة :

لِيَاكِي لَا تَبْلِي نَصِيحَةً يَبْنِنَا لِيَاكِي حَلُّوا فِي السَّتَارِ فُغْرَبِ

أما السَّتَار : فقد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس ^(٢) . وأما غُرب فهو اسم مشترك يقع على مواضع كثيرة في بلاد العرب ، والذي عناه الشاعر أقرب ما يكون لبلاد تميم واقع بين حقل وجران ، وهي خمس أكمات صغار سود ، ووصفت بالسواد نسبة إلى سواد الغراب ؛ فسميت غُرب ، وهي على اسمها إلى اليوم ، وقال مالك بن الرِّيب المازني :

عَلَى دِمَاءِ الْبُذْنِ إِنْ لَمْ تَفَارِقْ أَبَا حَزْدَبِ يَوْمًا وَأَصْحَابَ حَزْدَبِ
سَرَتْ فِي دُجَى لَيْلٍ فَأَصْبَحَ دُونَهَا مَفَاوِزَ جَمْرَانَ الشَّرِيفِ فُغْرَبِ
تَطَالَعُ مِنْ وَادِي الْكَلَابِ كَأَنَّهَا وَقَدْ أَنْجَدَتْ مِنْهُ فَرِيدَةُ رَبْرَبِ

أما وادي الكلاب الذي ذكره مالك فسنبينه إن شاء الله في موضعه .
وأما جمران الذي ذكرت عنده غُرب في أبيات مالك بن الريب فهو جبل صغير أسود مرتفع يقع بين غُرب وجبله ، وجران باقي باسمه الأول إلى يومنا هذا .

وقد أكثر الشعراء من ذكر جمران ، قال ربيعة بن مقروم :

أَمِنْ آلِ هَنْدٍ عَرَفْتَ الرُّسُومَا بِجَمْرَانَ قَفَرًا أَبَتْ أَنْ تَرِيَمَا
وَكَانَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ فِي وَادِي النَّشَاشِ الَّذِي يَقَعُ غَرْبِي جَمْرَانَ عَلَى مَسَافَةِ نِصْفِ يَوْمٍ ،
وَالنَّشَاشُ : أَسْمُ جَاهِلِيٍّ وَهُوَ بَاقٍ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَيَوْمُ النَّشَاشِ كَانَ بَيْنَ بَنِي عَقِيلِ
وَبَنِي حَنْفِيَةَ ، فَهَرَّتْ حَنْفِيَةُ بِجَمْرَانَ وَهِيَ مِنْهَزِمَةٌ فَقَالَ شَاعِرُ بَنِي عَقِيلِ :

وَلَوْ سُئِلْتُ عَنْ حَنْفِيَةَ أَخْبَرْتُ بِمَا لَقِيتُ مِنْهَا بِجَمْرَانَ صَيْدُهَا

(١) البيتان في معجم البلدان ٥ / ١٣٤ وديوان كثير ١ / ٢٤١ .

(٢) انظره في ص ٢٣ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٦

وحقيل المذكور : هو جبل ^(١) أشقر منقطع من جبال السر يقال له اليوم « حقيل » أيضاً فهو باق على اسمه الجاهلي ، وفيه يقول الراعي :

جَمَعُوا قُوَى مَا تَضُمُّ رَحْلَهُمُ شَتَّى النَّجَارِ تَرَى بِهِنَ وَصُولاً
فَسَقَوْا صَوَادَى يَسْمَعُونَ عَشِيَةً لِّلْمَاءِ فِي أَجَوَافِهنَ صَمِيحاً
حَتَّى إِذَا بَرَدَ السَّجَالُ لَهَا تَهَاوَى وَجَعَلَنَ خَلْفَ عَرُوضِهنَ تَمِيحاً
وَأَفْضَنَ بَعْدَ كُظُومِهنَ بَحْرَةً مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلاً ^(٢)

* * *

٢ - قال علقمة بن عبدة :

وَمَا أَنْتَ أُمَّ مَا ذِكْرُهَا رَبْعِيَّةٌ تَحِلُّ بِإِيرَ أَوْ بِأَكْنَفِ شُرْبُ

إير : هو جبل في بلاد غطفان ، وله ذكر في أشعار العرب ، وبه وقعة ، قال الشماخ ^(٣) :

عَلَى أَصْلَابِ أَحْقَبَ أَخْدَرِيٍّ مِنَ اللَّائِي تَضَمَّنَهُنَّ إِيرُ

وإير : يسمى الآن عيرا ، وعير : جبيل في بلاد غطفان في أعلاها شمالي وادي الرمة ، وقال

زهير بن أبي سلمى ، وهو من سكان تلك الناحية وشعرائها :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي سَبِيْعٍ وَأَيَّامُ النُّوَابِ قَدْ تَدَوَّرُ
فَإِنْ تَكَ صِرْمَةٌ أَخَذَتْ جِهَاراً لِفَرْسِ النَّخْلِ أَرْزَهُ الشَّكِيْرُ ^(٤)
فَإِنْ لَكُمْ مَا قَطَّ عَاسِيَاتٍ كَيَوْمِ أَضْرَّ بِالرُّؤْسَاءِ إِيرُ

وأما شرب فلم أجد له ذكراً في هذا العصر ، ولكن بقرب الطائف وادياً يقال له شرب ينصب سبله إلى عكاظ ، وفيه حدثت وقعة الفجار العظمى ، وفي هذا اليوم قيّد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كيلاً يفروا ، فسموا العنابس ، وحضر هذه الوقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل ، قال ابن هرمة :

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٣ / ٣٠٧) أن حقيلاً واد في ديار بني عكل بين جبال من الحلة وأنشد

عليه أبيات الراعي هذه ، ونحن نتكلم عن عيان ومشاهدة ، وما راء كمن سمعا .

(٢) في ياقوت عن ثعلب أن ذا الأبارق وحقيلاً اسمان لموضع واحد ، وأطال في تخرج هذا البيت

(٣) البيت في معجم البلدان ١ / ٣٨٨ وفي ديوان الشماخ ٣٥ « على أصلاب جأب أخدري »

والجأب : حمار الوحش ، والأخدري : الأسود .

(٤) الأبيات في المعجم ١ / ٣٨٨ وديوان زهير ٣٣٧ ، ووقع في ياقوت « أرزه الشكير »

وأثبتنا ما في الديوان .

عهدى بهم وسرابُ البيض منصدع عنهم وقد نزلوا ذا لُجَّةٍ صَخْبًا
 مُشْمَرًا بارز الساقين منكَفًا كأنه خَافَ من أعدائه طَلَبًا
 وقد رَمَوْا بهضاب الحزن ذا يَسَرٍ وحَلَفُوا بعد من أيمانهم شَرَبًا
 وثمة موضع آخر يقال له شَرَب بكسر الشين وسكون الراء وفيه يقول ابن مقبل :
 قد فَرَّقَ الدهرُ بين الحى بالظَّعنِ وبين أُنْثاء شَرَبِ يوم ذى يَقَنَ
 تَفْرِيقَ غير اجتماع ما مَشَى رجل كما تفرق بين الشام واليمن
 وشَرَبُ الذى ذكره علقمة : هو - فيما ذكر ياقوت ^(١) - وادٍ فى ديار بنى سَلِيم ، وفيه يقول
 أرطاة بن سُهَيْبَة :

أَجْلَيْتُ أَهْلَ الْبَرَكِ مِنْ أَوْطَانِهِمِ وَالْخَمْسَ مِنْ شُعْبَى وَأَهْلَ الشَّرْبِ
 ولست أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الشرَب ، إلا أن يكون نائياً عما لم نخط به علماً .
 * * *

٣ - وقال علقمة :

فَقَاءَتْ كَمَا فَاءَتْ مِنَ الْأَذْمِ مُغْزَلٌ بَيْبِشَةً تَرَعَى فِي أَرَاكِ وَحَلَبٍ
 ببشة : يأتى الكلام عليها إن شاء الله فى معلقة لببىد .
 * * *

٤ - وقال علقمة :

كَأَنَّ بِحَاذِيهَا إِذَا مَا تَشَدَّرَتْ عَنَّا كَيْلَ قِنُوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطَبٍ
 سُمَيْحَة : تقدم عليها الكلام فى قصيدة امرئ القيس ^(٢)
 انتهت قصيدة علقمة بن عبدة الفحل .

١٩ - قال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
 إلى أن قال :
 وقد طَوَّفْتُ فى الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
 إلى أن قال :

(١) المعجم ٥ / ٢٤٨ .

(٢) انظر ص ٤٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ١٨ .

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذِي الْقِبَابِ
وَأَعْلَمَ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأُنْشِبُ فِي شَبَا ظَفَرٍ وَنَابِ
كَمَا لَاقَى أَبِي حُجْرٌ وَجَدِّي وَلَا أُنْسَى قَتِيلًا بِالْكَلَابِ

قد اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم في موضع وادي الكلاب ؛ قال صاحب معجم البلدان ^(١) « قال أبو زياد : الكلاب : واد يسلك بين ظهري نَهْلَان ، ونَهْلَان : جبل في بلاد بني نُمَيْر » اه . والمكان الذي يقارب اسمه هذا الاسم واد يقال له اليوم « وادي الكلبة » وهو واقع بين نَهْلَان ومجيرة ، بنصب سَيْلُهُ في وادي الشعراء ، وتحفه سيموها بجبل نَهْلَان من جهة الشرق ، ويتفرع سيله من حُدْنَة ، وحُدْنَة : جبل أسود صغير رفيع يقع في جهة مطلع الشمس من بلد الشعراء على مسافة ساعة ونصف ساعة بالسير على الأقدام ، ويليه هضبات حمر في جهة الشرق يقال لها اليوم مجيرة ، وحُدْنَة يقال لها اليوم : الحُدْنِي ، وكلا الجبلين حُدْنَة ومجيرة باقيا بهذا الاسم من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، قال محرز بن المسكبر الضبي :

دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَّحَهُمْ ضَرْبٌ تَصَيَّحُ مِنْهُ حَلَّةُ الْهَامِ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مَجِيرَاتٍ يَلْدُنَ بِهِمْ وَالْمُجَوُّنُ مِنْهُمْ أَيَّْ الْحَامِ
حَتَّى حُدْنَةَ لَمْ تَتْرَكْ بِهَا ضَبْعًا إِلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شَلُوٍ مِقْدَامِ

أما وادي الكلاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شيء غير هذا الاسم ، وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التي وقعت بين العرب وكانت به ، وأنهم إنما سموه بذلك لما لقوا فيه من التكالب والشر ، والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك « وادي قحقح » ووادي قحقح باقي إلى اليوم بهذا الاسم .

وما يؤيد هذا أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القُرَيْمِ فارسَ بكر بن وائل قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حُشَيْش بن نمران ، وقد قال الشاعر :

وَنَحْنُ تَرْكُنَا ابْنَ الْقُرَيْمِ بِقَحْقَحٍ صَرِيْعًا مَكْبًا لِلْيَدِينِ وَلِلْفَمِ

فإذا قرئت هذا البيت بما ذكره في أخبارهم تبين لك أن وادي الكلاب الذي كانت الوقائع به هو وادي قحقح ، وهذا الاسم باقي إلى يومنا هذا ، وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر في وادي الكلاب إنما حقيقة أنه في وادي قحقح .

ويدل لذلك أيضا أنهم قالوا : إنه يبعد عن طرف نهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل ، وأن سيل وادي الكلاب يصب في وادي السرة ثم يندفع إلى وادي الركي ، ووادي قحقح هو الذي ينطبق عليه هذا التحديد ، قال لبيد بن ربيعة :

لاقي الكلاب البدي فاعتلجا سيل أتيتها لمن غلبا
فدعدعا سرة الركاء كما دعدع ساقى الأعاجم الغربا

ووجه ثالث يؤيد ما ذهبنا إليه ، وذلك أنهم ذكروا أن وادي الكلاب تقابل العرب فيه وهم يشربون ماء العويند ، والعويند باق إلى اليوم بهذا الاسم ، وهو ماء كثير الجم يقع بين كشييين ، وأهل قحقح اليوم قاطنون على ماء العويند وهم يرعون إبلهم في وادي قحقح . هذا ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان العويند ، وذكر العويند الذي بأرض اليمامة ، وكلا الماءين لم تتغير أسماؤهما إلى يومنا هذا .

أما وادي الكلاب فكانت به وقعتان في الجاهلية : الواقعة الأولى ^(١) بين شرحبيل بن الحارث الكندي وأخيه سلمة بن الحارث الكندي ، ومع شرحبيل من قبائل العرب : ضبة ، والرباب كلها ، وبنو يربوع ، وبكر بن وائل ، ومع سلمة من قبائل العرب : تغلب ، والنمر ، وبهراء ، ومن تبعهم من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سعيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير ، وإنما كان افتراق القبيلتين بكر بن وائل وتغلب لعداوة قديمة كانت بينهما ، فدارت معركة كبيرة بين الفريقين ، وانتهت بقتل شرحبيل بن الحارث الكندي ، وانهمزم أصحابه ، قتله عصيم بن النعمان بن مالك الجشمي ، وانتهى إلى عصيم أن سلمة بن الحارث يسأل عنه ليكافئه عن قتل أخيه شرحبيل ، ففطن عصيم إلى أنه إنما يريد قتله ، فهرب ، وعصيم هذا يدعى أبا حنش ، فلما بلغ سلمة أنه هرب قال :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا فما لك لا تجيء إلى الثواب
لتعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب
ويروى أن أبا حنش أجابه بقوله :

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو حباء أهلك يوم ضبيعات
وكانت غدره شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممات

(١) انظر في يوم الكلاب الأول تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٢٦ وما بعدها .

وقال جابر بن حنّى التغلبى والعرب تعير تغلب بالنصارى :

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تخوض إلى الدم
فيوم الكلاب قد أزالنا رماحنا شر حبيل إذ آلى أليّة مفسم
لينزعنا أرماحنا فأزاله أبو حنّس عن ظهر شقاء صليم
وفى قتل عصيم بن النعمان لشر حبيل يقول الأخطل وهو يخاطب جريرا :
أبني كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا^(١)
وذكر هذه الواقعة طويلا في أخبار المؤرخين .

أما الحارث بن عمرو أبو شر حبيل فإنه مات ببطن عاقل ودفن هناك ، وعاقل : وادٍ قريب
من الرس ولا يزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، غير أنه يقال له العاقل ، وفيه يقول زهير :
لمن طلل كالوحي عافٍ منازلُهُ عفا الرسُ منه فالرسيسُ فعاقله
وأما يوم الكلاب الثانى^(٢) فكان بين سعد والرباب ، ورأسه بنى سعد لمقاعس ، ورأسه
الرباب لقيم ، فرأس الناس فى آخر ذلك اليوم قيس بن عاصم المنقرى ، وهو اليوم الذى قتل فيه
عبد يغوث بن وقاص الحارثى بعد أن أسره ، فقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى منها :
أيا راكباً إما عرّضت فبلغن ندامى من نجران ألا تلاقيا
أبا كرب والأيممين كلاهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
وتضحك منى شبيخة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة : أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا

وماء العويند وما يليه من وادى الكلاب نعه خبراء^(٣) من الدم ؛ لما جرى فيه من الوقائع
العظام ، وقد قدمنا ذكر وقعتين على الاختصار ، وقد حدث عنده من الوقائع الحديثة ثلاث وقائع
عظام : أما الأولى : فهى بين هادى بن قرملة رئيس قحطان فى زمنه ، وقحطان جندّه ، وبين
الحميدى الدويش رئيس مطير ، فكانت معركة عظيمة انهزمت فيها مطير ، وأما الواقعة الثانية

(١) اللذا : أراد اللذان ، حذف النون استخفافا لطول الموصول بالصلة ، ونظيره كثير فى شعر
العرب ، ومنه قول الأشهب بن رميلة وقد حذف نون « الدين » :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد .

(٢) انظر خبر يوم الكلاب الثانى فى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٦٠ .

(٣) الخبراء فى الأصل : الأرض التى تمسك الماء ، والكلام هنا على الاستعارة .

فكانت بين محمد بن هادى بن قرملة رئيس قحطان وبين تركي بن حميد ومعه رؤساء من عتيبة ، وكانت الهزيمة في ذلك اليوم على قحطان ، وقد دامت المعارك دائرة بينهم خمسة أيام ، وأما الواقعة الثالثة فكانت بين تركي بن حميد ومعه من رؤساء عتيبة الهيطل وابن جامع وجندهم عتيبة ، وبين الدويش رئيس مطير ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير بعد قتال عظيم ، وهناك شجرة أعرفها بينها وبين ماء العويند كمشب الماء الذي يحيط بماء العويند ، ويقال لها شجرة أبى صفرة ، أضيفت إلى أبى صفرة لأنه قتل عندها ، وهو من رؤساء مطير .

وقد أشار ابن بشر مؤرخ نجد في تاريخه إلى هذه الوقائع الأخيرة الواقعة قرب العويند (١)

(١) قال لى بعض أصحابنا - حين ذكرنا وادى السكلاب ، ووادى قحقيق ، وذكرنا أنه هو وادى البدى ، وذكرنا وادى الجلة ، وذكرنا العويند - قال : إن ابن بشر ذكر العويند في تاريخه ونحن أشرنا إلى ما ذكره ابن بشر ، ولكن صاحبنا لم يثبت ، فمتبعت تاريخ ابن بشر ، فلم أجد للعويند ذكرا ، ولكنى ذكرت في كتابى هذا أن قليلا من المواضع الذى حدث فيه يوم من أيام العرب الأقدمين أو المتأخرين ثم لم يحدث فيه يوم آخر ، وقد أشرنا إلى مواضع في كتابنا هذا تكررت الأيام فيها ، وهذه عبارة من عبارات ابن بشر في تاريخه ، قال في سنة ١١٦٦ هـ ، وذكر بعض الحوادث . ثم قال : وفيها وقعة « السبلة » وهو موضع معروف بين بلد الزلفى وبين الدهنا ، وهذه الواقعة بين الظفير وبين بنى خالد ، وذلك أن بنى خالد ساروا إليهم وقائدهم : عبد الله بن تركي بن محمد ابن حسين آل حميد ، فواقعهم ، وصارت على الظفير هزيمة ، وأخذوا عليهم نعا كثيرة ، وقيل : إنها بعد دخول السابعة بعد الستين ، وكان في السنة السابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف وقعة « السبلة » أيضاً وهى مشهورة بين جلالة الملك وبين قوم من عتيبة وغيرهم : خرجوا عن الطاعة ، وخالفوا الجماعة ، واستباحوا الدماء والأموال ، فشمروا جلالة الملك لمناجزتهم ، والتقوا في السبلة الموضع الذى التقى فيه بنو خالد والظفير ، وهى بين الزلفى وبلد الأوطاية ، فانهزم البغاة ، وقتلوا قتلا ذريعا في المعركة ، ولكن جلالة الملك - حفظه الله ! - أمر ألا يتبع المدبر ؛ وكف الفرسان عن أثرهم .

وانظر عجيبه أخرى من عجائب التاريخ ، الفئة التى قاتلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى جهة النهروان كان قتاله إياهم فى اليوم التاسع عشر من شوال سنة ٣٧ من الهجرة ، واليوم الذى ناجز فيه جلالة الملك هؤلاء هو التاسع عشر من شوال سنة ١٣٤٧ هـ ، فهذا تصادف عجيب : التاسع عشر شوال ، وسنة سبع وكذا من الهجرة ، كلا الوقعتين اجتمعت فى هذا اليوم ، واليوم الذى بين بنى خالد وبين الظفير فى هذا الموضع صادف السنة السابعة أيضاً .

التصادف الثانى : قال ابن بشر فى تاريخه : ثم دخلت السنة ١١٨٧ ، وفيها كانت الواقعة المشهورة على حماد المديهم ومن معه من السعيد والظفير ، سار إليهم عبد العزيز رحمه الله تعالى ومعه غزو أهل الرياض مع دواس بن دهام ، فأغار عليهم وهم على جراب ماء معروف بين سدير والدهنا ، فاستأصل =

أما وادى الكلاب فقد بينا أنه هو الوادى الذى يقال له اليوم قَحْفُح — بضم القافين —
واسمه جاهلى ، وبيننا أنه أضيف إلى الكلاب فى فترة من الزمن لكثرة القتال والتمسك بالكلاب فيه
بين العرب ، ثم زال عنه هذا الاسم ، ورجع إليه اسمه الأول القديم ، وما زال ماء العويند باقياً
باسمه إلى اليوم .

* * *

٢٠ — وقال امرؤ القيس :

سَتِي وَارِدَاتٍ وَالْقَلِيبَ وَلَعْلَعًا مُلِثُ سِمَاكِىْ فَهَضْبَةٌ أَيَّهَبَا
فَمَرَّ عَلَى الْخُبْتَيْنِ خُبْتَى عُمَيْرَةٍ فَذَاتِ النَّقَاعِ فَانْتَحَى وَتَصَوَّبَا
فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أَعَالَى طَمِيَّةٍ أَبَسَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فَتَحَلَّبَا

واردات : تقع بهذا الاسم فى ثلاثة مواضع : الأول : قريب نفي فى جهته الشمالية الشرقية ،
وهى هضبات سود تبعد عن نفي مسافة نصف يوم ، وهى التى كان بها اليوم المعروف بين بكر
وتغلب قُتل فيه بجير بن الحارث بن عباد بن مرة ، فقال مهلهل :

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَال لَيْلَى فَقَدْ أَبْنَى مِنْ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَإِنِى قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِى دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

= جميع أموالهم ، وقتل منهم نحو الثلاثين رجلاً ، وفى سنة ١٣٣٢ الواقعة المشهورة على جراب الماء الذى
كانت الواقعة عليه بين عرب نجد ، ودارت فيه معارك عظيمة بين الفتيين ، وتكرر الوقائع فى البقاع
فى نجد لا يحصى .

قال ابن بشر فى تاريخه : ثم دخلت سنة ١٢٤٧ هـ وفى صفر منها سار فيصل بن تركى بشوكة
المسلمين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول
والعجمان وبني حسين ، فقصدوا عالية نجد ، فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف
فى عالية نجد من عتية وغيرهم ورئيسهم سلطان بن ريعان ، فانهزم الأعراب ؛ فسار المسلمون
فى ساقتهم يقتلون ويغنمون ، إلى آخر عبارة ابن بشر ، وبعد مضى سنين تقرب من ثلاثين سنة ، وقد
مات الإمام رحمه الله ؛ اجتمعت الأعراب على هذا الماء المعروف الذى مر ذكره طلال والأعراب القاطنون
عليه يرأسهم أخو الرئيس الأول مصلط بن ريعان ، وجاءهم ابن الرئيس الأول سعود بن فيصل ،
فشن الغارة عليهم كما شنوا عليهم والده ، فكانت معركة عظيمة بين الفريقين ، انظر تكرار المعارك
فى هذه البقاع ، بل نحن نقول : إن المواضع التى تكون فيها معارك فى العصر الجاهلى ثم لا تكون
فيها معارك أخرى فى العصر الحديث أقل من المواضع التى تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث .

وقال ابن مُقبل :

وَنَحْنُ الْقَائِدُونَ بِوَارِدَاتِ ضِمَابِ الْمَوْتِ حَتَّى يَنْجَلِينَا
وواردات الثانية : جبال سمر قريب سميراء معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

وواردات الثالثة : هَضَبَات تقع عن وادي رنية شمالاً ، مسافة نصف يوم .

وكلها معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ؛ فواردات الأولى : في بلاد غَنِي بن أعصر ، وواردات الثانية : في بلاد بني أسد ، وواردات الثالثة : في بلاد عقيل بن عامر .

القليب

وأما القليب فمعروفة عند العرب ، وقد يضاف إليها فيقال « هَضْب القليب »^(١) وهي تقع عن جبل كَشَب في جهته الشمالية الشرقية في أعلى الشربة والقليب هذه هي التي أُجْرِيتَ فيها داحس والغبراء ، وكانت الحربُ بين بني فزارة وبنی عبس بعد ذلك ، قال الأعشى :
من ديار بالهَضْبِ هَضْبِ القليبِ فاض ماء السرور فيض الغروبِ^(٢)

وقال مطير بن الأشيم الأسدي :

أَبَا لَصْمٍ مِنْ هَضْبِ الْقَلِيبِ أَمَرْتَنِي هَنِيْدَةً ؟ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ الْخَيْبِ

وهضب القليب بهذا الاسم قد درس ، والباقي من اسمه يقال له « هَضْب الشرار » وليس للقليب فيه ذكر .

لعلع

ولعلع : وادٍ فيه مزارع ومياه في عرض ابني شمام ، باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وفيه قصور ومزارع . قال المسيب بن عَلس الضَّبَعِي :

بَانَ الْخَلِيطُ وَرُفِعَ الْخَرْقُ فَوَادِهِ فِي الْحَى مُمْتَلِقُ
مَنْعُوا كَلَامَهُمْ وَنَائِلَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ ، وَرَهْنُهُمْ غَلِقُ
قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ وَاسْتَبَّ بِهِمْ يَوْمَ الرِّحِيلِ لِللَّعْلَعِ طُرُقُ

هضبة أهب

هضبة أهب : مضافة إلى أهب ، ذكره الشعراء في بلاد بني أسد ، ويقرن في الأشعار والأخبار بَشَرَج ، وشرح : معروف إلى اليوم بهذا الاسم وهو قريب جبل رمان ، قال النابغة^(٣) :

كَأَنَّ قُتُودِي وَالنُّسُوعَ جَرَى بِهَا مَصَكٌّ يَبَارِي الْجَوْنَ جَابٌ مُعْقَرَبُ
رَعَى الرُّوَضَ حَتَّى نَشَتِ الْغُدْرُ وَالْقَوْتُ بَدَجَلَاتِهَا قِيْعَانُ شَرَجٍ وَأَيْهَبُ

الحبث

أما الحبث : فهو المستوى من الأرض المنخفضة ، وعنيزة : هي عنيزة الموجودة اليوم الواقعة

(١) وربما سمو القليب « ذات الإصاد » .

(٢) الغروب : جمع غرب ؛ وهو الدلو . (٣) المعجم ٣٩٧/١ والديوان ٢٠

عنيزة

في شرق القصيم الجنوبي ، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

تراءت لنا يوماً بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقُلُوصُ

قال أبو عبيدة ^(١) السكوني : استخرج عنيزة محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أمير على البصرة . وقيل : بل بعث الحجاج رجلاً يحفر الميأة في الشجا بين البصرة ومكة . فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، يعني امرأ القيس ، حين قال :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا بما أحال على الوادي

وقال جرير :

أمسى خليلك قد أجداً فراقاً هاج الحزين وهيج الأشواقا

إلى أن قال :

إن الفؤاد مع الذين تحمّلوا لم ينظروا بعنيزة الإشرافا ^(٢)

وقال كليب أخو مهمل :

غداة كأننا وبني أبينا بمنب عنيزة رحيماً مديراً

وقال رجل من الأعراب وأدخل عليها الألف واللام :

لعمري لَصَبٌ بالعنيزة صائف تَصَحَّى عرادا فهو ينفخ كالقمر

أحب إلينا أن يحاور أهلها من السمك الجريث والسلجم الوخم ^(٣)

والصحيح : أن الذي اكتشفها هو عبد الله بن عامر بن كريز الذي اكتشف النباح المسماة اليوم الأسياح .

النقاع : قال في معجم البلدان ^(٤) النقاع : جمع نقيعة ، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الماء ،

وهي خبارى في بلاد بني تميم . والباقي بهذا الاسم إلى اليوم « النقيعة » وهي : روضة تمسك

الماء ، وفيها قصر ومزارع ، وهي واقعة بين ضرمي ^(٥) وبين طريف الحبل ، وقد كان لها هذا الاسم

قديماً ، قال جرير :

خليلي هيجاً عبرةً وقفنا بنا على منزل بين النقيعة فالحبل

(١) معجم البلدان ٦ / ٢٣٤ . (٢) لم ينظروا : معناه هنا لم ينتظروا .

(٣) في معجم البلدان « من السمك الحريت والسلجم الوخم » وهو تحريف ما أثبتناه ،

والجريث : نوع من السمك . (٤) المعجم ٨ / ٣٠٦ .

(٥) ضرمى يقال لها في العهد الجاهلي قرما انظر المعجم (ص ٦١ ج ٧) .

والنقيع : هو النقيع المجاور للمدينة ، قال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :
أرقتُ لبرقٍ مستطيرٍ كأنه مصابيحٌ تخبُّو ساعةً ثم تلمحُ
يضىء سناه لى شرَّ ورى ، ودونه بقاعُ النقيعِ أوسنا البرق أنزح
وقال أبو صخر الهذلي :

قُضاعية أدنى ديارٍ تحلَّها قناة ، وأننى من قناة المحصب ؟
ومن دونها قاعُ النقيع فأسقف فبطن العقيق فالخبيثُ فعتبُ
ونقيع المدينة ، ونقيعة اليمامة : كلها باقية بهذه الأسماء لم تتغير إلى يومنا هذا .

طمية

وأما طمية فهضبة رفيعة في بلاد بني أسد ، باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ويليهما جبل يقال
له « عكاش » وفي أخبار الأقدمين - إذا تزوج الرجل امرأة ، ودامت عشتريهما - قالوا : تزوج
عكاش طمية ، وعكاش وطمية : باقيا بهذا الاسم قريب الحاجر والنفرة ، قال الشاعر :
تزوج عكاش طمية بعدما تأيَّم عكاش وكاد يشيب
وقال السمهري اللص :

أعنى على برق أريك وميضه يشوق إذا استموضحت برقاً عنانيا
أرقتُ له والبرقُ دون طمية وذى نجب ، ما بعده من مكانيا !
وقال الشاعر :

أتين على طمية ، والمطايا إذا استبحثن أتعبن الجرورا
وقال عمرو بن لجأ :

تأوبنى ذكرك لزولة كالخبل وما حيث يلقي بالكثيب ولا السهل
تحلُّ وركن من طمية حزنها وجرفاء مما قد يحلُّ به أهلى
تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذى يُرضى الأخلاء بالبخل
وطمية وعكاش : واقعان في ربوة مرتفعة شمالى وادى الرمة .
قال مصنف هذا الكتاب : إني قد مررت بهما كثيرا في أسفارى وتجولاتي في نجد .

* * *

٢١ — وقال امرؤ القيس :

وهى من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذى نحن فيه :
قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى جرداء معروقة اللحيين سُرحوب

كَأَنَّ صَاحِبَهَا إِذْ قَامَ يُلْجِمُهَا مَغْدُ عَلَى بَكْرَةٍ زُورَاءَ مَنْصُوبٍ^(١)
إِذَا تَبَصَّرَهَا الرَّأُؤُونَ مَقْبَلَةً لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وَتَجَيَّبُ^(٢)
إِلَى أَنْ قَالَ :

كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءُ وَاحْتَفَلَتْ صَقْعَاهُ لَاحَ لَهَا فِي الْمَرْقَبِ الذِّيبُ^(٣)
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُ مِنْ أُمَمٍ إِنْ الْبَلَاءُ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَنْصُوبُ
كَالدُّلُو ثَبَّتْ عُرَاهَا وَهِيَ مَثْقَلَةٌ إِذْ خَانَهَا وَذَمَّ مِنْهَا وَتَسْكِرِبُ^(٤)
وَالَّذِي دَعَانَا إِلَى إِيْرَادِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الدُّلُو وَعُرَاهَا وَوَذَمَّهَا وَالتَّسْكِرِبَ وَجَمِيعَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ
بِمَعَانِيهَا بَاقِيَةً مِنْ عَهْدِ امْرِئِ الْقَيْسِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَالْوَذَمُ : حَبِيلَاتٌ تُشَدُّ بِهَا عِرَاقُ الدُّلُو ،
وَالتَّسْكِرِبُ : حَبْلٌ فِي الْعِرَاقِ يُجْعَلُ فِيهِ الرِّشَاءُ .

٢٢ - قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

غَشِيَتْ ذِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكْرَاتِ فَعَارِمَةٌ فَبُرْقَةٌ الْعَيْرَاتِ
فَنَفِي خَلَيْتِ فَأَكْنَفَ مَنَعِجٍ إِلَى عَاقِلٍ فَالْجُبُّ ذِي الْأَمْرَاتِ^(٥)
أَمَّا الْبَكْرَاتُ وَعَارِمَةٌ وَالْعَيْرَاتُ ، فَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى أَسْمَائِهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا
فِي جِهَةِ الْوَشْمِ .

وَالْبَكْرَاتُ : بَيْنَ الْقَصَبِ وَثَادِقٍ مِنْ بِلْدَانِ الْوَشْمِ وَهِيَ هَضْبَاتٌ سَوْدٌ ، قَالَ جَرِيرٌ :
هَلْ رَامَ جَوْ سُوَيْقَتَيْنِ مَكَانَهُ أَوْ أَبْكَرُ الْبَكْرَاتِ أَوْ تَغْشَارُ^(٦)
وَأَعْظَمُ الْبَكْرَاتِ : هَضْبَةٌ يُقَالُ لَهَا : الْغَرَابَةُ ، وَهِيَ سَوْدَاءُ .

وَأَمَّا عَارِمَةٌ : فَهِيَ طَرَفُ الْعَرْمَةِ الْوَاقِعِ عَلَى طَرَفِ الْعَكِّ مِمَّا يَلِي الْبَكْرَاتِ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ

(١) الْمَغْدُ - بِالْفَتْحِ - الدُّلُو الْعَظِيمَةُ .

(٢) التَّجَيَّبُ : ارْتِفَاعُ الْبَيَاضِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى جَنْبِ الْفَرْسِ .

(٣) الصَّقْعَاءُ : الْعُقَابُ .

(٤) الْوَذَمُ - بِالتَّحْرِيكِ - السُّيُورُ تَكُونُ بَيْنَ آذَانِ الدُّلُو .

(٥) رَوَايَةُ الْدِيْوَانِ « فَعُولٌ خَلَيْتِ فَأَكْنَفَ مَنَعِجٍ » وَفِي مَعْجَمِ يَاقُوتَ « فَعُولٌ فَخَلَيْتِ فَنَفِي »

فَمَنَعِجٍ » .

(٦) رَامَ مَكَانَهُ : تَحَوَّلَ عَنْهُ .

من ذكرها في الأشعار ، قال الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيْرِي :

أقول لعِيَّاشٍ صحبنا وجابر وقد حال دوني هَضْبُ عارمةَ الفَرْدُ
قِمًا فانظرًا نحو الحِمَى اليومَ نظرةً فإن غداةَ اليوم من عُهْدَةِ العهد
فلما رأينا قُلَّةَ البِشْرِ أَعْرَضَتْ لنا وجبالَ الحَزْنِ غَيِّبَهَا البُعْدُ
أَصَابَ جَهولَ القومِ تَتَعَثَّمُ ما به فحَنَّ ولم يملكه ذو القوةَ الجَلْدُ

برقة العيرات

وأما بُرْقَةُ العِيرَاتِ : فهي واقعة في السكثيب الواقع بين بلدان الوشم ، ويقال له اليوم « أبرق العيرة » وهذه المواقع التي سبق ذكرها باقية على أسمائها إلى يومنا هذا ، فإذا قلنا : إن الشاعر لم يقصدها بقوله ؛ لأنه عطف على البكرات وعارمة وبرقة العيرات نَفْيًا وَحَلِيَّةً وَأَكْنَافَ مَنَعِجٍ ثم قال « إلى عاقل فالجب ذى الأمرات » قلنا : لا ، بل ذلك مما يؤيد أنه أرادها ، وهذا الذي ذكره امرؤ القيس في أبياته المذكورة تحديدًا متقارب جميل ، أما البكرات فهي البكرات المشهورة في حدود الحِمَى في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تقع من ضَرْبَةٍ على مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس ، وهي هَضْبَاتٌ مُحَرَّمٌ فيها بياض ، ويقال لها اليوم « البكرى » يعرفها بهذا الاسم اليوم جميع أهل نجد .

نقى

وأما نَقْيٌ فهو وادٍ مشهورٌ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمه في الجاهلية ، وهو واقع بين جيلة وواردات ، وفيه يقول خالد بن سعيد :

كأني بالأحْزَةِ بين نَقْيٍ وبين مَنَى على كَتَفَى عُقَابٍ

وأما مَنَى : فهي هَضْبَةٌ سَحْرَاءُ طَوِيلَةٌ تقع من نَقْيٍ على مسافة يوم من الجهة الغربية ، وبها بئر عذبة يأتي السكلام عليها في معلقة لبيد ، ونَقْيٌ امتدَّ إليه الحِمَى في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان به عين عظيمة في ذلك الزمن فدفنتها غنى بن أعصر في زمن ابن الزبير أيام الاختلاف وهي على دَفْنِهَا إلى يومنا هذا .

حليت

وأما حَلِيَّتٌ : فهو جبال سُود تقع من نَقْيٍ على مسافة يوم في جهته الغربية الجنوبية ، وبه معدن في جبل أسود يقال له « الغرابي » قال الراعي :

* بِحَلِيَّتٍ أَقْوَتَ مِنْهُمْ وَتَبَدَّلَتْ *

وحليتُ باقي هذا الاسم إلى يومنا هذا ، ومن مياهه الأُرطاوى يقع في شرقيه .

وأما مَنَعِجٌ ، فهي جبال « دخنة » البلاد المشهورة اليوم بأيدي حَرْبٍ ، ولكن هذا الاسم قد

منعج

تغير اليوم ، ويومُ منْعَج^(١) : من أيام العرب ابني يَرْبوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم على بنى كلاب ، وفي منْعَج يقول جرير وقد ضم إليه عاقلا :

لعمرك لا أنسى ليالى منْعَج ولا عاقلاً إذ منزل الحى عاقل

وأما عاقل : فهو وادٍ يصب في وادى الرمة يُنَاح «دخنة» التى ذكرنا أنها منْعَج ، وعاقل باقى على اسمه إلى اليوم ، ولكنه يقال له «العاقل» وقالت حُمْل لما ذهبت الفزr بإبلها تشجّع قومها^(٢) :

بنى الفزr ماذا تأمرون بهجْمة تَظَلُّ لأبناء السبيل مُنَاخَة
على الماء يعطى درُّها ورقابُها أقول وقد ولّوا بنهب كأنه
قداميس حَوْضى رملها وهضابها أَلْهَمَى على يوم كيوم سَوَيْقَة
شَفَى غُلَّ أ كبادٍ فساغ شرابها فَإِنْ لها بالليث حَوْلَ ضَرِيَّة
كقائب لا يخفى عليه مصابها إذا سمعوا بالفزr قالوا غنيمة
وعودة ذل لا يُخاف انتصابها بنى عامر ، لاسلم للفزr بعدها
ولا أَمْن ما حنّت لسفر ركابها فكيف اختلابُ الفزr شَوْلِي وصبيتي
أراملُ هَزَلِي؟ لا يحلُّ احتلابها وأربابها بين الوحيد ومنْعَج
عُكُوفاً تراءى سربها وقبابها أَلَمْ تعلّم يا فزr كم من مُصَابَة
أهين بها الأعداء ناب منابها وكُلُّ دِلَاصٍ ذات نيرين أحكمت
على مرة العافين يجرى حبابها وأن رُبَّ جارٍ قد حَمِينَا وراءه
بأسيافنا والحرب يَشْرَى ذُبَابُهَا

وقال النابغة :

كأى شددت الكور حين شدته على قارح مما تَضَمَّنَ عاقل

وقال مالك بن حطان السليطي :

وليتهم لم يركبوا فى ركوبنا وليت سليطا دونها كان عاقل

وقال جرير :

لمن الديار بعاقلي فالأنعم كالوحي فى ورق الزبور الأعجم

وقال رجل من المعمرين :

(١) انظر أخبار يوم منْعَج فى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٣٠ وفى مجمع الأمثال ٢ / ٢٦٨ وفى الأغاني ١٠ / ٩ وما بعدها . (٢) ذكر هذه الأبيات ياقوت فى معجم البلدان ٨ / ١٨٠ .

وأعقل حُجراً ذا أُرَّارٍ بعَاقِلٍ وأيامَ بكَرٍ إذ تعادَت وتغلبِ
وقال زهير :

لَمَنْ ظَلَّلَ كَالوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عفا الرُسُ مِنْهُ فَالرَّسِيسُ فَعَاقِلُهُ
وقال عميرة بن طارق اليربوعي :

وإني أحب الرمثَ من أرض عَاقِلٍ وصوتَ القَطَا في الطَّلِّ والمطر الضربِ
وإن أك في نجدٍ - سقى اللهُ أهله بمَنَانَةٍ مِنْهُ ! - فقلبي على قربِ
وقال لمبيد بن ربيعة :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهَا وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرٍ
وَنَاحِيَتَانِ تَنْدُبَانِ بَعَاقِلٍ أخا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أُنْثَى
وهذه أشعار متقدمة في ذكر عاقل الذي يسمي اليوم « العاقل » .

وأما الجبُّ ذو الأَمَرَاتِ فهو بئر يقع في طرف « إمرة » لأن الجب يطلق على البئر ، وإمرة هي التي ذكرها امرؤ القيس باسم ذى الأَمَرَاتِ يقال لها « امرة » بهذا الاسم إلى يومنا هذا . قال في معجم البلدان ^(١) : « وإمرة : منزل من منازل الحاج في طريق مكة من البصرة ، وهي بعد رامة » وهذا صحيح أنها بعد رامة للقاصد مكة ، قال الشاعر :

أَلَا هَلْ إِلَى عَيْشِ بِأَمْرَةِ الْحِمَى وَتَكْلِيمِ لَيْلِي مَا حَيِّتُ سَبِيلُ
وقال الراعي ^(٢) وقد خَفَّفَ الميم لضرورة الشعر :

قُبُّ سَمَاوِيَةٍ ظَلَّتْ مُحَلَّاةٌ بِرِجْلَةِ الدَّارِ فَالرَّوْحَاءُ فَالْأَمَرِ
كَانَتْ مَذَانِبَهَا خُضْرًا فَقَدْ يَبْسُتْ وَأَخْلَقْتَهَا رِيَاضُ الصَّيْفِ بِالْفُذُرِ

وإمرة : هضبة يكنفها أبارق بالقرب من سواج الجبل المشهور في الجاهلية بهذا الاسم ، وفي بطنه مياه كثيرة ، وقد غرس به أهل الشيمكية بلد الذويبي الحربي نخيلاً كثيرة مشرعة في الماء ، وهو واقع من إمرة في الشمال الغربي على مسافة أقل من نصف يوم .

وقال شاعر أيام الفتوحات في صدر الإسلام :

أَقْبِلْنَ مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سَوَاجٍ وَالْقَوْمُ قَدْ مَلُّوا مِنَ الْإِدْلَاجِ

(١) المعجم ١ / ٣٣٥ وضبط إمرة هذه بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة بعدها راء مهملة .

(٢) جعل ياقوت شعر الراعي في موضع اسمه « أمر » بفتح الهمزة والميم جميعاً وذكر أنه موضع بالشام .

وقال نعيم بن أبي بن مقبل :

وَحَلَّتْ سَوَاجَا حَلَةً فَكَاثِمًا بِحَزْمِ سَوَاجٍ وَشَمِّ كَفِّ مَقْرَحٍ

قال في معجم^(١) البلدان ، ومنهم من يقول : سواج طخنة ، وقال على ذكر سواج : النائعان جبلان بين أبان وسواج طخنة ، وهذا تحديد صحيح ، والنائعان باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، يقال لأحدهما « النائع » وللآخر « النويج » وهما بين أبان وسواج ، وقال جرير :

إِنَّ الْعَدُوَّ إِذَا رَمَوْكَ رَمِيَتِهِمْ بَذَرَى عِمَايَةَ أَوْ بِهِضَبِ سَوَاجٍ

والأشعار فيه كثيرة .

وجميعُ المواضع الذي ذكرها امرؤ القيس في أبياته المتقدمة - وهي : البكرات ، ونقي ، وحليت ، ومنعيج ، وعافل ، والأمرات - كلها باقية بهذه الأسماء إلى يومنا هذا ، أفصاها مما يلي القصيم عافل الذي يقال له اليوم « العاقل » وأعلاها مما يلي جنوبى الحلى « البكرات » التي يقال لها اليوم « البكرى » والتي هي هضاب حمر يغشاها بياض ، وهي واقعة في هضبات سود عنها جنوبى كبشات وغيرها ، وهضاب حليت سود كأنها غربان ، وما كان من البكرات شمالا فجبالة حمر كغول وطخنة ومنى التي يقال لها اليوم « منية » يطوف الراكب المجذو على هذه المواضع في يومين ، وبقية المواضع المذكورة في هذه الأبيات واقعة بين البكرات وعافل ، وأما عارمة وبرقة العيرات فموضعها كما تقدم ذكره .

* * *

٢٣ - وقال امرؤ القيس ، وهو في بلاد الروم في قصيدة هذا مطلعها :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي حُجْرٍ بَنِ عَمْرٍو وَأَبْلُغُ ذَلِكَ الْحَى الْجَدِيدَا
بَأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ بَعِيدَا مِنْ دِيَارِكُمْ بَعِيدَا
وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمِي لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ ، لَا خُلُودَا
وَلَوْ صَادَفْتُهُنَّ عَلَى أُسَيْسٍ وَحَاقَةً إِذْ وَرَدَنَ بِنَا وَرُودَا
عَلَى قُلُوصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَرْمَتْهُنَّ مَا يَعْدُقْنَ عُودَا

أما أُسَيْسُ فقد قال في معجم البلدان :^(٢) أسيس في بلاد بني عامر بن صعصعة ، واستشهد بميت امرئ القيس هذا ، وأنا لا أعلم في بلاد بني عامر موضعاً بهذا الاسم ، ثم قال في المعجم عن

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ١٥٨ .

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٢٥٠ .

ابن السكيت : إنه في شرق دمشق ، قال هذا في تفسير قول عدى بن الرقاع :

قد حَبَّأَنِي الْوَلِيدُ يَوْمَ أُسَيْسٍ بِعِشَارٍ فِيهَا غِنًى وَبَهَاءٌ

وظنى أن « أسيس » كما ذكر ابن السكيت في شرق دمشق ، وأنا لأعرف مياه تلك الناحية فإذا صح أن أسيس في شرق دمشق فالصواب في إنشاد البيت « حافة » في موضع « حاقة » لأنه قال في معجم^(١) البلدان : الحفة - بالفتح والتشديد - كورة في غربي حلب فيها عدة قرى ، وقيل : إن الثياب الحفمية تنسب إليها ، فيكون رواية البيت :

ولو صادفتهم على أسيس وحافة إذ وردن بنا ورودا

قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم^(٢) : إن أسيس : قريب دمشق ، واستشهد بقول عدى بن الرقاع العالمي .

ويعلم القارئ أننا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية - كمرىء القيس وغيره - وليست من شعر الجاهلية ، فإن بينها وبين أشعار الجاهلية فرقا شاسعا في المعنى ، والعهد في ذلك على من رواها منسوبة إلى هؤلاء الشعراء ، ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الإفاضة في ذكرها .

* * *

٢٤ - وقال امرؤ القيس :

لِلَّهِ زَبَدَانُ أَمْسَى قَرَقَرًا جَلَدًا وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمَّ مَنضُودًا

يعنى بذلك الزبدانى الكورة المعروفة بين دمشق وبعليك^(٣) ، ومنها يخرج نهر دمشق وقد سكن الباء وحذف الياء لأجل ضرورة الشعر .

* * *

٢٥ - وقال امرؤ القيس :

تَرَأَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَا مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي

وقد تقدم الكلام على عنيزة^(٤) والنقا : من الأكتبة المتراكمة على جانبها الغربي ، فأما الشجا : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٢٦ - قال امرؤ القيس في قصيدته التي قالها وهو في طريقه إلى قيصر ملك الروم :

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٠٢ (٢) انظر معجم ما استعجم ١ / ١٥٢

(٣) معجم البلدان ٤ / ٣٧٤ (٤) انظر ما ذكرناه عنها في ص ٤٨ وما بعدها من هذا الجزء .

سَمَّا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا
كِنَانِيَّةٌ بَأَنْتَ وَفِي الصَّدْرِ وَدُّهَا مُجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَعْمُرَا
بِعَيْنِي ظُنَنَ الْحَيَّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ قَيْمُرَا

عرعر: هو ماء في الهضب الواقع في القطعة الجنوبية من نجد ، يقال لهذا الهضب اليوم « هضب آل زايد » والماء يقال له « عراعر » معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد ، وهو واقع في الجهات التي ذكرها امرؤ القيس في أول^(١) معلقته ، وقال شاعر من بني عميرة ، ذكره صاحب التكملة لما ذكر عراعر وأنها أرض سبخة :

وَلَا تُنَبِّتُ الْمَرْعَى سَبَاخَ عَرَاعر وَلَوْ غُسِّلَتْ بِالمَاءِ سِقَةً أَشْهر
الأفلاج : أودية معروفة بهذا الاسم إلى اليوم فيها نخيل وقصور ومزارع ، وهي معمورة ، قال في معجم^(٢) البلدان : الأفلاج تقع في العارض في جهة مطلع الشمس ، وقد أصاب في هذا التحديد ، فما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادي الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج ، وهي بلد الحجر . والهدار ، والسقارة ، والخرفة ، وليلى - وهي عاصمة تلك الفاحية - والسيح ، والغيل ، والعمار . وحراضة ، وواسط ، ووسيلة ، ومروان ، والزريقية ، والروضة ، والبديعية ، وسويدان ، جميع هذه القرى يقال لها الأفلاج ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد إلى يومنا هذا . وقد أطلت الكلام عليها صاحب معجم البلدان ، وذكرها ذكراً وافياً ، وأكثره أصاب فيه ، وقال رجل من بني هزّان :

سَلُوا فَلَجَ الْأَفْلَاجِ عَنَا وَعَنكُمْ وَأَكْمَةً إِذْ سَالَتْ سَرَارُهَا دَمَا
عَشِيَةً لَوْ شِئْنَا سَبَيْنَا نِسَاءَكُمْ وَلَكِنْ صَفَحْنَا عِزَّةً وَنَكْرَمَا
عَشِيَةً جَاءَتْ مِنْ عَقِيلٍ عِصَابَةٌ تَقْدَمُ مِنْ أَبْطَالِهَا مَنْ تَقْدَمَا

وقال القحيف العقيلي :

بَدَأْنَا فَقَلْنَا أَثَابَ الْبَحْرِ وَاكْتَسَتْ أَسَافِلُهُ حَتَّى ارْجَحَنَّ وَأَوْدَا
أُمُّ التَّيْنِ فِي قُرْيَانِهِ ثُمَّ نَبَتْهُ خَضِيدٌ وَلَوْ لَا لَيْنُهُ مَا تَخَضَّدَا
أُمُّ النُّخْلِ مِنْ وَادِي الْقُرَى انْحَرَفَتْ لَهُ يَمَانِيَةً هُنَّ الْقَنَا فَنَأَوْدَا
سَقَى فَلَجَ الْأَفْلَاجِ مِنْ كُلِّ هِمَّةٍ ذِهَابٌ تَرْوِيهِ دِمَائًا وَقَوْدَا

(١) انظر ما ذكرناه عنها في ص ١٨ من هذا الجزء .

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٣٠٦ وانظر أيضا ٦ / ٣٩٢ برسم « فلج » .

به نجد الصيّد الغريب ، ومنظراً أنيقاً ، ورخصات الأنامل خرّدا
وقال الجعدى وتلك الناحية لبني جعدة وقشير وعقيل :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج نحن منعنا سَيْلَه حتى اعتلج
ويوم فلج لبني عامر على بني حنيفة ، قال القحيف العقيلي ، وقد جمع يوم النشاش ويوم
فلج في كلا البيتين :

تركنا على النشاش بـكَر بن وائل وقد نهلت منها السيوف فعلت
وبالفلج العاديّ قتلى إذا التقت عليها ضباع الغيل باتت وظلت
والغيل المذكورة في هذا البيت هي من قرى الأفلاج المذكورة بهذا الاسم .
وقيمر : لم يبق منها اليوم شيء بهذا الاسم إلا موضعاً يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية
الشرقية ، جبل فيه أبارق يقال له الجنة ، وأرض يقال لها الأجر فيها مياه ، وهي قريب من
الجنة بين الأفلاج ووادي الدواسر ، وهي التي عنها امرؤ القيس بقوله : « لدى جانب الأفلاج
من بطن قيماً » .

* * *

٢٧ - وقال امرؤ القيس في ذكر الظعينة :

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقِ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا
أَوْ أَمْسَكَرَاتٍ مِنْ نَحِيلِ ابْنِ يَامِنْ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلْدِينَ الْمُسْقَرَا
أما الصفا : فهو اليوم قصبة المبرز الواقعة في بلد الأحساء ، ولا يزال بهذا الاسم على تحديد
الرواة وأهل المعاجم ، قال لبيد بن ربيعة ^(١) :
سُحِقُ بَمَنْسَعَةِ الصَّفَا وَسُرِيَّةٍ عُمُ نَوَاعِمُ يَنْهَنُ كُرُومُ
وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كَأَنَّ الْفَادِيَاتِ عَنِ الصَّفَا مَذَارِعَهَا وَالسَّكَارَاتِ الْحَوَامِلَا
بِذِي شَطْبٍ أَحْدَأْجُهُمْ إِذْ تَحْمَلُوا وَحَثَ الْحَدَاةُ الْفَاجِيَاتِ الذَّوَامِلَا
قال في معجم البلدان ^(١) عن ابن النقيه : الصفا : قصبة هجر ، ويوم الصفا من أيامهم .
قال جرير :

تركتهم بوادي رَحْرَحَانَ نساءكم ويوم الصفا لا يقيتم الشعب أوعرا
(١) معجم البلدان ٥ / ٣٦٥ .

والصفا الذي ذكره امرؤ القيس في هذه القصيدة لا أشك في أنه في نواحي هجر ، لكن لم يهتد إليه أحد ، ولا يُعرف اليوم موقعه بهذا الاسم .

والمشقر : في هَجَر ، ولا يعرف اليوم بهذا الاسم ، وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر المشقر ابن الجارود رئيس عبد القيس في هجر ، وكان قد أجاره فخر عبید الله بن زياد جواره ، وأخذه منه ففعل به ، فقال ابن مفرغ يهجو المنذر (١) :

تَرَكَتُ قَرِيشًا أَنْ أَجَاوَرَ فِيهِمْ وَجَاوَزْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمَشْقَرِ
أَنَاسًا أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارُهُمْ أَعَاصِيرَ مَنْ فَسَوَ الْعِرَاقَ الْمُبْدِرِ
فَهَلَا بَنَى الْإِفَاءَ كُنْتُمْ بَنَى أَسْتَهَا فَعَلَّمْتُمْ فَعَالَ الْعَامِرِيَّ ابْنَ جَعْفَرِ
حَتَّى جَارَهُ بَشْرَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ مَرْثِدٍ بِأَلْفِ كَمِيٍّ فِي الْحَدِيدِ مُكْفَرِ

وكانت هَجَر في القديم من الزمان لإياد ، ولما قدمت عبد القيس البحرين أخرجوا إيادا منها قهراً ، ونزلوا فاستقروا بها إلى الآن ، وقال عمرو بن أسوى العبقي :

أَلَا أَبْلَغَا عَمْرٍو بْنَ قَيْسٍ رِسَالَةً فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ نَائِبِ الدَّهْرِ وَأُضْبِرْ
شَحَطْنَا إِيَادًا عَنْ وَقَاعٍ وَقَلَصْتُ وَبَكَرْنَا تَقِينًا عَنْ حِيَاضِ الْمَشْقَرِ
وَلَا يُعْلَمُ فِي جِهَاتِ هَجَرِ الْيَوْمِ مَوْضِعُ بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَأَمَّا الْمَشْقَرُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو ذُوَيْبِ
الْهُذَلِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ الْعَيْنِيَّةِ :

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ بَصَقَا الْمَشْقَرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرِعُ
فَهُوَ جَبَلٌ فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ بِهَذَا الْأَسْمِ .

* * *

٢٨ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ دُمِي سَقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرَمَرٍ كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا

أما سَقْف (٢) فهو ماء معروف في جبل صغير منقطع من جبل رمان الواقع في بلاد طيء . سَقْف أعرفه ، وقد وردت ، يعد من مياه رمان الجبل المشهور ، ورمان طرفه الجنوبيُّ محاذٍ لبلاد بني أسد

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٨ / ٦٥ .

(٢) يضبطه قوم بفتح السين ويضبطه آخرون بضمها ، وذكر ياقوت (المعجم ٥ / ٩٤) عن نصر أن سقفا جبل في ديار طيء ، وقال بعد ذلك « وقيل : ماء لطيء بإزاء سمراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة » اهـ .

وطرفه الشمالى واقع في بلاد طيء ، وسقف : في طرف رمان الشمالى الغربى مما يلي القرية التى يقال لها الغزالة ، ولم أر للغزالة ذكراً في كتب المعاجم ، إلا رواية عن الأصمعى على ذكر « الغزایل » في معجم البلدان ، قال : هو ماء بنجد لعبادة خاصة يقال له « ذو غزایل » .

الساجوم

أما الساجوم : فقد غلط فيه كثير من الشراح ، حيث زعموا أنه موضع قريب سقف ، ولكنه في هذا البيت بعينه نوع من ألوان الصبغ ، وقد قال في القاموس « والساجوم : صبغ »

* * *

٢٩ — قال امرؤ القيس :

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى حَمَلِي خُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَ
فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ وَالْأَلُّ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنَيْكَ مَنَظَرًا
تَقَطَّعُ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
أما نجد : فلا أعلم فيها موضعاً يقال له حملي ، ووجدت موضعاً في معجم^(١) البلدان يقال له « خميل » واستشهد بقول جرير :

حملي

أَلَا حَيَّ الدِّيارَ وَإِنْ تَعَفَّتْ وَقَدْ ذَكَرْنَا عَهْدَكَ بِالْخَمِيلِ
وَكَمْ لَكَ بِالْمُجْمِرِ مِنْ مَحِلٍّ وَبِالْعِزَافِ مِنْ طَلَلٍ مُحِيلِ
أما أوجر فلا أعلمه في بلاد العرب ، لكن قال في معجم^(٢) البلدان : أوجار قرية في البحرين لبني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ، وارتفع بهذا النسب إلى عبد القيس .

أوجر

وأما حوران : فهو كورة واسعة من أعمال دمشق ، مشهورة بهذا الاسم ، سكنتها العرب بعد الفتح ، وبقيت فيها إلى يومنا هذا ، وتقع حوران من دمشق في جهتها الجنوبية أمام المصلى بدمشق المتجه إلى بيت الله الحرام ، قاعدتها بُضْرِي ، وفيها قرى ومزارع ، وفيها جبل الدروز ، قال جرير :

حوران

هَبَّتْ شِمَالًا فذَكَرَى مَا ذَكَرْتَكُمْ عِنْدَ الصَّفَا الَّتِي شَرَقَ حَوْرَانَا
هَلْ يَرْجِعَنَّ ، وَلَيْسَ الدَّهْرُ مَرْتَجِعًا ، عَيْشٌ بِنَا طَالَمَا أَحْلَوْا وَمَا لَانَا
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ولّى علقمة بن علاثة حوران ، فقصدته الخطيئة الشاعر ، فوصل حوران وقد انصرفوا عن قبره ، فقال عند ذلك :

لَعَمْرِي لَنَعَمَ الْمَرَّةُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَى أَقْصَدْتُهُ الْحَبَائِلُ

لقد أقصدت مجداً وجوداً وسودداً وحلماً أصيلاً خالفته المجاهل
وما كان بيني لولقيمتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل
فإن تحي لم أملك حياتي ، وإن تمت فما في حياتي بعد موتك طائل
وقد افتتحت حوران صلحا في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تجد ذلك في كتب
التاريخ على ذكر بصرى .

وأما حماة وشيزر : فهما معلومتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، أطال الكلام عليها صاحب
معجم البلدان ومما قاله عنهما ^(١) : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ منها في سنة ١٧ خلف بها عبادة
ابن الصامت ، ومضى نحو حماة ، فلقاه أهلها مدعين ، فصالحهم على الجزية في رؤسهم ، والخراج
على أرضهم ، ومضى إلى شيزر فكان حال حماة ، وقد ذكرها الشعراء في أشعار كثيرة .

* * *

٣٠ — وقال امرؤ القيس :
وَلَمْ يَنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَانًا وَخَمَلًا لَهَا كَأَقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرًا
كَأَثَلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْشَةَ وَدُونَ الْغُمِّمِ عَامِدَاتٍ بَغُضُورًا
أما بيشة : فيأتى الكلام عليها في معلقة لببى إن شاء الله تعالى .

وأما « الغميم » ، وغضور « فهما موضعان معروفان بهذا الاسم إلى يومنا هذا .
أما الغميم : فهو معروف في طرف أجا الغربى الجنوبى ، قال شبيب بن البرصاء :

ألم تر أن الحمى فرَّقَ بينهم نوى بين صحراء الغميم لجوج
فأصبح مسروراً ببيتك معجباً وبالك له عند الديار نشيج
وقد أكثر الشعراء من القول في هذا الموضع الذى لا يزال معروفاً بهذا الاسم ،
قال كثير ^(٢) :

قم تأمل فأنت أبصر منى هل ترى بالغميم من أجمال
قاضيات لبانة من مناخ وطواف وموقف بالخيال
فسقى الله مُتَوًى أم عمرو حيث أمت به صدور الرِّحَالِ

(١) المعجم ٣ / ٣٣٦ .

(٢) ذكر ياقوت (المعجم ٦ / ٣٠٨) أن أبيات كثير هذه في « الغميم » بفتح الغين ، وأبيات
شبيب بن البرصاء السابقة في « الغميم » بضم الغين .

وقال جرير ، وقد صغره :

يا صاحبي هل الصبح مُنيرُ أم هل للوم عَوَازِلِي تغيّرُ
أنيّ تكلفُ بالغُمِيمِ حاجةً نهياً حَمَامَةً دونها وجفيرُ
ليتَ الزمانَ لنا يَعُودُ يَبْسُرُهُ إن اليسيرَ بذا الزمانَ عسيرُ

غضور

وأما « غضور ^(١) » : فهو ماء معروف غربي جبل رمان ، يقع قريب سَقَف في جنوبيه الغربي ، في طرف حرّة سوداء ، وقد وردته ، وهو ماء كثير كأنه عين جارية طام عليه العَرْمَضُ والطحلب ، وهو باقٍ على اسمه إلى اليوم يعرف عند جميع الناس بغضور .

قال عروة بن الورد في قصيدة له :

عفت بعدنا من أم حَسَّانَ غُضُورُ وفي الرمل منها آية لا تغيّرُ
وقال رجل من بني أسد :

تبعْتُ الهوى ياطيبَ حتى كأنني من أجلكَ مضروسُ الجريرِ قَوُودُ
تَعَجَّرُ دَهراً ثم طاولَ قلبه فصرَّفه الرِّوَاضُ حيث تريدُ
وإن زيادَ الحبِّ عنك وقد بدتْ لعينيك آياتُ الهوى لشديدُ
وما كلُّ مافي النفس للناسِ مُظْهَرُ ولا كل مالا تستطيع تَدُودُ
فـيا أيها الرِّيمُ الحَلَى لَبَّانهُ بكرمينِ كرمي فِضَّةٍ وفريدُ
أجدى لا أمشي برمانَ خاليا وغُضُورُ إلا قيل أين تريدُ

* * *

٣١ - وقال امرؤ القيس في وصفِ راحلته :

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ رَجُلَهَا حَذَفُ أَعْسَرَا
كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تُطِيرُهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُشْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا ^(٢)

عبقر

ذكروا أن « عَبَقَر » موضعٌ في اليمن كثيرُ الجن ، وإليه تُنسب الحلالُ العبقرية ، وأما « عباقر » فهو ماء في نجد لبني فزارة قال ابن عنمة :

أهلي بنجدٍ ، ورَحَلِي في بيوتكمُ على عَبَاقِرٍ من غَوَرِيَّةِ الْعَلَمِ
وأنا لا أعلمه بهذا الاسم اليوم .

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٢٩٦ .

(٢) هذه رواية ياقوت (المعجم ٦ / ١١٢) وفي الديوان ٧١ « كَانَ صَلِيلُ الْمَرْوِ حِينَ تَشْدُهُ » .

٣٢ — وقال امرؤ القيس :

هُوَ الْمُنْزَلُ الْأَلْفُ مِنْ جَوْنَاعِطٍ بَنَى أَسَدٌ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا
أما جونا عيط فلا أعرف في نجد موضعاً بهذا الاسم ، وقد ذكر أهل المعاجم أن في اليمن حصناً في رأس جبل يقال له « ناعط » ذكروا أنه قديم البناء ، وذكروا أنه لبعض الأذواء^(١) قرب عدن.

* * *

٣٣ — وقال امرؤ القيس :

بَكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّا لَأَحِقَانِ بَقِيصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكْ عَيْنَاكَ ، إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا
لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بَعْلَبِكَ وَأَهْلَهَا وَلابْنُ جُرَيْجٍ كَانَ فِي حِمَصٍ أَنْكَرَا^(٢)
أما « الدرب » هذا فهو المدخل إلى بلاد الروم ، ويقال له « درب القلة » بضم القاف الدرب وتشديد اللام ، قال المتنبي :

لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقِيَةً شَفَتْ كَمْدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ

وهذا الدرب هو الذي كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأنه إلى سلمان ابن ربيعة الباهلي « أن لا يقطع الدرب معك إلا فرس عريب » فقال سلمان : تُعْرِضُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَعُرِضْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ : هَذِهِ الْفَرَسُ هَاجِنٌ - يَعْنِي فَرَسُ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ - فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّهَا عَرِيبٌ أَيْهَا الْأَمِيرُ ، قَالَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ : ارْجِعْ فَإِنَّهَا هَاجِنٌ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ : صَدَقْتَ ، الْمَاجِنُ عَرَفَ الْمَاجِنِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ أَلَّا تَقْدُمَ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى تُرْضَى أَمِيرُكَ .
أما بعلمك وحمص فهما معروفان ، ولا تزالان تذكران بهذين الاسمين ، ولكل واحدة بعلمك وحمص منهما ذكر في الفتوح .

* * *

٣٤ — قال امرؤ القيس :

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا

(١) الأذواء : ملوك اليمن ، كان يقال لواحد منهم : ذو جدن ، وآخر : ذو يزن ، وهكذا .
(٢) هذه رواية أبي سعيد السكري ، وهي أظرف من رواية غيره « ولابن جريج في قري حمص أنكرنا » .

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخِرًا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَرَأَيْتُ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

الحساء : هى المياه التى وردها امرؤ القيس لما دخل بلاد الروم ، أما مدافع قيصر : فهى المسالـح ومدافع قيصر الواقعة على حدوده التى يدفع الأعداء بها .

* * *

٣٥ - وقال امرؤ القيس :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْذِنِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطْرَا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُذَارَانَ ظَلَمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرَا
فَهَلْ أَنَا مَاشٍ بَيْنَ شُوطٍ وَحَيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَيَّ قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا^(١)

تاذف

« تاذف » قرية من قرى حلب .

طرطر

و « طرطر » قال ياقوت فى معجمه^(٢) : قرية بوادى بطنان ، وهو وادى بزاعة قرب حلب ، يسمونها ططل اليوم .

قذاران

« قذاران » اسم رومى لقرية فى نواحى حلب ، كما رواه^(٣) ياقوت ، وهذه القرية كانت موجودة إلى عهد ياقوت ، وكانت معروفة بهذا الاسم ، وبحلب قرية يقال لها « أقذار » ملك لبنى أبى جرادة .

* * *

٣٦ - وقال امرؤ القيس :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجَى بِاللَّيْلِ مِنْ سَرَوْ حَمِيرَا
« سَرَوْ حَمِير » أعلى بلاد اليمن ، وهذا من توَّجَّده على بلاده .

سرو حمير

* * *

٣٧ - وقال امرؤ القيس :

أَجَادَ قُسَيْسًا فَالطُّهَاءَ فَمِسْطَحًا وَجَوًّا فَرَوَّى نَحْلَ قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا
قُسَيْسٌ وَالطُّهَاءُ : هذه مواضع فى جبال طيء ، ولا أعلم لها ذكرًا اليوم^(٤) ، فأما جَوْ وَمِسْطَحُ : فإنَّ لهما ذكرًا قديمًا فى أشعار العرب ، وهى واقعة فى أجَا ، قال حاتم الطائى :

قسيس

والطهء

(١) شوط وحية موضعان فى أجَا وهو الجبل الأول من جبال طى وشمر هم عنصر القبيلة الموجودة اليوم . (٢) المعجم ٤١/٦ . (٣) المعجم ٣٩ / ٧ . (٤) اتضح لى بعد التجرى الدقيق أن قسيساً والطهء ومسطحا مواضع فى أجَا لا تزال بهذه الأسماء إلى يوم الناس هذا .

لَيْلَى نَمَشَى بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ نَشَاوَى لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزُرُ

* * *

٣٨ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّ فِي الشَّعْبَيْنِ شَعْبٍ بِمِسْطَحٍ وَشَعْبٍ لَنَا فِي بَطْنِ بُلْطَةِ زَيْمَرَا
وقال أيضاً :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ تَرَأَى الْفِرَاحَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلِ
وقال أيضاً :

وَكُنْتُ إِذَا مَاخِضْتُ يَوْمًا ظُلَامَةً فَإِنَّهَا شَعْبًا بِبُلْطَةِ زَيْمَرَا
وقد ظهر لي من هذه النصوص كلها أن قيسا والطاهء وجوا كل هذه الأسماء المذكورة
كائنة في نواحي أجأ ، وأنا لا أعلم شيئاً بهذا الاسم في تلك الفاحية .

* * *

٣٩ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيْالٍ وَأَعَصْرٌ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٌ بِمُسْتَعْرٍ^(١)
لَيْالٍ بِذَاتِ الطَّلُجِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيْالٍ عَلَى أَقْرٍ

أما مُحَجَّرٌ : فهو معلوم إلى يومنا هذا ولكنه يقال له اليوم « الحجرة » وهو في بلاد غنى
ابن أعصر بين شعبى الجبل المشهور في الحمى ، وبين الكشيبي الذي يقال له « عريق الدسم »
تصب في مُحَجَّرٍ أودية شعبى ، ويحجرها الكشيبي ، وليس للسيمول منفذ ، فسمى مُحَجَّرًا لحجره
السيلى ، وقد سموه اليوم « الحجرة » لهذا المعنى أيضاً ، قال طِفِيلُ الْغَنَوَى^(٢) :

وَهُنَّ أَلَى أَدْرَكْنَ تَبَلَّ مُحَجَّرٍ وَقَدْ جَعَلْتَ تِلْكَ الْهَمَائِيلَ تَنْشَبُ
وقال طِفِيلٌ أيضاً :

فَذَوْقُوا كَمَا ذَقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ مِنْ الْحَرِّ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ
وقال بشر بن أبى خازم :

مُعَالِيَةَ لَاهِمٍ إِلَّا مُحَجَّرٍ وَحَرَّةَ لَيْلَى السَّهْلِ مِنْهَا فُلُولُهَا
وقال زيد الخيل :

(١) في هذا البيت من الزحاف الكف ، وهو ثقيل ، ولو أنه قال * ألا إنما دهرى ليلال وأعصره
خللا منه ، ولكن الشعر الجاهلى قلما يخلو عن مثل ذلك . (٢) انظر شواهد محجر كلها في المعجم ٢٩٣/٧
(٩ - صحيح الأخبار ١)

لَحْنٌ صَبَحْنَاهُمْ غَدَاةَ مُحَجَّرٍ بِالْخَيْلِ مُحَقَّبَةً عَلَى الْأَبْدَانِ
نُزْجَى الْمَطَى مُنْعَلًا أَخْفَافُهَا وَالْجُرْدَ مَرْسَلَةً بِلَا أَرْسَانِ
حَتَّى وَقَعْنَا فِي سُلَيْمٍ وَقَعَةً فِي شَرِّ مَا يُخْشَى مِنَ الْحَدَثَانِ
فَاسْأَلْ غَرَابَ بَنِي فِزَارَةَ عَنْهُمْ وَأَسْأَلْ بَنِي الْأَحْلَافِ مِنْ غَطْفَانَ
وَأَسْأَلْ غَنِيًّا يَوْمَ نَعْفِ مُحَجَّرٍ وَأَسْأَلْ كَلَابًا عَنْ بَنِي نَمِهَانَ
نَرْمِي بِهِنَّ بِغَمْرَةٍ مَكْرُوهَةٍ حَتَّى يَغْبِنَ بَنَّا إِلَى الْأَذْقَانِ

أما محجر الذي بيناه فهو الذي عناه زيد الخيل في كلمته التي رويناه ، وهو الذي عناه طُفَيْلُ
الغَمَوِي في بيتيه .

ذات الطلح وأما « ذات الطلح » : فجميع أودية شُعْبَى أغلب نباتها الطَّلَح ، وهي معروفة بكثرة الطلح
إلى يومنا هذا .

غراب وغرابُ الذي ذكره زيد الخيل في مخاطبته بني فِزَارَةَ وغطفان : جبلٌ أسودٌ كأنه الغراب ،
فيه ماء قد وردته ، وهو أعلى الشعبة ، وهو واقع في بلاد غَطْفَانَ ، ويقال له « غراب » إلى يومنا
هذا ، وهو في حَرَّةِ سِوْدَاءِ .

أقر أما « أقر » فهو وادٍ معروف تحميه الملوك ، وقد حماه عمرو بن الحارث الغَسَّانِي وترَبَّعته
بنو ذُبْيَان ، فأوقع بهم هناك ، فذلك قولُ النابغة :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَقْرِ وَعَنْ تَرْبَعِهِ مِنْ بَعْدِ إِصْفَارِ
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَائِنِهِ لَعْدُوهُ الضَّارِي

وفي معجم^(١) ياقوت عن نصر أن « أقرًا » ماء في ديار غَطْفَانَ قريب من أرض الشربة ،
وهذا الذي عناه امرؤ القيس قريب مُحَجَّرٍ ، قال ابن مقبل :

مِنَّا خَنَازِيذُ فَرْسَانٍ وَالْوِيَّةِ وَكُلُّ سَائِمَةٍ مِنْ سَارِحِ عَكْرِ
وَثَرَةٍ مِنْ رِجَالٍ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَقُلْتُ إِحْدَى حِرَاجِ الْجَرِّ مِنْ أَقْرِ

وقال الشاعر^(٢) :

(١) المعجم ١ / ٣١٠ .

(٢) أقر في هذين البيتين والبيتين بعدهما بضم الهمزة وسكون القاف ، وهو فيما قبل ذلك بضم
الهمزة والقاف جميعاً ، ويظهر من مراجعة ياقوت أنهما يطلقان على شيء واحد ، وإن كان ياقوت قد
أفرد كل واحد بترجمة ، وعلى هذا يكون إسكان القاف للتخفيف ، وذلك من سنن العرب في كلامها

تَوَزَّعْنَا فَقِيرَ مِيَاهِ أَقْرِ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ مَنَا فَقِيرُ
فُحْصَةُ بَعْضُنَا خَمْسُ وَسِتْ وَحُصَّةُ بَعْضُنَا مِنْهُنَّ بِيَر

وقال الخليل بن شرحبيل البكري في بني زهيرة . وقد منعوا سعد بن مسعود المازني من
التعدى في صدقات بكر وكان يليها :

فَدَّى لِبَنِي زَهِيرَةَ يَوْمَ أَقْرِ وَقَدْ خَذَلُوا بِهَا أَهْلِي وَمَالِي
فَهُمْ مَنَعُوا مَظَالِمَ آلِ بَكْرٍ وَقَدْ وَرَدُوا بِهَا قَبْلَ السُّؤَالِ
وَأَنَا لَا أَعْلَمُ « أَقْرَا » بِهَذَا الْاسْمِ الْيَوْمَ فِي نَجْدٍ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ ، وَقَدْ
تَغَيَّرَ اسْمُهُ ، لِأَنَّهُ مَحْجَرًا مُجَاوِرًا لِبِلَادِ غَطَفَانَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا الْكَشِيبُ الَّذِي يَدْعَى « عَرِيقُ الدِّسَمِ » .

* * *

٤٠ - وقال امرؤ القيس :

أُغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هَرٍّ وَفَرَّتِي وَلِيدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هَرٍّ
إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُعْتَقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ الشُّجْرُ
كَنَاعِمَتَيْنِ مِنْ ظِبَاءٍ تَبَالَةٍ لَدَيَّ جُودُزَيْنِ أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هِكْرٍ

« تَبَالَةُ » واد (١) مجاورٌ لوادي بيشة ينصبُّ من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، بأعلاه
قصور ومزارع ، وأسفله مرعى للبوادي تقع قريب بيشة على شاطئ بيشة الشمالى ، ويصبُّ سيلها
في أسفل وادي بيشة . وكان وادي تبالة في الزمن القديم لبني مازن ، قال عمرو بن معد يكرب :

(١) وفروع تبالة واقعة في بلاد دوس ، وفيها « ذو الخلصة » الصنم المشهور في الجاهلية لدوس
وخثعم وبجيلة ومن والاهم من العرب ، وقد أطال الكلام عليه أهل التاريخ والسير ، قالوا : إنه لما
قتل حجر والد امرئ القيس الشاعر ، قتلته بنو أسد ، واستجار ملكا من ملوك اليمن يقال له
مرئد الخير بن ذى جدن الحميري وأمدّه بجيش ، ومر بطريقه على ذى الخلصة فاستقسم عنده بأفداحه
وهي ثلاثة : الأمر ، والناهى ، والمتربص ، فخرج له الناهى ، فجمع القداح وكسرها وضرب بها وجهه
ثم قال :

لَوْ كُنْتُ يَا ذَا الْخُلَصِ الْمُتَوَرًّا مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمُقْبُورًا

* لم تنه عن قتل العداة زورا *

فلما أظهر الله تعالى الإسلام بعث رسوله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي . وأحرقها
وقالته عند ذلك خثعم ، فقتلهم وهزمهم وتم إحراق الصنم ، وجرير هو الذى يقول فيه الشاعر :
لَوْ لَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلِهِ نَعَمْ الْفَقَى وَبُنُسْتُ الْقَبِيلَةَ

أَغْزَوْ رِجَالَ بَنِي مَازِنٍ بَيْطُنَ تَبَالَةَ أُمَ أَرْقَدُ؟

وهي التي يضرب بها المثل فيقال « أهون من تبالة على الحجاج » سميت بتبالة بن جفاب ابن مكنف من بني عَمَلِيق ، قال لبيد :

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَمَّا هَبَطَا تَبَالَةَ مُحْصِيَا أَهْضَامُهَا
وَقَالَ الْقَتَالُ الْكَلَابِيُّ :

وَمَا مُغْزَلُ تَرْغَى بِأَرْضِ تَبَالَةَ أَرَاكَ وَسِدْرًا نَاعِمًا مَا يَفَالُهَا
وَتَرْغَى بِهَا الْبَرْدَيْنِ ثُمَّ مَقِيلُهَا غِيَاظُلُ مَلْتَقًا عَلَيْهَا ظِلَالُهَا
بِأَحْسَنَ مِنْ لَيْلَى وَلَيْلَى بِشَبَّهَا إِذَا هُمُكَتْ فِي يَوْمِ عِيدِ حِجَالُهَا

وتبالة : باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا على شاطئ بيشة الشمالى .

وأما هَكَر فقد قال في معجم البلدان ^(١) عن الأزهري : هو موضع أراه روميا ، وقال في رواية أخرى عن ابن الأعرابي : مدينة للمالك بن سُقَّار من مَذْحِج ، وهو حصن باليمن من أعمال ذَمَار ، وأنا لا أعلم في نجد موضعا بهذا الاسم إلا موضعا يقال له هَكَرَان ^(٢) : قريب الموية المعروف

* * *

٤١ — وقال امرؤ القيس والحرث بن التوأم الشكرى ، وكل يحيز لصاحبه :

أَحَارٍ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا كَنَارٍ مَجُوسٍ تَسْتَعِرُّ اسْتِعَارًا؟
إِلَى أَنْ قَالَا :

فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنَفَى أَضَاخٍ وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقٍ فَحَارَا
فَلَمْ يَتْرُكْ بِيَدَاتِ السَّرِّ ظَنِيًّا وَلَمْ يَتْرُكْ بِقَاعَتِهِ حَمَارَا

أضاخ والسر : باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم ^(٣) وعند أضاخ وجدت نعلًا شرجميل بن الأسود الذي قتله الحرث بن ظالم فأحمى لهم الأسود الصفا الذي عند أضاخ ، وقال : إني أحذيك نعلًا من هذا الصفا الذي يتوقد ، فأمشاهم عليها ،

(١) المعجم ٨ / ٤٦٩ والذى فى ياقوت أن رواية الأزهري فى موضع يقال له « هكر » بفتح فكسر ، وأنشد عليه أبيات امرئ القيس ، ورواية ابن الأعرابي فى موضع يقال له « هكرا » بفتح فسكون ، ويقال بفتح فكسر ، والذى يظهر لنا أن سكون الكاف عند من يرويه بفتح فسكون أصله للتخفيف على ما هو سنن العرب ، فظنوه موضعا آخر .

(٢) ذكر ياقوت هكران ، وقال عن عرام « هو جبل بجذء مران » وهذا صحيح .

(٣) معجم ما استعجم ١ / ١٦٤ .

فتساقطت أقدامهم ، قال شاعر من كنفدة :
 على عهد كسرى تعلتكم ملوكنا صفاً من أضاحٍ حامياً يقلهـبُ
 وقال في معجم ما استعجم أيضاً عن ابن قتيبة : قال الأصمعي : وَجِدَ بِدِمَشْقِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ
 فيه : هذا من ضِلَعِ أَضَاحٍ ، وقال الجعدي :
 تَوَاعَدْنَا أَضَاحَهُمْ صَبَاحاً وَمَنْعَجَهُمْ بِأَحْيَاءِ غَضَابِ
 وذكره صاحب معجم البلدان ، وأطال عليه ، قال في معجم ^(١) البلدان عن الأصمعي : ومن
 مياههم الرُّسَيْسُ ، ثم الأُرَاطَةُ ، وبينها وبين أَضَاحٍ ليلة ، وأضاح سوق وبها بناء وجماعة ناسٍ ،
 وهي معدن البرم ، وأضاح على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وبه تصنع البرم إلى هذا العهد ، وهو
 واقع بين نفي وبين الشقيقة .

أما السر : فهو كتيب مُرْتَسَمٍ بين اليمامة والشرف : طرفه الجنوبي محاذٍ من اليمامة فروع
 نساح من الجهة الغربية ، وعنده ماء يقال له دلقان ، وطرفه الشمالي يَحْتَلِطُ بِأَكْثِيَةِ عَظِيمَةٍ وَتَنْدَفِعُ
 شمالاً إلى قريب الجوف الذي كان يقال له في الزمن القديم « دومة الجندل » واسم « السر »
 يطلق على ما كان من حد القصيم الجنوبي ، والمياه التي تلي النفود غرباً يقال لها « مياه السر »
 وحدّها الشمالي المربع والعمار ، وحدها الجنوبي الأنجل ودلقان ، قال جرير :
 أَسْتَقْبَلُ الْحَيَّ بَطْنَ السَّرِّ أَمْ عَسَقُوا فَالْقَلْبُ فِيهِمْ رَهِيْنٌ أَيْنَا أَنْصَرَفُوا
 وقال ضرار بن الأزور رضي الله عنه :

وَنَحْنُ مِنْعُنَا كُلٌّ مَنِيْبٌ تَلْعَةً مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَعَاهَا مُجَاوِرَا
 مِنَ السَّرِّ وَالسَّرَاءِ وَالْحَزْنِ وَالْمَلَا وَكُنَّ مَخَنَاتٍ لَنَا وَمَصَائِرُ ^(٢)

وقد نص ياقوت على أن السر والسراء بنجد في بلاد بني أسد . فأما السر المشهور الذي قال
 فيه امرؤ القيس والحرث « ولم يترك مجلتهما حمرا » فهو السر المعروف بهذا الاسم والذي هو
 أ كَثْبَةُ مِتْرَاكِمَةٍ تَقْطَعُهُمَا السَّيَّارَاتُ الْمُتَوَجِّهَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الرِّيَاضِ الْوَاقِعِ بَيْنَ وَادِي خَفٍّ وَبَيْنَ
 مِرَاةٍ . وقد وردت فيه شواهد كثيرة من الأشعار والأخبار ، وأما السرة والسرر والسرار : فهي
 مواضع معروفة ، فالسرة في نجد ، وسرار في بلاد بني أسد ، وسرر : في تهامة ، وجنبت السر
 المذكورة الغربية كثيرة المياه ، فيها أعينٌ جارية ، وفيها آبار كثيرة الماء قريبة المنزع ، وقد ذكرنا

(١) معجم البلدان ١ / ٢٧٩ .

(٢) الخنات : الساحات (ياقوت ٥ / ٥٧)

أنه واقع بين اليمامة والشرف ، وفيه نخيل كثيرة .

* * *

٤٢ — وقال امرؤ القيس في قصيدة مطلعها :

دِيمَةٌ هَظْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَرَّى

إلى أن قال :

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيهِ عَرْضُ خَيْمٍ فَخَفَافٌ فَيُسْرُ

أما « خيم » فقد ذكر في معجم^(١) البلدان خيماء ، وذكر أنه ماء لبني أسد ، وذكر أيضاً : خيماء بوزن قِيم وقال : إنه اسم جبل بعمّاليتين ، وأنشد لابن مقبل * حَتَّى تَنُورَ بِالزُّورِ أَرَاءَ مَنْ خَيْمٍ * وهذا غلط : وإنما خِيم ماء في شُعْب في جبال الحِصَاء الذي يقال لها اليوم « الحصاة » وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو الذي عناه المرقش الأكبر بقوله :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِجَنْبَيْ خَيْمٍ غَيْرَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الدَّيْمِ

وقال في معجم^(١) البلدان : خِيم : بوزن غَيْم جبل ، عن الغوري . وقال الحازمي : ذات خِيم : موضع بين المدينة وبلاد غطفان ، ثم قال صاحب المعجم^(١) : وذات الخِيم من بلاد مهرة بأقصى اليمن .

أما التي عنها امرؤ القيس في شعره فهي معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقعة على وادي الرُّمَّة في جانبه الشمالي ، يقال لها « الخيمة » اليوم لمياضها ، وهي : جَبِيل صغير غربي أبانين في جهة الشمال .

قال في معجم^(٢) البلدان : وعندها ماء يقال لها الغبارة ، ولا أعلم في تلك الفاحية ماء بهذا الاسم ، إلا ماء يقال لها العجاجة ، وقال بعض الأعراب :

خَيْرُ اللَّيَالِي إِنْ سَأَلْتَ بَلِيلَةَ لَيْلِ خَيْمَةٍ بَيْنَ بَيْتَشَ وَعَثْرٍ
بِضْجِمْعٍ آنَسَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا شَهْدُ يُشَابِ بِمَرْجَةٍ مِنْ عُنْبَرٍ
وَبِضْجِمْعٍ لَاهِيَةِ الْأَعْبِ مِثْلَهَا بِيضَاءَ وَاضِحَةٍ كَطَظِيطِ الْمَنْزَرِ

(١) معجم البلدان ٣ / ٥٠١ ولكل واحد من هذه الألفاظ ضبط يخالف ضبط الآخر ، عند يافوت .

(٢) المعجم ٣ / ٥٠٢ وذكر ذلك في « الخيمة » قال نقلا عن الأصمعي « وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين بينها وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماء يقال لها الغبارة ، لبني عبس » .

ولأنتِ مثلُهُما وخيرُ منهما — بعد الرقاد وقبل أنْ كَلَّمْتُسِحْرٍ
وأما « خَفَاف » فقد قال في معجم^(١) البلدان : بضم أوله وفاءين - وهو من مياه عمرو بن
كلاب ، وأنا لا أعلم اليوم في نجد ماء بهذا الاسم ، وثمة خف وخفيف ، وهما واقعان في طريق
السيارات المجاورة لنفود السر في بطن الوادي الذي ينصبُّ من وادي حميان والتسرير والدوادمي ،
وتسلك مع القرنة التي تسلكها السيارات اليوم في صفراء السر ، فينحدر السيولُ ، وتمر بخفيف ،
ثم بخف وتندفع إلى رياض السر ، وتجتمع في روضة يقال لها مطربة ، وكان وادي خف لبنى بُمَيْرٍ
في الزمن القديم ، قال الراعي النميري :

رعت من خفاف حيث نَقَّ عُبابه وحل الروايا كلَّ أسْحَمَ ماطرٍ
والجاور خلف من قُرَى السر المعروفة : بلد البرود ، وشرقة ، وسنادات ، وعسيلة هجرة الخفاة
من الروقة ، وساجر هجرة الحفاتيش من الروقة ، وأما وادي خف فهو يُعَدُّ من أودية السر ، وخف
وخفيف تعد من مياهه .

وأما يُسْر^(٢) فلا أعلم في نجد ماء بهذا الاسم ، إلا أن المتقدمين ذكروا في كتب المعاجم^(٣)
نقياً في الأرض يمسك الماء لبنى ير بوع ، وذكروا أنه واقع في الدهناء أو قريباً منها ، قال طرفة
ابن العبد :

أَرَقَّ الْعَيْنَ خَيْالٌ لَمْ يَقْرَ طَافَ وَالرَّكْبُ بِصَحْرَاءِ يُسْرٍ
جَازَتْ الْبَيْدَ إِلَى أَرْحُلِنَا آخَرَ اللَّيْلِ بِيَعْمُورٍ خَدِرٍ
ثُمَّ زَارْتَنِي وَصَحْبِي هُجَّعٌ فِي خَلِيطِينَ الْبُرْدِ وَنَمِرٍ
لَا تَلْمَنِي إِنْهَا مِنْ نِسْوَةٍ رُقْدِ الصَّيْفِ مَقَالِتَ نَزْرٍ

وقال جرير :

لَمَّا أَتَيْنَ عَلَى خَطَابَتِي يُسْرُ أَبْدَى الْهَوَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ مَكْنُونًا
فَشَبَّهِ الْقَوْمَ أَطْلَالًا بِأَسْمَةٍ رِيَشِ الْحَمَامِ فَزَدَنَ الْقَلْبَ تَحْزِينًا

(١) المعجم ٣ / ٤٥١ .

(٢) لعله الماء الذي يقال له « الأيسري » الواقع شرقي نفود سبيع . وقد اختلف في ملكيته
بين سبيع وقبيلة المقطة فبعد منازعات طويلة جرت بينهم رأى جلالة الملك عبد العزيز أن يدفن
وينقطع النزاع ، فدفن وعمى خبره ، وسبب النزاع طيب فلاته للابل وترغبه البوادي . المصنف .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٥٠٨ .

دار يجـددها هطالُ مُدَجِنَةٌ بِالْقَطْرِ حِينًا وَتَمَحُّوْهَا الصَّبَاحِينَا
والتحديد المذكور في كلامهم يفيد أنه واقع في القطعة الشرقية من نجد :

* * *

٤٣ — وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

أَرَى نَاقَةَ الْقَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَيْنِ ذَاتَ هَيْبَابٍ نَوَارًا
رَأَتْ هَلَكًا بِنَجَافِ الْغَبِيْطِ فَكَادَتْ تَجُذُّ لِدَاكِ الْهَجَارَا

نَجَافِ الْغَبِيْطِ زعم كثير من الشراح أن « نجاف الغبيط » جبل يشد به الرحل ، وليس بشيء ، وإنما
« نجاف الغبيط » الذي ذكره امرؤ القيس هنا موضع ، كقوله في المعلقة :

* وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيْطِ بَعَاةً *

وأما الْغَبِيْطُ فقد تقدم الكلام^(١) عليه وبيننا أنه واقع في بلاد غطفان ، وقال في معجم^(٢)
البلدان : النجفة : رملة فيها نخل في شرقي الحاجر بالقرب منه ، والحاجر : ماء معلوم بهذا الاسم
إلى يومنا هذا قريب النقرة ، وهو واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان ، ولا شك أن « نجاف
الغبيط » موضع غير أنى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٤٤ — قال امرؤ القيس :

عَفَا شَطَبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَعُرُّورُ فَمَرْبُوءَةٌ إِنْ الدِّيَارَ تَدُورُ
فَجَزَعُ مُحْيَاةٍ كَأَنْ لَمْ تُقَمِّ بِهَا سَلَامَةٌ حَوْلًا كَامِلًا وَقَدُورُ

شَطَب قد غلط كثير من الشراح في ذكر شَطَبٍ إذ زعموا أنه جبل في بلاد بني أسد ، وأنا أقول :
لا نعلم أن في بلاد بني أسد جبلا يقال له شَطَبٌ ، غير أن الذي عناه امرؤ القيس جبلٌ منقطع من
شَهِلَانَ كأنه منه بلونه وشعابه وطوله ، وبينه وبين شَهِلَانَ قطعة من الصحراء يمشى فيها السائر
على أقدامه أقل من الساعة ، وما زال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو يعد من جبال بني
نمير ، كما أن شَهِلَانَ يعد من جبالهم ، وقد قلبوا ثاء « شَهِلَانَ » ذالا ، فقالوا : ذهلان ، قال بشر
ابن أبي خازم :

سَأَلْتُ نَمِيرًا غَدَاةَ النَّعْفِ مِنْ شَطَبٍ إِذْ فَضَّتِ الْخَيْلُ مِنْ شَهِلَانَ إِذْ رَهَقُوا

(١) انظر ص ٣٢ من هذا الجزء في الكلام على البيت رقم ١٣ .

(٢) معجم البلدان ٨ / ٢٦٧ .

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

دعا معاشر فاستككت مسامعهم يالهف نفسي لو تدعو بني أسد
لوم حُماتك بالحمى حُميت ، ولم يترك ليوم أقام الناس في كبد
كما حميناك يوم النعف من شطب والقصد للقوم من ريح ومن عدد
وكان منشأ خطأ الشراح أنهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي ، فظنوا أن هذا
الجبل واقع في بلاد بني أسد :

وقال لمبيد بن ربيعة العامري :

بذى شطب أحداجهم إذ تحمّلوا وحث الحداة الناجيات الذواملا

وقال عبيد بن الأبرص يصف سحاباً :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لمّاح
دان مسيف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
كان ريقه لما علا شطباً أقرب أبلق ينفي الخيل رمّاح
فن يحوزته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشى بفرواح

قال في معجم البلدان^(١) على ذكر شطب ، عن نصر : جبل في ديار بني نمير ، وهو جانب
تَهْلان الشمالي ، أما هذا التحديد : فقد أصاب فيه كأنه يراه ، وأما الروايات التي ذكرها قبل هذه
الرواية والتي ذكرها غيره من أصحاب المعاجم ، فقد أخطأت موضعه ، وهو واقع في ظفت وادي
الرشا الشرقية ، وظفت : وادي الشّراء الغربية ، وسيل الواديين مجتمع إذا خلفت شطباً .

وأما غرور الذي ذكره امرؤ القيس : فهي ثنية تقع على طرف جبل دَمَخ الشمالي ، فيها
جُبيلات سود صغار تقع هي في شماليها ، ويُعدُّ غرور من دَمَخ ، قال في معجم البلدان^(٢) : غرور
جبل بدمخ في ديار عمرو بن كلاب ، وقد أصاب في قوله : بدمخ ، قال السري بن حاتم :

تَلَبَّثَ عَنْ بَهِيْمَةٍ حَادِيَاها قَلِيلاً ثُمَّ قَامَا يَحْدُوَانِ
كُنْهُمَا وَقَدْ طَلَعَا غُرُوراً جَنَاحَا طَائِرٍ يَتَقَلَّبَانِ

وغرور أيضاً : ثنية باليمامة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال في معجم البلدان^(٣) ،
وغرور أيضاً : ثنية باليمامة وهي ثنية الأحيسي ، ومنها طلع خالد بن الوليد رضي الله عنه في غزوته
إلى مُسَيْلَمَةَ ، والأحيسي : هو المسمى « وادي الحيسية » اليوم ، وشطب معروف بهذا الاسم إلى

(١) المعجم ٥ / ٢٦٥ . (٢) المعجم ٦ / ٢٨١ .

يومنا هذا ، وغرور أيضا الواقع في اليمامة : معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ^(١) .

محيّة

أما « محياة » فهو جبل منقطع من أبان في جهة الجنوبية مما يلي مطلع الشمس ، جميل صغير يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وذلك أنهم يقولون له « محيوة » قال الراعي وَنَكَبْنِ زورًا عن مُحْيَاة بعد ما بَدَا الأَثَلُ أَثَلُ الغَيْنَةِ المتجاورُ

قال في معجم البلدان ^(٢) على ذكر محياة : وهي ماء لأهل النبهانية ، وهذا صحيح أقرب ما يكون لمُحْيَاة التي يقال لها اليوم « محيوة » من القرى المعمورة قرية النبهانية الواقعة في شرق أبان ، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم « محيوة » وبلغني أن عندها واديا كثير المياه بعته أناس من حَرْب ، ولا يبعد أن تكون عيونا جارية أو تشرع غرستها في الماء ، كما شرعت في جبل سواج وفي جبل غول في هذا العهد الأخير .

فأما الأثل الذي ذكره الراعي في قوله * بَدَا الأَثَلُ أَثَلُ الغَيْنَةِ المتجاور * فإن هناك واديين لا يبعدان عن « محيوة » يقال لأحدهما « الذيبية » وللآخر « الدلمية » فيها أثل وطرء كثير ، ويراها الذي غادر « محيوة » متجها شمالا ، ومياهما قريبة كأنها عين ، وقد عمرها أناس من حرب واستوطنوها ، وهي عامرة اليوم .

* * *

٤٥ — وقال امرؤ القيس لما اشتد به مرضه وهو في بلاد الروم :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بَعْسَعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِّمُ أُخْرَسَا
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدَنَا وَجَدْتُ مَقِيلًا عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسَا
فَلَا تُنْكِرُونِي إِنَّنِي أَنَا ذَاكُمْ لِيَالِي حَلَّ الْحَى غَوْلًا فَأَلْعَسَا

عسّس

عسّس : جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقع من ضربة في الجهة الجنوبية ، ويليه جبل بينه وبين ضربة يقال له « وسط » وهذا اسمه في الجاهلية ، وله دارة يقال لها « دارة

(١) يروى أن سبب تسميتها بذلك أن خالد رضى الله عنه جعل كمينًا لجيشه ، وأمرهم إذا التحم الصفان أن يأتوا عدوهم من هذه الثنية ويقطعوا عليهم خط الرجعة ، فكان سبب انتصارهم بعد أن انكشف المسلمون وتذامرت بنو حنيفة ، فهنا قالوا « غريتنا يا غرور » اه ، قال المصنف : إنى أعرف هذه الثنية وأعرف موضع المعركة التي دارت بين بنى حنيفة وخالد بن الوليد رحمه الله ، يبعد بعضها عن بعض مسافة نصف يوم تقريبا ، إلا إن كانت بنو حنيفة زاحفة إلى طريق خالد ، لأن الحرب امتد أياما ، ولكن المعركة الحاسمة في عقرباء ، وعقرباء معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والمسافة الواقعة بين عقرباء وثنية غرور أكثر من نصف يوم . (٢) المعجم ٤٠١/٧ .

وسط « ووسط هذا : في بلاد جعفر بن كلاب ، على مسافة أقل من نصف يوم من ضرية في جهتها الجنوبية الغربية ؛ فإذا كنت عند باب ضرية فانظر إلى سهيل فإنك تجده فوق عسعس وتجد وسطا في النصف بين ضرية وعسعس ، قال الشاعر :

دعوتُ الله إذ شقيت عيالي ليرزقني لدى وسط طعاما
فأعطاني ضرية خير أرض تمسح الماء والحب التواما

ولعسعس دارة يقال لها « دارة عسعس » وقد أكرت الشعراء من ذكره ، قال بشر بن أبي خازم :

لَمَنْ دِمْنَةٌ عَادِيَّةٌ لَمْ تَوْنَسْ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الْكَثِيبِ فَعَسْعَسْ

لقد صدق في قوله « بسقط اللوى » فإن هناك قريب عسعس « عريق الدسم » وهو سقط اللوى ، وعريق الدسم : كثيب يقف أمام عسعس في جهة الغرب ، ويمتد إلى جهة الشمال يبارى شعبى تاركهما عن يمينه ويقف في جهة وادى الرمة . وقد ذكرنا أنك إذا كنت واقفاً عند باب ضرية ونظرت إلى الجهة الجنوبية منها رأيت عسعسا ووسطا ، وتزيدك هنا أن عسعسا جبل رفيع عن الأرض ليس بالكبير أسود تلبسه شقرة ، أما وسط فهو جبل أسود نازل للأرض ليس بالرفيع ، ذكروا أن رباحا الصانع ^(١) من سكان ضرية ، وأنا أعرفه ، اختصم هو وزوجته بنت عثمان المزيني ^(٢) ، فلما اشقذ اللجاج بينهما قالت : طلقنى ، فخرج عند باب ضرية وقال : يا أهل ضرية اشهدوا أن زوجتي بنت عثمان المزيني طالق عدد مافى مزارع ضرية من الحجاز ^(٣) ثم التفت وراء جبل عسعس وجبل وسط ، وقال : أشهدا على يا جبل عسعس ويا وسط أنى طلقنت ، وأهل ضرية أهل كذب ، أخشى أن يجحدوا الشهادة .

وأما غول : فقد مررنا على ذكره ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، ذكره لمييد بن ربيعة في معلقته

(١) يطلق لفظ الصانع عند عامة أهل نجد على الذى يصنع الحديد والنحاس ، فأما صناعته في النحاس فإنه يصنع منه القدور والجفان والأواني الصغار ، ويصنع من الحديد حذاء الخيل والمسامير والمساخى والمحاشى التى يعضد بها الشجر وغيره .

(٢) المزيني : رجل نجار ، والنجار عند أهل نجد : الذى يشتغل فى الأخشاب كالأبواب على جميع أنواعها والمحال والدراج التى يستعملها الفلاحون ، وجميع ما يوضع على ظهور الإبل من الأحداج كالأشدة والمسام والهواذج ، ولا يقوم بهاتين الصناعتين عند أهل نجد إلا الموالى .

(٣) الحجاز : هو نبات معروف عند جميع أهل نجد ينبت أيام الربيع ، ويكثر فى مزارع القرى ، وهو نوع من العشب أخضر ، ورقه قدر الدرهم ، ليس بالرفيع عن الأرض .

وهو معروف في الجاهلية بهذا الاسم ، ولا يزال معروفا به إلى يومنا هذا ، وكانت به وقعة لضبة على بني كلاب ، قال أوس بن غلفاء :

وَقَدْ قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ تَقَطَّعَ يَابْنَ غُلَفَاءَ الْحِبَالُ
وقال أعرابي :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا مَعَارِفَ مَا بَيْنَ اللَّوَى فَأَبَانَ
وَهَلْ بَرِحَ الرِّيَّانُ بَعْدَى مَكَانِهِ وَغَوْلٌ؟ وَمَنْ يَبْقَى عَلَى الْخَذَنَانِ؟!

والريان باقي بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو وادٍ بين غول وطخفة ، وغؤل هذا : هو الذي قُتل فيه جَنَامَةُ بن عمرو بن مُحَلَّم الشَّيْبَانِي ، قتله أبو شملة طريف بن تميم التميمي في الجاهلية ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

أَجْتَنَّمُ مَا أَلْفَيْتَنِي إِذْ لَقَيْتَنِي هَجِينًا وَلَا غَمْرًا مِنَ الْقَوْمِ أَعَزَّلَا
تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ النَّجَاءِ فَلَمْ تَجِدْ لِنَفْسِكَ عَنْ وَرْدِ الْمَنِيَةِ مَزْحَلَا

وغؤل وشعب القد ، وطخفة ، والبكرات ، ومنى التي يقال لها اليوم « منية » هضباتها حمر كأنها مطلية بذهب ، بخلاف الهضبات التي تقع منها جنوباً وشرقاً فإنها سود كأنها غرابان كحليت وكيشان وهضابه التي تليه .

وأما العس : فقد قال صاحبُ معجم^(١) البلدان : هو اسمُ جبلٍ في بلاد بني عامر بن صعصعة والجبَّالُ التي ذكرت معه في أبيات الشعر وافة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، غير أني لا أعرفه اليوم بهذا الاسم .

العس

* * *

٤٦ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِجٍ بِشُرْبَةٍ أُوطَاوٍ بَعْرَنَانَ مُوجِسِ
تَعَشَّى قَلِيلًا ثُمَّ انْحَى ظُلُوفَهُ يُثِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسِ

أما شربة وعرنان فهما باقيان بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا ، إلا أن شربة استعاضت من الباء ميماً فسميت « شربة » وهي مجاورة لعرنين ، ليست بعيدة عنه ، تقع من الخال المجاور للدفينة على مسافة نصف يوم مما يلي مطلع الشمس ، قال رجل من غامد :

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَسْرَةَ غَامِدِيَةِ أَطَابُوا شِفَاءَ يَوْمِ شُرْبَةِ مَقْنَعَا

شربة

شفونى وأرضونى وأمسيْتُ نائماً وكنت قليلاً في الأيام مضجعاً
وعرنان هذا جبيل صغير يقع بين الأكموم وجبل هكران الواقع عن بلد المويه الحطة المعروفة
في الطريق من مكة إلى الرياض جنوباً ، وهو معروف بكثرة الوحش ، قال الشاعر ^(١) :
قلت لعلاق بعرنان : ما ترى ؟ فما كاد لي عن ظهر واضحة يُبدى
وقال بشر بن أبي خازم :

كأني وأقيادي على حمشة الشوى بشربة أو طاوٍ بفيفاء موحس ^(٢)
تمكث شيئاً ثم أنحى ظلوفه يثير التراب عن مبيت ومكنس
أطاع له من جوء عرينين بارضٍ ونبد خصال في الخمائل مجلس
وقال القتال السكلابي :

وما مغزل من وخش عرنان أنلعت بسنتها أخلت عليهما الأواعس
تنبيه عن اشتباه يقع - أما الموضع الذي ذكره امرؤ القيس مع عرنان باسم شربة فقير « شربة » دفع التباس
بالميم التي هي هضبة في رأسها شرم ، وقد ذكرها أوس بن حجر مع أبان وذلك في قوله :
تشوب عليهم من أبان وشربة وتركب من أهل القنان وتفزع
فانظر في هذا البيت تجده قرن شربة بأبان والقنان ، أما أبان فهو واقع في وادي الرثمة مما يلي
القصيم ، والقنان مجاور لسميراء واقع بين بلاد بنى أسد وبين بلاد غطفان .
وإليك شاهداً آخر :

أرقت لبرق آخر الليل دونه رضام وهضب دون رمان أفيح
بحزن شام كلما قلت قد ونى سنا والقرار الخضر في الدجن جنيح
فأضحى له وبلى بأكناف شربة أجش سماكى من الوبل أفصح

ذكر أن هذا البرق ستره رضام وهضب دون رمان ، ورمان : جبل معروف في شمالي بلاد
بنى أسد مجاور لجبلى طي أجأ وسلمى ، فأما ما ذكره امرؤ القيس بلفظ « شربة » فهو المعروف
اليوم بشربة في أرض مستوية كما ذكرنا . وهي بئر تردها العرب إلى هذا العهد .

* * *

٤٧ — وقال امرؤ القيس بعد الأبيات المتقدمة وهو يصف ظبياً تطرده كلاب القناص :

(١) البيت لشبيب بن البرصاء المرى . (٢) رواية ياقوت (١٥٩/٦) لهذا البيت « بحربة
أوطاوعسفان موحس » . والفياء : البداء البعيدة من الماء .

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشَّرُوقِ غُدِيَّةً كِلَابُ ابْنِ مُرْأَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسِ
مُغَرَّثَةً زُرْقًا كَانَ عُيُونَهَا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيْحَاءِ نَوَارُ عَضْرَسِ
فَأَذْبَرَ يَكْسُوها الرِّغَامَ كَأَنَّهُ عَلَى الصَّمَدِ وَالْأَكَامِ جَذْوَةٌ مُقْبَسِ
وَأَيْقَنَ إِنَّ لَأَقِيَّتَهُ أَنَّ يَوْمَهُ بِذِي الرِّمْتِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أَنْفُسِ

ذو الرمث

أما ذو الرمث فهو معلوم اليوم بهذا الاسم ، إلا أنه اختلف اختلافا قليلا فسمى « الرميثي » وهو : واد عظيم كثير الرمث يصب من جبل النير مُتَّجِهاً إلى جهة الشمال ، يقطعه السالك من غيف إلى القاعية ، وإذا سلك سبيله طريق السيارات اتجه إلى جهة الشرق واجتمع بوادي غثة ، ولم أر لغثة المعروفة اليوم بهذا الاسم ذكراً ، إلا ما ذكره صاحب معجم البلدان ^(١) قال « غُثَّتْ ماء لغني عن الأصمعي » وفي معجم البلدان عبارة أخرى أقرب من هذه قال « وقال أبو بكر ابن موسى : ذو غُثَّتْ جبل بحمي ضريبة تخرج السيول منه ومن نضاد » اهـ ، أما وادي غثة فهو يتجه إلى جهة الشرق ، ويترك جبل نضاد على يمينه ، ونضاد موجود بهذا الاسم إلى اليوم يقال له « النضادية » ^(٢) وأما « الرميثي » الباقي بهذا الاسم فهو الذي ذكره امرؤ القيس باسم ذي الرمث سمي الرميثي لكثرة نبات الرمث فيه ، والرمث : نوع من الحُمض ترغبه الإبل ، قال دريد ابن الصمة يذكر هذا الوادي :

ولولا جُنُونُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكضُنَا بِذِي الرَّمْثِ وَالْأَرْطَى عِيَاضَ بْنَ نَاشِبِ
وقال لبيد بن ربيعة العامري وهو من أهل تلك الناحية :

بذى شطب أخذ أجها قد تحمّلوا وحثّ الحداة الناجيات الذواملاً

بذى الرمث والطرفاء لما تحمّلوا أصيلاً وعالينَ الحولَ الخوافلاً

وشطب : طرف نهلان الشمال ، منفرد منه . والرميثي : يصب من طرف النير الشمال ، والمسافة الواقعة بين نهلان والنير أقل من يوم ، والمسافة الواقعة بين شطب والرميثي يوم للراكب المُجَدِّ .

* * *

٤٨ - وقال امرؤ القيس :

تَرَأَتْ لَنَا يَوْمًا بِسَفْحِ غُنَيْرَةٍ وَقَدْ حَالَ مِنْهَا رَحْلَةٌ وَقُلُوصُ

(١) المعجم ٢٦٨/٦ (٢) وهو الجبل المنيف الذي يجعله سالك طريق الرياض على السيارات عن يمينه بعد أن ينسكب القاعية ويعلو الثنية المشرفة عليها من شرقها .

إلى أن قال :

كَأَنِّي وَرَحَلِي وَالْقَرَابَ وَنَمْرُقِي إِذَا شُبَّ لِلْمَرَوِ الصَّغَارِ وَيَبِصُ
عَلَى نَقْنَقِي هَيْقِي لَهُ وَلِعْرُسِهِ بِمَنْعَرَجِ الْوَعَسَاءِ بَيْضُ رَصِيصُ
وَيَا كُنَنَ مِنْ قَوِّ لَعَا عَا وَرَبَّةَ تَجْبَرَّ بَعْدَ الْأَكْلِ فَهَوَ نَمِيصُ
تَطِيرُ غَفَاءَ مِنْ تَسِيلٍ كَأَنَّهُ سُدُوسُ أَطَارَتُهُ الرِّيَّاحُ وَخُوصُ
تَضَيَّمَهَا حَتَّى إِذَا كَمْ يُسْغَ لَهُ نَصِيٌّ بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصُ

أما غنيزة : فهي معلومة اليوم من مُدُن القصيم ، وقد تقدم الكلام عليها ^(١) .
وأما الوعساء فهي أكثبة رمل متصل بعضها ببعض على طريق الحاج من البصرة إلى مكة الوعساء

قال ذو الرمة :

أَيَا ظَنِيَّةِ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلَ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ
وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ مَوْضِعاً بِهَذَا الْأَسْمِ .

وأما « قَوٌّ » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، وقد اختلف الرواة فيه ، قال في معجم البلدان : ^(٢) قو
قال الجوهري : قو بين فيند والنباج ، واستبدل بيت امرئ القيس حين قال :

سَمَّا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَتَصْرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوِّ فَمَرَعَا
وقو الذي ذكره امرؤ القيس في هذا البيت وقَرَنه بعرعر يقع في القطعة الجنوبية من نجد ،
وقد اندرس اسمه ، لأن عرعر الذي قرَّنه امرؤ القيس به واقعٌ في هضب يقال له اليوم : عراعر ،
والهضب واقع في جنوبي نجد ، وقال زُرْعَةُ بْنُ تَمِيمٍ الحِطْمُ الْجَعْدَى :

وَإِنْ تَكُ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ خَيَّمَتْ بِقَوِّ فَإِنِّي وَالْجَنُوبَ يَمَانٍ
وَمُغْتَرَبَ مَنْ أَهْلُ لَيْلَى رَعِيَّتُهُ بِأَسْبَابِ لَيْلَى قَبْلَ مَا تَرِيَانِ
نَشَرْتَ لَهُ كَفَّانَةً مِنْ بَشَاشَةٍ وَمَنْ نَصَحَ قَلْبِي شُعْبَةً وَلِسَانِي

وأما قو الذي ذكره الحطيئة لما نزل على الزُّبْرَقَانِ بن بدر وتركته زَوْجُ الزُّبْرَقَانِ فقال :

أَلَمْ أَكُ نَائِيماً فَدَعَوْهُمُونِي فَخَانَتْنِي الْمَوَاعِدُ وَالْذُّعَاءُ
أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ فَتَرَكَمُونِي لِسَكَلِي فِي دِيَارِكُمْ عُوَاءُ
أَجِيلَ عَلَى الْخَبَاءِ بِيْطَنَ قَوِّ بَنَاتِ اللَّيْلِ فَاحْتَمِلِ الْخَبَاءُ

فإن قوا هذا الذي ذكره الحطيئة واقعٌ في بلاد بني تميم في القطعة الشرقية من نجد ، قال في

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٢٠ . (٢) المعجم ٧ / ١٨٦ .

معجم^(١) البلدان : و بطن قو وادٍ يقطع الطريق ، طريق القاصد من البصرة إلى المدينة ، إلى أن قال « موضع تدخله المياه ولا تخرج ، وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو » ١ هـ . ولا أعلم شيئاً بهذه الصفة ليس بينه وبين النجاج إلا مرحلة واحدة إلا أسفل وادي الرمة إذا ترك السالك عذيرة عن يمينه وانعرج إلى روضة الزغبية ، وهي التي تصب فيها سيول الرمة ولا تخرج . وقد غلط كثير من الشراح والطباع في لفظة . قو . وجو . وخو . فحرفوها ، حتى إنهم ذكروا في بيت زهير بن أبي سلمى :

لئن حَلَّتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينَ عَمُرُو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَذَكَ

وزهير يعني خوالاً لأنها موجودة اليوم بهذا الاسم يقال لها « الخوة » واقعة من سمراء في جنوبها الشرقي قريب الجبل الذي يقال له حبشى ، تقع في شرقيه .

أما « حائل » فهي المدينة المشهورة في جبال طيء ، واقعة من جبل أجأ في جنوبه قريباً منه ، وهي باقية على اسمها إلى يومنا هذا . قال امرؤ القيس :

أَبْتُ أَجْأً أَنْ تُسَلَّمَ الْيَوْمَ جَارَهَا فَنِ شَاءَ فَلَيَنْهَضَ لَهَا مِنْ مَقَاتِلِ
تَبَيَّتْ لَبُونِي بِالْقَرْيَةِ أَمْنًا وَأَسْرَحَهَا غَبًّا بِأَكْنَفِ حَائِلِ
بَنُو ثَعْلَ جِيرَانُهَا وَحُمَاتِهَا وَتَمَنَعَ مِنْ رَجَالِ سَعْدٍ وَنَائِلِ

ودخل بدوى إلى الحضر وهو في العراق ، فاشتاق إلى بلاده ، فقال :

لَعَمْرِي لَنَوُرُ الْأَقْحُوَانِ بِحَائِلِ وَنَوُرُ الْخَزَائِي فِي الْأَاءِ وَعَرْفَجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا يَا أَحْمَدُ بْنُ مَالِكٍ مِنَ الْوَرْدِ وَالْخَيْرِي وَذُهْنِ الْبَنْفَسَجِ
وَأَكْلُ يَرَابِيعِ وَضَبٍ وَأَرْبِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سُمَانِي وَتَدْرِجِ
وَنَصُّ الْقِلَاصِ الصُّبِّ تَدْمِي أَنْوَفَهَا يَجْبُنُ بِنَا مَا بَيْنَ قَوٍّ وَمَنْعَجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَفِينٍ بِدَجَلَةٍ وَدَرْبِ مَتَى مَا يَظْلِمُ اللَّيْلُ يُرْتَجِ

أما حائل فقد ذكرها امرؤ القيس في مواضع كثيرة من شعره ، وسنمر على بعض المواضع التي فيها ذكر حائل .

* * *

٤٩ — قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أَعْنَى عَلَى بَرْقِ أَرَاهُ وَمِیْضِ يُضِيءُ حَبِيًّا فِي شَمَارِيخِ بِيْضِ

إلى أن قال :

قَعَدْتُ لَهُ وَصَحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ تِلَاعٍ يَثْلَثُ فَالْعَرِيضِ
أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لَوَاهُمَا فَوَادِي الْبَدْيِ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ

أما ضارج: فقد تقدم الكلام عليه^(١) وهو في هذا الشعر واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان.

وأما يَثْلَثُ: فهو جبل في عالية نجد، يقال له اليوم « أثلاث » أبدل القوم ياء همزة، وهو واقع بين ثملان ودمخ، جميل ليس بالكبير بين الشقرة والسواد.

وأما العريض الذي ذكره امرؤ القيس فهو عرض ابني شمام، يقع في سواد باهلة، وهو جبال متصل بعضها ببعض، يقال لها اليوم « العرض » وهو يحاذي يثلاث المذكور، إذا سال يثلاث من سحاب، وهو على مسيره إلى جهة الشرق يسيل منه العرض، وفيه قرى كثيرة ومزارع وأودية عامرة، من أوديته « وادي الخنقة » قال القحيف العقيلي:

تَحْمَلُنْ مِنْ بطنِ الْخَنْوَقَةِ بَعْدَ مَا جَرَى لِلثَرِيَا بِالْأَعَاصِيرِ بَارِحَ

وقرى العرض: أكبرها بلد القويعية، ووادي القويعية أسفل البلد المشهورة بهذا الاسم، وأعلى ثنية ابن عصام الباهلي التي يقال لها اليوم « ريع المشعر » وفي هذا الوادي مما يلي بلد القويعية « بلد مزعل » وسكانها العراني من جهور بني خالد و « بلد الجفارة » وهي تبعد عن مزعل مسير ثلاث ساعة للسائر على قدميه، وأعلى القرى قصور القويعة، إذا كنت منحدراً تبدأ بالقويعة وتنتهي بالقويعية، وهو منقطع من اليمامة بينه وبينها أربع مراحل، جباله سود، يقال له اليوم « العرض » وهو الذي عناه امرؤ القيس في هذا الشعر بقوله « العريض » وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضع: العرض الذي تقدم ذكره، والعارض المتصل من العك إلى وادي برك، وهذا يقال له « عارض اليمامة » والعويرض المتصل من وادي برك إلى وادي الهدار وطرف الأفلاج الجنوبي، وهذا الجزء كله يقال له: العويرض، وهو في اليمامة أيضاً.

وأما « قُطَيَّات » فهي هَضَبَاتُ حُمْرٍ معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلاً بإبدال بعض الحروف، وفي جنوبي حمى ضرية هضبات حمراء، يقال لها اليوم « مغطيات » زادوا على قطيات ميا، وأبدلوا القاف غينا، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد، تبعد عنه مسافة نصف يوم، وهناك هَضَبَاتُ بِهَا مَاءٌ وَقَلَاتٌ بِالْقَرَبِ مِنْ ضَرِيَةٍ فِي جِهَتِهَا الْجَنُوبِيَّةُ يُقَالُ لَهَا « مطبوى ضرية »، وهناك هضبات حمراء في طرف شعبي مما يلي شمالها ويقال لها « المطبويات » وهي واقعة في نفس الحمى حمى ضرية، والأول أقرب لقطيات، قال

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٤.

مُطَيَّر بن أَشْيَمِ الأَسَدِي (١) :

فَجَالَ جَابٌ كَسَقُودِ الحَدِيدِ لَهُ وَسَطَ الأَمَازِزِ مِنْ نَقَعِ جَنَابَانِ
تَهْوِي سَنَابِكُ رَجُلِيهِه مَجْنَبَةً فِي مَكْرِهِ مِنْ صَفِيحِ الْفَقِّ كَذَّانِ
يَنْتَابُ مَاءَ قُطَيَّاتٍ فَأَخْلَفَهُ وَكَانَ مِنْهُلَهُ مَاءُ بَحْوَازَانِ
تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ المَاءِ طَافِيَةً كَأَنَّ أَعْيُنَهَا أَشْبَاهُ خِيَلَانِ

وأما وادي البدى فسيأتى الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبيد .
فأما الأريض : فهو كما ذكره امرؤ القيس ، لكننى لا أعرفه بهذا الاسم .

البدى
الأريض

٥٠ — وقال امرؤ القيس :

لَعَمْرِي لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَةٍ ذِي الهَوَى سَعَادٌ ، وَرَاعَتِ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعَا
وَقَدْ عَمَرَ الرُّوَضَاتِ حَوْلَ مُخَطَّطٍ إِلَى اللُّخِّ مَرَأًى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعَا
مَتَى تَرَدَّارًا مِنْ سَعَادٍ تَقِفُ بِهَا وَتَسْتَجِرُّ عَيْنَاكَ الدُّمُوعَ فَتَدْمَعَا

أما الروضات ومخطط واللخ فهي مواضع ، ولكننى لم أعرفها بهذا الاسم إلا في جهة اليمن ،
قال أبو شمر الحضرمي (٢) :

الروضات
ومخطط واللخ

عَفَا مِنْ سُلَيْمِي رَوْضَتَا ذِي المَخَابِطِ إِلَى ذِي العَلَاقِي بَيْنَ خَبْتِ خَطَائِطِ

فهذا شاهد صاحبه يمان ، وهناك موضع قريب وادى الرمة يقال لها « الخطائط » يقع من
وادى الرمة في شماليه ، ومخطط الذى ذكره امرؤ القيس يمكن أن يكون قريبا من تلك الناحية ،
وأن اسمه قد تغير وسمى الخطائط ، قال مالك بن نويرة في يوم الغبيط حين هزمت يربوع بنى شيبان
ولم يشهده (٣) :

وإِلَّا أَكُنْ لَا قِيْتُ يَوْمَ مُخَطَّطٍ فَقَدْ خَبَّرَ الرِّكْبَانُ مَا أَتَوَدُّ
أَتَانِي بِفَقْلٍ الْخُبْرُ لَمَّا لَقِيْتُهُ رَزِينٌ وَرَكِبُ حَوْلَهُ مُتَّصِعِدُ
فَأَقْرَرْتُ عَيْنِي يَوْمَ ظَلَوْا كَانَهُمْ بِبَطْنِ الغَبِيْطِ خُشْبُ أَثْلِ مُسْنَدُ
صَرِيْعٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَنْقَرُ عَيْنُهُ وَآخِرُ مَكْبُولِ يَمَانٍ مَقِيدُ

فهذا الشاعر رجل من بنى يربوع ، ومنازلهم في أسفل وادى الرمة على حدود القصيم ، وهو
رجل مشهور بفروسيته ومجده ، قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ، وهو الذى رثاه أخوه مُتَمِّمُ بن نويرة

(١) الأبيات في معجم ياقوت ٧ / ١٢٨ . (٢) المعجم ٧ / ٤٠٢ . (٣) المعجم ٧ / ٤١٠ .

في قصيدته حين قال :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعًا

٥١ — وقال امرؤ القيس وهو يرثي الحارث بن حبيب السلمي ، وكان قد خرج معه إلى

الشَّام ومات في بصرى :

تَوَى عِنْدَ الْوَدِيَّةِ جَوْفَ بُصْرَى أَبُو الْأَيْتَامِ وَالْكَلِّ الْعِجَافِ
فَمَنْ يَحْمِي الْمُضَافَ إِذَا دَعَاهُ وَيَحْمِلُ خُطَّةَ الْأَنْسِ الضَّعَافِ^(١)
وبصرى : قد مضى الكلام عليها^(٢) وأنها قاعدة حوران . وهي باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا

٥٢ — وقال امرؤ القيس :

الْأَعِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقْ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْذُقْ
وَحَدِّثْ بَأْنَ زَالَتْ بَلِيلُ حُمُولِهِمْ كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنْبَقِ
جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَمَدْنَ قَعَانِدًا وَحَفَقْنَ عَنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ الْمُنَقِ
عَلَى إِثْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنَيَّْةٍ كَفَلُوا الْعَقِيقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطَرِقِ

الأعراض

أما الأعراض فهي أعراض اليمامة ذات النخيل .

العقيق

والعقيق : في هذا البيت يقصد به عقيق اليمامة ، وهو واد ينصب من الغرب إلى جهة الشرق

بطرف عارض اليمامة جنوبى الأفلاج .

مطرق

وأما مطرق : فهو ملزم ماء في بلاد بني تميم الشرقية ، قال ذو الرمة :

(١) وقع في الديوان « فمن يحمي المضاف » وضبطه بفتح الميم وبالضاد المهملة ، وفسره الشارح
السندوني بساحة الحرب ومعتك النزال ، وليس بشيء ، وإنما هو « المضاف » بضم الميم وبالضاد المعجمة -
وهو الذى ألجأته الحاجة وأثقله الهم والشر ، وهى عبارة كثيرة الورد فى شعر العرب ، فمن ذلك قول
البريق الهذلى :

ويحُمى المضاف إذا ما دعا إذا ما دعا اللمة الفيلم

ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكرى :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نهته المتورد

(٢) انظر ص ٦٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٢٩ .

تَصَيِّقُنَ حَتَّى أَصْفَرُ أَنْوَاعَ مَطَرٍ وَهَاجَتِ لِأَعْدَادِ الْمِيَاهِ الْأَبَاعِرَ

وهو واقع بالقرب من عارض اليمامة ، قال في معجم البلدان ^(١) عن الحفصي : ومن قلات العارض المشهورة - يعني عارض اليمامة - الحمايم ، والحجائر ، والنظيم ، ومطرق . قال مروان بن أبي حفصة إذا [ما] تذكَّرت النِّظِيمَ ومَطْرُقًا حَنَنْتُ وَأَبْكَانِي النِّظِيمَ وَمَطْرُقًا

فأما مطرق : فقد اندرس اسمه هذا ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

وأما النظيم : الذي قرَّنه مروان بن أبي حفصة بمَطْرُق فهو باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم فيه ماء ينصبُّ من ثنية بنى سدوس إلى وادى الأحيسى الذى يقال له اليوم « وادى الحيسية » إذا كنت قاصداً الرياضَ عاصمة نجد وكنت فى وادى الأحيسى قبل أن تصل خراب العيينة فالنظيم على يسارك ، فيه ملزم ماء لا ينقطع ^(٢) .

النظيم

وأما عقيق اليمامة : فهو كما ذكرنا ، قال في معجم ^(٣) البلدان : قال السكونى : عقيق اليمامة لبني عقيل ، فيه قرى ونخيل كثيرة ، ويقال له « عقيق تمرة » وتمر : قرية باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، أعرفها بتلك الناحية ، وقال شاعر من بني عقيل فى ذكر عقيقهم :

عقيق اليمامة

تَرْبَعُ لَيْلَى بِالْمُضَيَّحِ فَالْحُمَى وَتَحْفَرُ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ السَّوَاقِيَا

وقال الفرزدق :

أَلَمْ تَرَ أَنَى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتِ فَنَادَتْنِي هَنِيْدَةً مَالِيَا

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ الْبُكَاءَ لَرَّاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مِنْ ظَنٍّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

قَمِي وَدَّعِينَا يَا هَنِيْدَ فَإِنِّى أَرَى الرِّكْبَ قَدْ سَامُوا الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا

والركب مُتَجِّهون من عارض اليمامة إلى اليمن ، فجعله الفرزدق عقيقاً يمانياً ، وهو موجود اليوم بهذا الاسم واقع بين الأفلاج ووادى الدواسر ، وهو إلى الأفلاج أقرب من الوادى ، فيه نخل ، وسكانه من الدواسر ومواليهم .

* * *

٥٣ — وقال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَهْلًا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنَ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي

(١) المعجم ٨ / ٨٦ فى ترجمة (مطرق) . (٢) والنظيم أيضا : قلتان عظيمتان فى أعلى وادى صفار غربى بلد الدرعية ، وهذا الموضع كمنزلة يرتاده من شاء النزهة من أهل الدرعية وقت الربيع .

(٣) المعجم ٦ / ١٩٨ .

إلى أن قال :

دِيَارٌ لَسَلْمَى عَافِيَاتُ بِيْذَى الْخَالِ أَلَحَّ عَلَيَّهَا كُلُّ اسْتَحَمَ هَطَّالٍ
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًّا مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بِيضًا بِمِثَاءٍ مَخْلَالٍ
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا بِوَادِي الْخَزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالٍ

أما الخال فهو جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قريب الدفينة الماء المشهور في طريق نجد بين المويه وعفيف ، يقع من الدفينة في جنوبها الغربي على مسافة ساعة للماشي المجدد ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

أَهَاجَكَ بِالْخَالِ الْجَوْلُ الدَوَافِعُ فَأَنْتَ لَمْهَوَاهَا مِنَ الْأَرْضِ نَازِعُ
وقال عمرو بن معد يكرب :

وَهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ الْخَالِ قَيْسًا وَأَشَعَتْ سُلْسُلَا مِنْ غَيْرِ عَهْدٍ
وفيه ماء يقال له « خالة » وهو لـكـلب بن وبرة في بادية الشام ، قال النابغة :

بِخَالَةٍ أَوْ مَاءِ الذَّنَابَةِ أَوْ سَوَى مِظْنَةِ كَلْبٍ أَوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ
وقد ظننت أول الأمر أن النابغة قصد بخالة خال الدفينة ، لأن الذنائب قريب منه ، ولكنني لما رأيته ذكر « سوي » وهي واقعة في بلاد كلب بن وبرة في أرض مضلة ، ففي فتوحات خالد ابن الوليد رضي الله عنه أنه أخذ دليلا من طيء لقطع المسافة يقال له رافع ، فلما ورد بهم الماء قال الشاعر :

لله در رافع لما اهتدى فوز من قراقر إلى سوي

وسوي في طريق الشام ؛ لما رأيته ذكر سوي علمت أن خالة هناك في بلاد كلب بن وبرة .
أما ميثاء فهي لفظة مستعملة عند العرب للأرض السهلة المستوية .

ميثاء

ووادى الخزامى لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، ولا أشك أنه موضع قد تغير اسمه أو بعضه .

أوعال

وأوعال : جبل أحمر باق على اسمه إلى اليوم ، إلا أنه تغير قليلا فسموه « وعلة » فهو الآن يذكّر بهذا الاسم ، وموقعه بين جبل كرش وبين جبل الكبدى ، وهو إلى جبل كرش أقرب ، وهو في القطعة الجنوبية الغربية من نجد ، وجبل كرش وجبل وعلة قريبان من ماء الصخرة يقعان منها في الجهة الجنوبية الغربية ، وسمى أوعالا لأنه تصطاد فيه الأوعال^(١) ، لأن الأوعال لا ترتفع إلا في شعاف الجبال ، وقال عمرو بن الأهم :

قفا نبيك من ذكرى حبيب وأطلال بذي الرضم فالرمانتين فأوعال

(١) الأوعال : جمع وعل ، وهو التيس الجبلى .

الرضم

أما الرضم فهو باقي بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، لم يتغير ، وهو ماء مشهور واقع في فيضة وادي المياه ووادي الجريب إذا قربتا من وادي الرمة ، سمي الرضم لكثرة الرضم المحيط به من هضبات وغيرها ؛ أما الرمانتان فهما واقعتان في طرف رمان الجبل الواقع في بلاد بني أسد ، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا في طرف رمان ، أما أوعال : فهو الذي ذكرنا أنه « وعلة » وهو الذي ذكره عمرو ابن الأهتم ، وهناك رمانتان في البلاد الشرقية قريب الأحساء ، وهما هضبتان صغيرتان واقعتان من بلاد الأحساء في شمالها ، قال عرقل بن الحطيم العسكلي :

لعمرك للرَّمان إلى بئاء فحزم الأشيمين إلى صُبَّاح^(١)
وأودية بها سَلَمٌ وسِدْرٌ وحض هيكل هذب النواحي
أسافلهم ترفض في سهوب وأعلاهم في لجف وراح
نَحْلٌ بها ونزُلٌ حيث شَمْنَا بما بين الطريق إلى رُمَاح
أحبُّ إلى من أطام جَوٌّ ومن أطواها ذات المَنَاحي

والرمانتان وصباح ورماح ، كلها باقية بهذه الأسماء : أما صباح فهي أرض « صباحا » في أسفل سدير ، تقع في الجهة الشرقية . وقد تقدم الكلام عليها وذكرنا سبب تسميتها صباحا^(٢) ورماح : ماء قديم جاهلي على طريق الأحساء بينه وبين نجد مما يلي الدهناء في جهتها الغربية ، والرمانتان اللتان ذكرناهما قريب بلاد الأحساء في جهتها الشمالية .

* * *

٥٤ - وقال امرؤ القيس :

وَمِثْلُكَ بَيْضَاءُ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ لَعُوبٌ تُنْسِيَنِي إِذَا قُمْتُ سِرْبًا بَالِي
إِذَا مَا اسْتَحَمْتُ كَانَ فِيضٌ حَمِيمًا عَلَى مَتْنَيْهَا كَالْجَمَانِ لَدَى الْجَالِي
تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلَهَا يَيْتَرِبُ أَذْنِي دَارَهَا نَظَرَ عَالِي

أذرعَات

أما أذرعَات فهي من نواحي البلقاء بين الشام وعمان ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها أيام الفتوحات في صدر الإسلام ، قال بعض الأعراب^(٣) :

أَلَا أَيُّهَا الْبَرْقُ الَّذِي بَاتَ يَرْتَقِي وَيَجْلُو دُجَى الظُّلُمَاءِ ذَكَرْتُ نَجْدًا
وَهِيَ جَنَّتِي مِنْ أَذْرِعَاتٍ ، وَمَا أَرَى بَنَجْدٍ عَلَى ذِي حَاجَةٍ طَرِبَا ، بُعْدًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ يَقْصُرُ طَوْلُهُ بَنَجْدٍ ، وَتَرْدَادُ الرِّيحِ بِهِ بَرْدًا

(١) لا يتم وزن هذا البيت إلا بتخفيف الميم من « رمان » ونص ياقوت أنه بتشديد هاء ، وانظر المعجم ٢ / ٢٨٣ . (٢) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء . (٣) المعجم ١ / ١٦٣ .

وأذرعاً باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا وليست مجهولة .

يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويثرب : اسم قديم من أسمائها ، ذكروا
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثاً ، فإنها طيبة ، وقد
أكثر الشعراء من ذكر يثرب ، قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية وهى تخاطب أخاها ضباً لما
حملها إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وتزوجها وقتل وهى عنده :

أحقاً تراه اليوم يا ضب أنى مصاحبة نحو المدينة أركباً

لقد كان فى فتیان حصن بن ضمضم لك الويل ما يحزى الخباء المحجّباً

قضى الله حقاً أن تموتى غريبة يثرب لا تلقين أما ولا أبا

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر « اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك
إلى ، فأسكنني أحب أرضك إليك » فأسكنه الله المدينة ، وإليها تنسب السهام اليتريية ، قال
كثير عزة^(١) :

وماء كأن اليتريية أنصلت بأعقاره دفع الإزاء نزوع

* * *

٥٥ - وقال امرؤ القيس :

كأنى بفتحاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شملال

تخطف خزان الشربة بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

اختلف الرواة فى تحديد الشربة ، والصحيح أن حدّها الشرقى « عريق الدسم » المحاذى
لشعبى الجبل المشهور فى الحمى ، وحدّها الشمالى ماوان والنقرة ، وحدّها الجنوبى وادى الجريب الذى
يقال له اليوم « وادى الجرير » وحدّها الغربى جبال الشعبة التى فيها عدنة ، ولكن عدنة فى عهدنا هذا
قد أبدلت عينها باء فهى تسمى اليوم « بدنة » ، والمياه الواقعة فى الشربة : الرضم وهو فى شرقها ،
والجنوم والمضيح وشعب العسيديات ، والعسيديات : جبال حمر فى جنوبى الشربة ، وأبو طريفى
والغثمة فى جنوبىها أيضاً . ومنهم من قال : إن حدودها الغربية تمتد إلى جبال أبلى ، وسيأتى
الكلام عليها ، وجبال هضب الشرار المسمى بهذا الاسم اليوم وهو فيما سبق هضب شرورى^(٢)

(١) ديوان كثير عزة ١ / ١٣٠ .

(٢) وهضب القتاد : هو الذى كان يسمى فيما

سبق « هضب القليب » وعامة أهل نجد يسمونه اليوم « هضب القتاد » .

وأما المياه الواقعة في شمالي الشربة فهي : طلال ، وحسى عليا ، والنفازى ، وبلغة ، والملاوية .
وأما النقرة فهي منقطعة من بلاد غطفان داخلية في بلاد بنى أسد ، والمشهور عند جميع الرواة أن
الشربة واقعة في بلاد غطفان .

وقد سمي الرضيم بهذا الاسم لكثرة هضابه ، وربما قيل له : رضام ، قال السيد الحميرى :
وأصْبَحَ راسيا برضامَ دَهْرًا وسال به الحائل في الرمال
الرمال : هو « عريق الدسم » الواقع في شرق الرضيم ، وقال تميم بن [أبى بن] مقبل :
أرقت لبرق آخر الليل دونه رضام ، وهضب دون رمان أفيح
وقال عمرو بن الأهتم التميمي وقد أوردنا هذا البيت فيما مضى على ذكر أوعال :
قفانبك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرضيم فالرمانتين فأوعال
وقال الراعي في ذكر الجنوم والمضيح :
تروحن من هضب الجنوم ، وأصْبَحَتْ هضابُ شَرَوْرَى دونه فالمضيح
وهضب شَرَوْرَى هو الذى مر ذكره ، وهو اليوم يسمى « هضب الشرار » وقال القتال الكلابي
في المضيح ^(١) .

عفا لفلف من أهله فالمضيح فليس به إلا الثعالب تَصْبِحُ
وقال الطرماح :

وليس بأدمان الثنية موقد ولا نابج من آل ظبية ينبح
لئن مرّ في كرمان ليلى ، فرما حلا بين تلّ بابل فالمضيح
وقال كثير :

فأصبحن بالعباء يرمين بالخصى مدى كل وحشٍ لهن ومُسْتِمِ
موازنة هضب المضيح ، واتقت جبال الحمى والأخشبين بأخرم

لقد أصاب كثير ، لأن اللعباء مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى مقابلة للمضيح في الجهة
الشمالية وجبال الحمى في الجهة الشرقية ، أما العسيميات فقد قال الأصمى : إن فى عالية نجد جبلا
يقال له : عسيباء ، وأما الشعب الذى أضفناه للعسيميات فلم أر له ذكرًا فى الشعر القديم ، وأما
أبو طريفي فهو ماء حديث يعلم خروجه المسنون من أهل نجد ، وأما الغثمة : فلم أر من ذكرها فى
الشعر القديم بهذا الاسم ، وأما طلال فهو ماء معروف بهذا الاسم فى الجاهلية ، قال أبو صخر

الهذلي^(١).

يُفِيدُونَ الْقِيَانَ مَقِيمَاتٍ كَأُطْلَاءِ النَّعَاجِ بَذَى طَلَالٍ
وَصُلْبِ الْأَرْحَمِيَّةِ وَالْمَهَارِيِّ مُحْسِنَةً تَزَيْنُ بِالرَّجَالِ

وعنده جبل يقال له جبل طلال ، قال الفرزدق :

فِي جَحْفَلٍ لَجِبَ كَأَنَّ زُهَاهُ جَبَلُ الطَّلَالِ يَضَعُضُ الْأُمَيَّالَا^(٢)

وأما « حسي عليا » فبالقرب منه ماء يقال له : المرير ، والمريرة ، وفي بعض الأشعار يضاف الحسي إليها ، قال الشاعر :

أَيَا نَخَلْتِي حَسَى الْمَرِيرَةِ ، هَلْ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى ظَلِيمِكَ أَوْ جَنَّا كَمَا
أَيَا نَخَلْتِي حَسَى الْمَرِيرَةِ ، لَيْتَنِي أَوْ كُنْتُ طَوَالَ الدَّهْرِ حَيْثُ أَرَاكَ

سمى المرير والمريرة لأن ماءه مالح ، قال أعرابي وهو يصبُّ لإبله وتسكظم عليه ولا تُسَيِّغُهُ :
هَذَا الْمَرِيرُ فَاشْرَبِيهِ أَوْ ذَرِي إِنَّ الْمَرِيرَ قِطْعَةٌ مِنْ أَخْضَرِ

وأما « النفازي » فلم نجد له ذكرا في شعر الجاهلية ، وهو بهذا الاسم ، وأما بلغة اليوم فلم نجد لها ذكرا أيضا ، وهي بهذا الاسم اليوم . وماوان قد تقدم الكلام عليه في بائية امرئ القيس^(٣) .

وقد حدد الشربة جميع الرواة الخبيرين بنجد وبقاعها كالأصمعي ، وآخر تحديد لها تحديد الكتاب الأديب رشدي ملحس ، ونحن استقصينا في تحديدها فيما قدمناه قريبا ، وهذه التحديدات التي ذكرها الناس وإن اختلفت عبارتها فهي مقاربة المعنى ، وقال بعض الشعراء^(٤) :

وإِلَى الْأَمِيرِ مِنَ الشَّرْبَةِ وَاللَّوَى عَيَّيْتُ كُلَّ نَجِيمَةٍ شَمْلَالٍ

واللوى الذي قرَّنه بالشربة في هذا البيت هو الكئيب الذي ذكرنا أنه حَدَّثَهَا الشَّرْقِيَّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ « عَرِيقُ الدِّسَمِ » وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ الدِّسَمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ أَعْرَابِي يَرْتِي أَخَاهُ وَقَدْ قَبِرَهُ فِي هَذَا الْعَرِيقِ^(٥) :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَّرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبُ
لَجَلَّتْ بِأَرْجَاءِ الْجَفُونِ سَوَافِحُ مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَقِيلِي الَّتِي تَتَعَقَّبُ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَدِّ سَاقَهَا دَمٌّ بَعْدَ دَمْعٍ إِثْرُهُ يَتَصَدَّبُ
فَإِنْ تُسْعِدَا نَفْدَبُ عَمِيدَا بَعُولَةَ وَقَلَّ لَهُ مِثْلُ الْبَسْكِ وَالْمَحْوَبُ

(٢) رَوَاهُ يَاقُوتُ « جَبَلُ الطَّلَاةِ » .

(١) انظر للمعجم ٦ / ٥٣ .

(٤) المعجم ٥ / ٢٤٩ . (٥) المعجم ٤ / ٦٠ .

(٣) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء .

وقال في ذكر الشربة ضباب بن وقدان الظهري :

لعمري لقد طالما غالى تداعى الشربة ذات الشجر

واستعمل هشام بن عبد الملك الأسود بن بلال الحاربي على بحر الشام ، فقدم عليه أعرابي من بني عمه ، ففرض له وأغزاه البحر ، فلما رأى البدوي تلك الأحوال قال ^(١) :

أقول وقد لاح السفين ملججا وقد بعدت بعد التقرب صور
وقد عصفت ريح ، وللموج قاصف ، وللبحر من تحت السفين هدير
ألا ليت أجري والطاء صفاً لهم وحظي حظوظ في الزمام وكور
فله رأي قاذي لسفينة وأخضر موار الشرار يمور
تري متنه سهلاً إذا الريح أفلعت وإن عصفت فالسهل منه وعور
فيا بن بلال للضلال دعو تني وما كان مثلي في الضلال يسير
لئن وقعت رجلاي في الأرض مرة وحان لأصحاب السفين بكور
وسلمت من موج كان متونه حراء بدت أركانه وثبير
ليعترضن اسمي لدي العرض خلقة وذلك إن كان الإياب يسير
وقد كان لي حول الشربة مقعد لذيد وعيش بالحديث غدير
ألا ليت شعري هل أقولن لفقيمة وقد حان من شمس النهار ذرور
دعوا العيس تدني للشربة قافلاً له بين أمواج البحار وكور
وذكروا أن الشربة هي أشد نجداً قرأ .

أورال : أما أورال : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم ، وذكر أصحاب المعاجم ^(٢) أن أورال ثلاثة أجبل

سود في جوف الرمل ، الواحد ورل ، فيقال : الورل الأيمن ، والورل الأيسر ، والورل الأوسط وحذاوهم مائة لبني عبد الله بن دارم يقال لها : الورلة ، قال عبيد بن الأبرص :

وكان أفتادى تضمن نسعها من وحش أورال هبيط مفرد
باتت عليه ليلة رجيمية نصبا تسح الماء أوهي أبرد

وهذا الجبل في بلاد بني تميم ^(٣) وظني أنه هو الذي عناه امرؤ القيس .

وأما أورال في قول كثير :

(٢) المعجم ١ / ٣٧٠ .

(١) المعجم ٥ / ٢٤٩ .

(٣) قال ياقوت « وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل » المعجم ١ / ٣٧١ .

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدُنَا أَرَأَيْتَ فَصِرْمًا قَادِمٌ فَتَنَاضِبُ ؟
فهو جبل بالحجاز ، وأنا أعرف تناضب بهذا الاسم اليوم ، وقد وردتها ، وهى واقعة من بلد
الحفاكية فى جنوبيها الغربى ، فى وادٍ كثير الشجر ، وتناضبه عظيمة ، وظنى أنه لم يسم التناضب
إلا لكثرة شجره ، وهو وادٍ مشهور بهذا الاسم ، وظنى أن سيله يصب فى أودية المدينة .

* * *

٥٦ - وقال امرؤ القيس :

حَيَّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ إِذْ لَا مُيَلَّعٌ شَكْلُهَا شَكْلِي
مَاذَا يَشْقُ عَلَيَّكَ مِنْ ظُعْنٍ إِلَّا صَبَاكَ وَقِلَّةُ الْعَقْلِ

قال فى معجم البلدان ^(١) : العزل ماء بين البصرة واليمامة ، وهناك موضع يقال له اليوم
« المعيزيلة » وهى أكمة رمل قليلة بين اليمامة والدَّهْنَاءُ معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد .

* * *

٥٧ - وقال امرؤ القيس :

لَمَّا سَمَا مِنْ بَيْنِ أَقْرَنَ فَالْ أَجْبَالَ قُلْتُ : فِدَاؤُهُ أَهْلِي
هَمْ سَيَبْلُغُهُ التَّمَامُ فَذَا ظَنِّي بِهِ سَيْنَاكُ أَوْ يُبْلِي

أما أقرن فقد قال فى معجم البلدان ^(٢) : هو موضع ، واستدل بيت امرؤ القيس هذا ، وهناك
موضع يقال له « قرن » جبل أسود فى أعلى بلاد غطفان ، باق بهذا الاسم ، وذكروا أن الأجبال
التي عنها امرؤ القيس هى أجبال صبيح ، وهى كذلك فى بلاد غطفان ، فسميت بأجبال صبيح ،
وصبح هذا : رجل من عاد كان يسكنها فسميت به ، لأنه كان يطيل الإقامة فيها ، قال الشاعر :

أَلَا هَلْ إِلَى أَجْبَالَ صَبِيحِ بَذَى الْغَضَى غَضَى الْأَثَلِ مِنْ قَبْلِ التَّمَاتِ مَعَادُ ؟
بلاد بها كنا ، وكنا نُحِبُّهَا ، إِذِ الْأَهْلُ أَهْلٌ ، وَالْبِلَادُ بِلَادُ
وأنا لا أعرفها اليوم بهذا الاسم .

* * *

٥٨ - وقال امرؤ القيس :

يَادَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخَبَتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

أما حائل هذه فلا أظن أنه غنى بها حائلا الواقعة فى جبل طيء . وأما السهب فهو موضع

حائل

السهب

معروف تصب فيه أودية اليمامة ويقال لها اليوم « السهباء » قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ وقد ذكر السهب^(١)
وبالسَّهْبِ مَيِّمُونَ الْخَلِيقَةَ ، قوله لَمَلَّتْ مِسْ المعروف أهلٌ ومرَّ حَبٌ
وقال جرير وأنى به مقصورا :

كلفت صحبى أهوالاً على ثقةٍ لله درُّهُمُ ركباً وما كلفوا
ساروا إليك من السَّهْبِا ودُونَهُمُ فَيَحْنُ فَالْحَزْنُ فَالضَّمَانُ فَالْوَكْفُ
يُزْجُونَ نَحْوَكَ أَطْلَاحاً مُخَذَّمَةً قد مَسَّهَا النُّكْبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْعَجَفُ

والسَّهْبِا في أسفل بلد الخرج تصبُّ فيها سيولُ أودية اليمامة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد
وأما الخبتان من عاقل فإن أصل الخبت ما انخفض من الأرض ، وقد أضاف امرؤ القيس
الخبتين إلى عاقل ؛ فمراده بالخبتين المنخفض من جانبي عاقل ، وعاقل باقى بهذا الاسم إلى يومنا
هذا ، وهو وادٍ عظيم يصب في وادى الرمة يسمى اليوم بالعاقل ، وقد مضى الكلام عليه^(٢) .

خبثا عاقل

* * *

٥٩ - وقال امرؤ القيس :

نَطَعْنُهُمْ سُلُكِيً وَنَحْلُوجَةً كَرَّكَ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ
إِذْ هُنَّ أَقْسَاطُ كَرَجَلِ الدَّبِي أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ

كاظمة : منهل ماء في الساحل الشرقى مما يلي البصرة ، ماؤها على ظهر الأرض ، تردها
أسراب القطا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال الشاعر^(٣) :

كاظمة

يا حبذا البرق من أكناف كاظمةٍ يسعى على قصرات العَرْنِ والعُشْرِ
لله در بيوتٍ كان يَعِشُ قُهَا قلبى ويألفها إن طيبت بصرى
فقدتها فَقَدْ ظَمَانٍ إِدَاوَتُهُ والقيظ يَحْدِفُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالشَّرْرِ
أُمْنِيَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَزْدَادَ ثَانِيَةً وحالنا والأمانى حُلُوةُ الثَّمْرِ

* * *

٦٠ - وقال امرؤ القيس :

فَدَعَ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَاحِدِيثُ الرَّوَاحِلِ
إلى أن قال :

(١) المعجم ٥ / ١٨٤ .

(٢) المعجم ٥ / ١٨٥ .

(٣) انظر ص ٥٣ من هذا الجزء .

(٤) المعجم ٧ / ٢٠٨ .

أَبَتْ أَجَا أَنْ تُسَلِّمَ الْيَوْمَ جَارَهَا قَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مَقَاتِلِ
تَبَيْتُ لَبُونِي بِالْقَرْيَةِ أَمْنَا وَأَبْعَثُهَا غَبًّا بِأَكْنَفِ حَائِلِ
أما أَجَا : فهو الأول من جبال طيء الواقع في الجهة الشمالية من حائل ، ولا يزال معروفا
بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود به حُجْرَة ، به قِلات ^(١) تلزم الماء ، وبه نخيل عظيمة
والقرية مشهورة اليوم باسم عقدة ، والقرية المشهورة بهذا الاسم في جهة حائل الجنوبية ،
فإذا قلت القرية فالقرية قريبتان قريبتان شرق القصيم ، قال معن بن أوس ^(٢) :
لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لَقَوْتُ فَلَائِ لَا تَزَالُ تَنَازِلُهُ
وقال جرير :

تَفْشَى النَّبَاجَ بَنُو قَيْسِ بْنِ حَنْظَلَةَ وَالْقَرْيَتَيْنِ بَسْرَاقٍ وَنَزَالِ

* * *

٦١ — وقال امرؤ القيس :
نَزَلْتُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ دَرْمَاءٍ بُلْطَةَ فَيَا كَرَمَ مَا جَارٍ وَيَا حَسَنَ مَا فَعَلَ
تَظَلَّ لَبُونِي يَبْنَ جَوٍّ وَمَسْطَحٍ تُرَاعَى الْفِرَاحُ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلِ
أما بلطة فهو موضع معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو واقع في جبل طيء في الزمن القديم
وقد قال امرؤ القيس في رأيته :

أَلَا إِنْ فِي الشَّعْبَيْنِ شَعْبٌ بِمَسْطَحٍ وَشَعْبٌ لَنَا فِي بَطْنِ بُلْطَةَ زَيْمَرَا
وقال سلام بن درماء الطائي ^(٣) :

إِذَا مَا غَضِبْتُ أَوْ تَقَلَّدْتُ مُنْضِلِي فَلَايَا لَكُمْ فِي بَطْنِ بُلْطَةَ مَشْرَبُ
فَإِنَّكُمْ وَالْحَقُّ لَوْ تَدَّعَوْنَهُ كَمَا انْتَحَلْتَ عَرْضَ السَّمَاءِ أَهْيَبُ

(١) القلات : جمع قلت - بالفتح - وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء .
(٢) الذي في بيت معن بن أوس وبيت جرير « القريتين » - بفتح القاف وسكون الراء - على
لفظ تثنية قرية ، لكن الذي في بيت امرئ القيس بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة ،
وكأنه مصغر قرية ، وقد نص أبو عبيد البكري على أن القريتين من منازل تميم ، وأنشد فيه قول
مالك بن نويرة :

فاجتمع الأسدام من حول شارع فروى جبال القريتين فضلفعا
وقال : إن شارعا من منازل تميم . وأقبل : إن ضلفعا هذه في أعلى القصيم ويقال لها اليوم
« الضلفة » . [٣] انظر معجم البلدان ٢ [٢٧١ .

كَسْنِسِينَا الْمُذْلِينَ فِي جَوِّ بُلْطَةِ أَلَا بُسَّ مَا أَدَلُّوا بِهِ وَتَقَرَّبُوا

وقدمت أعرابية من أهل جبلى طيء إلى مصر، فرضت، فأتاها النساء يعرضن لها ويعلمنها بالكعك والزمان وأنواع الفواكه، فقالت:

لَأَهْلُ بُلْطَةِ إِذْ حَلُّوا أَجَارِعَهَا أَشْهَى لِنَفْسِي مِنْ أَبْوَابِ سُودَانَ
جَاءُوا بِكَعْكِ وَرُمَانٍ لِيَشْفِينِي يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ كَعْكِ وَرْمَانٍ

وأما جو: فهو مضاف إلى بلطة، يقال له «جو بلطة».

جو بلطة

ومسطح موضع مشهور على ألسنة الرواة في جبلى طيء بهذا الاسم، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولعل سكان تلك الناحية يعرفونه اليوم بهذا الاسم.

مسطح

قلت: قد وقفنا بعد السؤال والبحث على تحقيق هذه الأسماء فوجدناها باقية على أسمائها إلى هذا العهد وهي: جو، ومسطح، وبلطة، وزيمر، أما بلطة: فهي عين ماء عليها نخيل ومزارع وموقعها في أجأ، تقع من حائل في الجهة الغربية الجنوبية، وزيمر: وادٍ به ماء يقع شماليه، وأما مسطح فقد تغير اسمه وصار اسمه اليوم «مسيطح» يقع في شمالي حائل، وجو: قريب بلطة وهي جميعها في جبل أجأ.

* * *

٦٢ — قال امرؤ القيس:

قَدْ أَقْطَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ قَفْرٌ وَصَاحِبِي بَازِلٌ شِمْلَالٌ
نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَجْلُهَا كَأَنَّ حَارِكَهَا أَثَالٌ

وصف امرؤ القيس حاركها^(١) بأثال الذي هو القصر، وقد تقدم الكلام عليه في معلقته على ذكر الجواء^(٢).

* * *

٦٣ — وقال امرؤ القيس، وأنا أشك أنها من شعره، وإن أثر الصنعة لبادٍ عليها:

لَمَنْ طَلَلُ بَيْنَ الْجُدَيْةِ وَالْجَبَلِ مَحَلٌ قَدِيمُ الْعَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطَّيْلُ
عَفَا غَيْرَ مَرْتَادٍ وَمَرَّ كَسْرُ حَبٍ وَمُنْخَفِضِ طَامٍ تَنَكَّرَ وَأَضْمَحَلْ
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ

(١) الحارك: أعلى الكاهل، وأراد ناقة تامة الخلق قوية على السير.

(٢) انظر ص ٢٦ من هذا الجزء.

أما جُدَيْة : فهو موضع معروف في الزمن القديم بهذا الاسم في بلاد طيء ، قال شاعرهم :
 وَهَلْ أَشْرَبَنَ الدَّهْرَ مِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ عَلَى عَطَشٍ مِمَّا أَقْرَ الْوَقَائِعِ
 بِقَمْعِ الْفَنَاءِ أَوْ بِهِضَبِ جُدَيْةٍ سَرَى الْغَيْثُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ نَاقِعُ
 وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، وأما الجبل : فهو جَبَلُ أَجَا ، وهو مشهور بهذا الاسم
 إلى يومنا هذا عند عامة أهل نجد .

* * *

٦٤ — وقال امرؤ القيس :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ خَتُولُ الْعَهْدِ يَلْتَهُمُ الرِّجَالَا
 أَزَالَ مِنَ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا
 المصانع في الأصل : الأبنية ، وقد ذكر المفسرون في بيان قوله تعالى (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
 لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أن المصانع : الأبنية ، وقال لبيد :

بَلَيْنَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِعِ وَتَبَقَّى الدِّيَارِ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 والمصانع : التي عفاها امرؤ القيس في قصيدته اسم لِمِخْلَافٍ باليمن كان يسكنه ذو رِيَاشٍ ، وهو
 باقٍ على اسمه إلى يومنا هذا ، ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع : منها موضع من أعمال صنعاء
 يقال له « المصانع » وفي الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية قرية يقال لها المصانع ، ذكرها
 صاحب المعجم ، وذكر أنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد ، ولا تزال باقية بهذا الاسم إلى
 هذا العهد .

* * *

٦٥ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَشْمَرْ بِدَمْوُنَ مَرَّةً وَلَمْ أَشْهَدْ الْغَارَاتِ يَوْمًا بِعَنْدَلِ
 وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْتَدًا خَيْرَ رَبَّنَا وَإِذْ نَحْنُ لَا نُدْعَى عَمِيدًا لِقَرْمَلِ
 فأما دَمْوُنَ : فهي قرية من قرى اليمن القديمة ، وقد قال امرؤ القيس غير هذا البيت :
 تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمْوُنُ دَمْوُنُ إِنَّا مَعَشَرُ يَمَانُونَ
 * وَإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُونَ *

وأما عنْدَلِ فهي واقعة في بلاد اليمن ، واستبدل عليها أهل المعاجم بيت امرؤ القيس ، وهي
 مشهورة في أشعار كثيرة ، وأنا لا أعلم أهي باقية على اسمها أم تغيرت .

٦٦ — وقال امرؤ القيس :

خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ لَا حَيَّ مِثْلُنَا بَايَاتِنَا نُزْجِي اللَّقَاحَ الْمَطَافِلَا

النقبان

النقبان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، وهما في جبل في شمالي أجأ ، إذا كنت في مدينة حائل فالنقبان بينك وبين القطب الشمالي ، وقد أطلق عليهما هذا الاسم لأنها نقبان في وسط جبل من جبال أجأ ، وإذا طلعت نعبا خرجت منه على نخيل ومزارع وسكان ، ثم تطلع النقب الثاني فإذا استويت في أعلى الجبل طلعت على نخيل ومزارع وسكان ، وهذا الجبل ينتابه أهل مدينة حائل لتغيير الهواء فيه ، وهذه الأسماء باقية من العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وهذا البيت قد أورده ابن كثير رحمه الله في أول تفسيره قبل الفاتحة منسوباً إليه .

* * *

٦٧ — وقال امرؤ القيس :

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِسُحَامٍ فَعَمَّائَتَيْنِ فَهَضْبِ ذِي اقْدَامٍ
فَصَفَا الْأَطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَعَاظِرٍ تَمْشِي النَّعَاجُ بِهَا مَعَ الْأَرَامِ
عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِ الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ جَذَامِ

سحام

أما سحام : فهي موجودة بقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهي واقعة بين دَمَخ وئهلان ، ويقال لها اليوم « السحاميات » إذا جمعتها ، وإذا أفردت إحداها قلت لها « السحامية » وهي على شكلين : أما الواقعة في جهة الجنوب مما يلي دمع فيقال لها « السحامية السوداء » وأما الشمالية فيقال لها « السحامية البيضاء » لأنها كثيرة الأبارق تقرب من طرف ئهلان ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، وهي واقعة في بلاد بني كلاب بن عامر ، وفيها يقول عامر بن الكاهن الكلابي ^(١)

وَمَنْ يَرَنِي يَوْمَ السَّحَامَةِ فَوْقَنَا عَجَاجَةً أَدْوَادٍ لَهْنَ حَوَائِرُ
إِذَا خَرَجْتُ مِنْ مُحْضَرَسِدِ فَرْجَهَا خَفَافٌ مُنِيفَاتٍ وَجَذَعٌ بَهَازِرُ
دَعُوا الْحَرْبَ لَا تَسْجُوا بِهَا آلَ حَنْتَرٍ شَجَا الْخَلْقِ إِنْ الْحَرْبُ فِيهَا نَهَابِرُ
وَلَا تُوعِدُونَا بِالْغَوَارِ فَإِنَّا بَنِي عَمْنَا فِيهَا مُهَامَةٌ مَقَاوِرُ
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ السَّرَاةُ كَأَنَّهَا عُقَابٌ إِذَا مَا حَمَّهَا الْحَرْبُ كَاسِرُ
مُحَالَفَةٌ لِلْهَضْبِ صَقْعَاءُ لَقَّهَا بَطْخَفَةٌ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيبٍ مَاطِرُ

أما عمائتان فقد تقدم الكلام عليها في بائمة امرئ القيس ^(١) .

عمائتان

وهضب ذى إقدام هو الهضب المشهور الواقع في القطعة الجنوبية من نجد ، وقد تقدم الكلام عليه في أول أشعار امرئ القيس ، وقد ذكرنا مياهه ووصفنا موقعه ، وكان اسمه في الجاهلية « هضب ذى إقدام » وأما اليوم فيقال له « هضب آل زايد » .
أما « صفا الأطيظ » فلا أعرفه بهذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان قال ^(١) : إنه صفا الأطيظ موضع ، واسمئله له بيت امرئ القيس .

أما صاحبتان فهما هضبتان حراوان يقال لإحداهما « صاحة » وللثانية « صوحة » وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهى التى عفاها امرؤ القيس ، ويحف بصاحة وادى الركى من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السودة فهى فى طرفه الجنوبى مما يلى مطلع الشمس ، تقع من ماء الأرمض المعروف فى بطن الركى فى جهته الجنوبية الشرقية بينها أقل من مسافة ثلث يوم ، وهى من طرف السودة كذلك ، وأما « صوحة » فهى متاخمة لها من جنوب ، قال بشر بن أبى خازم :

لِإِلى تَسْتَمِيكَ بَذَى غُرُوبٍ كَانَ رُضَابُهُ وَهْغًا مُدَامُ
وَأَبْلَجَ مُشْرِقَ الْخَلْدَيْنِ فَخَمَ يُسْنُّ عَلَى مَرَاغِمِهِ الْقَسَامُ
تَعْرِضَ جَابَةَ الْمِذْرَى خَذُولٍ بِصَاحَةِ فِي أَسْرَتِهَا السَّلَامُ
وَصَاحِبُهَا غَضِيضُ الطَّرَفِ أَحْوَى يَضُوعُ فَوَادِهِ مِنْهَا بُغَامُ

أما غاضر : فلا أعرفه بهذا الاسم ، أعرف « غَضُورًا » وهو باقى إلى يومنا هذا ، وهو واقع فى بلاد بنى أسد ، وقد مضى الكلام عليه فى شعر امرئ القيس ^(٢) وأسمع فى أشعار العرب غضارا جبلا فى بلاد هذيل ، قال ابن نجة الهذلى :

تَغْنَى نِسْوَةَ كَنْفَى غَضَارٍ كَأَنَّكَ بِالنَّشِيدِ لَهْنُ رَامٍ

ونمة موضع يقال له « الغَضُور » فى حجاز المدينة ، قال الشماخ :

فَأَوْرَدَهَا مَاءَ الْغَضُورِ آجِنًا لَهُ عَرْمَضٌ كَالْغَسَلِ فِيهِ طُمُومٌ

وأما امرؤ القيس فإنه عطف غاضرا على صاحبتين ، فلا يكون غاضر إلا فى القطعة الجنوبية من نجد ، ولكنى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٦٨ - وقال امرؤ القيس :

أَوْ مَا تَرَى أَظْهَانَهُنَّ بَوَاكِراً كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامٍ

(٢) انظر ص ٦٢ من هذا الجزء

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٣٠ و ٣٦٦

(١٣ - صحيح الأخبار ١)

حُورٌ تَعَلَّلُ بِالْعَبِيرِ جُلُودَهَا بِيضُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَجْسَامِ
فَطَلَلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنِّي نَشْوَانٌ بَاكَرُهُ صَبُوحُ مُدَامِ
أَنْفٍ كَلَوْنِ دَمِ الْغَزَالِ مُعَتَّقٍ مِنْ خمرِ عَانَةٍ أَوْ كُرْمِ شِبَامِ

شوكان

شوكان الذي ذكره امرؤ القيس : قرية يمانية في ناحية ذمار ، وهي التي ينسب إليها الشوكاني صاحب « نيل الأوطار ، في شرح منتقى الأخبار » المشهور ، وهي غير شوكان الواقعة بين سرخس وأبيورد ، والتي ينسب إليها أبو الوفاء عتيق بن محمد بن عيسى الشوكاني .
وأما عانة فهي بلدة مشهورة واقعة بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة ، وهي التي عناها الأعشى حين قال ^(١) :

عانة

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنْ الزَّجْجِ خَالِطٌ فِيهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا
وَإِسْفَنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرِّقَا دِشَكِ الرَّصَافِ إِلَيْهَا غَدِيرًا

وأنا لا أعلم أهو باقٍ على اسمه إلى هذا اليوم أم تغير .

وأما شبام : فهو جبل عظيم قريب صنعاء ، ذكروا أن مياه صنعاء تصب منه ، وقالوا : إن بينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، وكان هذا الجبل كثير القر ، قال شاعر يمانى :

شبام

ما زال ذا الزمن الخبيث يُدِيرُنِي حَتَّى بَنَى لِي خِيْمَةً بِشِبَامِ

* * *

٦٩ — وقال امرؤ القيس :

فُجَزِتْ خَيْرَ جَزَاءِ نَاقَةٍ وَاحِدٍ وَرَجَعَتْ سَالِمَةً الْقَرْىَ بِسَلَامِ
فَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَوَصَلُ كُتَيْفَةٍ وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ ^(٢)

بدر

أما بدر : فهو موضع مشهور كانت به الوقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وقد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يمكى على بنييه ، وهو قد كفَّ بصره ، وكانت قريش قد منعت النياحة على قتلى بدر ، تصنعاً للجد ، ولئلا يشمت بهم المسلمون ، فبينما هو ذات يوم إذ سمع نائحة ، فقال لغلام له : اذهب لعله أحلَّ لنا النحيب ، وقد بكت قريش على قتلاهم ، لعلى أبكى على أبي حكيمة ، يعني زمعة ، فإن ^(١) المعجم ٦ / ١٠٢ (٢) في هذا البيت من عيوب القافية الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى

جوفى قد احترق ، فلما رجع الغلام عليه قال : إنما هي أعراية تبكي على بعير لها أضلته ، فقال حينئذ :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَسْكَرٍ ، وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
عَلَى بَدْرِ سَرَآةِ بَنَى هُصَيْنٍ وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَسْكَى إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكَى حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكَيْتِهِمْ وَلَا تَنْسَى جَمِيعًا وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رَجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرِ لَمْ يَسُودُوا

وفي هذه الأبيات الإقواء ، وقال في معجم البلدان^(١) : و بدر جبل في بلاد باهلة بن أعصر ؛ وأنا لا أعلم في تلك الفاحية المتصلة ببلاد باهلة جبلا يقال له بدر ، إلا أني أعرف بثرا شرقي الركي يقال لها « البدرية » عذبة الماء ، وظنى أنها نسبت إلى هذا الجبل المسمى بدرا ، لأنها واقعة في جنوبي بلاد باهلة ، تقع من الحصاة في الجنوب الشرقي ، على مسافة يوم .

كتيفة

وكتيفة أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفة ، الأول : واقع في بلاد بني أسد غربي سميراء يبعد عنها مسافة يوم ، والثاني : واقع في بلاد غطفان في أعلاها ، منقطع من أبلئ ، وهو جبل صغير أسود يقع من أبلئ في الجهة الشرقية على مسافة نصف يوم ، وسيأتى الكلام على أبلئ في معلقة الأعشى ، والثالث : في أسفل بلاد غطفان قريب مبهل الوادى المعروف الذى يصب في وادى الرمة ، وهو معروف بهذا الاسم ، ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره ، والرابع : واقع في حمى ضرية قريبا من الجبال المحيطة ببلد ضرية وهو في بلاد غنى بن أعصر ، والخامس : واقع غربي السحامية البيضاء ، يبعد عنها أقل من مسافة نصف يوم ، وهو الذى ذكره امرؤ القيس في أشعاره ، إلا الذى ذكر في معلقته فإنه كتيفة مبهل^(٢) ، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبائن وقطن والجيمر ، والسادس : واقع في بلاد عقيل بن عامر في وسط عرق سبيع مقابل ماء القفصلية مما يلي مطلع الشمس ، يبعد عنها مسافة يوم ، قال جابر السكلاي :

أَيَا نَخَلَتْنِي وَادِي كَتَيْفَةٍ ظَلَالُكُمْ لَوْ كُنْتُ يَوْمًا أَنَا لَهَا
وَمَاؤُكُمْ كَمَا الْعَذْبُ الَّذِي لَوْ شَرِبْتُهُ شَفَاءَ لِنَفْسِي كَانَ طَالِ اعْتِلَالُهَا

(٢) قد مضى ذكره في ص ٢٥ من هذا الجزء .

مُعْنَى عَلَى طَوْل الْهَيْئَامِ غُلِيلُهُ بِذَكَرِ مِيَاهٍ مَا يُنَالُ زِلَالُهَا
وكتيفات التي تقدم ذكرهن باقيات إلى عهدنا هذا بهذا الاسم ، وأما كنهن متباعدة ،
والنخلات التي ذكرها الشاعر هي في أسفل وادي الخرمة المعروف لبني عقيل بن عامر ، وهذه
القبيلة باقية إلى اليوم في تلك الناحية في الواديين : وادي الخرمة ، ووادي رنية ، يقال لهم سبيع ،
ويقال لجماعات منهم إلى يومنا هذا : بنو عامر ، وسبيع : بطن من عقيل بن عامر .

عاقل

أما عاقل فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أشعار زهير .
وأرمام : جبل معروف بهذا الاسم في الجاهلية في بلاد غطفان ، وهناك جبيلات صغار يقال
لها اليوم « الرميم » واقعة عن وادي الرمة شمالا ، ولا أظن أنها هذا الجبل الذي ذكره امرؤ القيس ،
وكانت به وقعة من أيام العرب يقال لها « يوم أرمام » قال الراعي :

أرمام

تبصر خليلي هل ترى من ظَعَانٍ تجاوزن مَلْحُوبًا فَقِلْنَ مُتَالِعَا
جواعل أرمام شمالا وصارة يمينًا ، فقطعن الوهاد الدوافعا
وهناك موضع آخر يقال له « رمرم » وهو واقع في ضفة الشعبة في أعلى بلاد غطفان قريبا
من أبلي ، ولا أعلم موضعا آخر يقارب اسمه هذا الاسم إلا هذين الموضعين اللذين ذكرتهما .

٧٠ - وقال امرؤ القيس :

فَلَمَّا رَأَتْ أَبَّ الشَّرِيعَةِ هَمُّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرَمَ ضُحَا طَامِي
أما ضارج الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته فهو واقع في بلاد بني أسد ، وقد تقدم الكلام عليه^(١)
وضارج الذي في هذه الأبيات : من جبال الحجاز الواقعة في طريق الشام ، وأنا لا أعرفه
بهذا الاسم ، وقد أجمع الرواة على ما ذكرنا .

ضارج

٧١ - وقال امرؤ القيس وقد توعدده المنذر بن ماء السماء ونزل على المعلّى أحد بني تيم بن

ثعلبة فأجاره ومنعه فقال :

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ
فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى بِمُقْتَدِرٍ وَلَا الْمَلِكُ الشَّامِي

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء .

شمام أما شمام : فهو جبل أسود عظيم له رأسان واقع في جبال العرض ، وتنسب إليه هذه الجبال فيقال « عرض ابني شمام » وهو من سواد باهلة ، ويسمي اليوم عند أهل نجد « أذني شمال » ولا نشك أنه هو « ابنا شمام » قال جرير :

عَايَنْتُ مُشْعَلَةَ الرِّعَالِ كَأَنَّهَا طَيْرٌ تُفَاوِلُ فِي شَمَامٍ وَكُورَا

ذكره صاحب معجم البلدان ، ومن ^(١) عباراته أنه جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، إذا رأيت جبال العرض رأيت قُلَّتِي ابني شمام مرتفعتين على جميع الجبال التي حولها ، قال لبيد ابن ربيعة وهو يرثي أخاه أربد بن قيس ، وهو الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلته صاعقة رعد ، وهو أخو لبيد لأمه ، فقال يرثيه :

وَفَتِيَانِ يَرَوْنَ الْجَدَّ غَنَاءً صَبِرْتُ بِحَقِّهِمْ لَيْلَ التَّمَامِ
فَوَدَّعْتُ بِالسَّلَامِ أَبَا جَرِيرٍ وَقَلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
فَهَلْ نَبِئْتُ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَحْدَاثِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ ؟
وَالَا الْفَرْقَدَيْنِ وَالْ نَعِشِ خَوَالِدَ مَا تَحْدِثُ بَاهِـدَامِ

وهذا الجبل العظيم واقع في ضفة وادي الخنفرة الجنوبية ، وعنده من القرى المعمورة « قرية نخيلان » وهي واقعة من ابني شمام في الجهة الغربية ، إذا كان المنادي في ابني شمام سمعه أهل تلك القرية .

* * *

٧٢ - وقال امرؤ القيس :

كَلَّا ، يَمِينُ الْإِلَهِ يَجْمَعُنَا شَيْءٌ وَأَخَوَانَا بَنُو جُشَمَا
حَتَّى تَزُورَ الضَّبَاعُ مَلْحَمَةً كَأَنَّهَا مِنْ مُمُودَ أَوْ إِرْمَا

ممود ، وإرم : قد أطال أهل التفسير على ذكرهما .

* * *

٧٣ - وقال امرؤ القيس :

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ حَدِيثُ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي فَأَنْعَمَا
فَقُلْتُ لِعَجَلِي بَعِيدٍ مَا بِهِ ابْنِ لِي وَبَيْنَ لِي الْحَدِيثِ الْمُجْمَعَمَا
فَقَالَ : أَيْدَتِ اللَّعْنُ ! عَمَّرُوا وَكَاهِلُ أَبَاخُوا حِمِي حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلِمَا

صليح

صليح : موضع ، وأظنه في جهة اليمن ؛ لأن الرواة ذكروا أنه ورد الخبرُ على امرئ القيس بمقتل أبيه حين قتله بنو أسد وهو في اليمن ، قال في معجم^(١) البلدان : صليح : موضع ، واستدل ببيت امرئ القيس المذكور .

* * *

٧٤ — وقال امرؤ القيس :

عَلَى هَيْكَلٍ يَعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَانَ
كَتَيْسِ الظُّبَاءِ الْأَعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيحِ ثَهْلَانَ
إلى أن قال :

وَجَرَّ كَفْلَانَ الْأُنَيْمِ بِالسَّيْفِ دِيَارَ الْعَدُوِّ ذِي زُهَاءٍ وَأَرْكَانِ

ثهلان

ثهلان : جبل عظيم أسود في عالية نجد ، ومن الرواة من ألحقه بسواد باهلة ، ومنهم من قال : ثهلان جبل لبني نمير في الزمن القديم ، وهو أصح ؛ لأنه واقع في بلاد بني عامر بن صعصعة ، وبنو نمير هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وفيه أشعار كثيرة ، قال جحدر اللص ، وقد ذكر ثهلان والنير ، والنير باق على اسمه إلى هذا العهد :

ذَكَرْتُ هَذَا ، وَمَا يُعْنِي تَذَكُّرُهَا وَالْقَوْمُ قَدْ جَاوَزُوا ثَهْلَانَ وَالنَّيِّرَا
عَلَى قَلَائِصٍ قَدْ أَفْنَى عَرَائِكُهَا تَكَلِّفُفَنَاهَا عَرِيضَاتِ الْفَلَاوَرَا

والنير : مقابل لثهلان في الجهة الغربية ، بينهما مسافة يوم ، ولونه كلونه ، وقال محمد بن إدريس ابن أبي حفصة اليمامي :

وَلَقَدْ دَعَانَا الْخَمْعِيُّ فَلَمْ يَزَلْ يَشْوِي لَدَيْهِ لَنَا الْعَبِيْطَ وَيَنْشَلْ
مِنْ لَحْمٍ تَامِكَةِ السَّنَامِ كَأَنَّمَا بِالسَّيْفِ حِينَ عَدَا عَلَيْهَا مَجْدَلْ
ظَلَّ الطَّهَّاءَ بِلَحْمِهَا وَكَأَنَّهُمْ مَسْتَوْثِبُونَ قَطَارَ نَمَلٍ يَنْقَلْ
وَكَأَن دَمَخَ كَبِيرِهِ ، وَكَأَنَّمَا ثَهْلَانُ أَصْغَرُ رِيْدَتِيهِ وَيَذْبُلْ
وَكَأَن أَصْغَرُ مَا يَدْهَدُهُ مِنْهَا فِي الْجَوِّ أَصْغَرُ مَا لَدَيْهِ الْجَنْدَلْ

وقال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِنِي لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلْ
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشَعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلْ

(١) المعجم ٥ / ٤٠٦ وذكر أن فيه ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر .

فَادْفَعْ بِكَفِكَ إِنْ أُرِدْتَ بِنَاءَنَا تَهْلَانِ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ
وتهلان باقي بهذا الاسم إلى اليوم ، ومنهم من يبدل الثاء ذالا فيقول « ذهلان » له قيم عالية
طوله من الشمال إلى الجنوب أكثر من مسافة يوم ، ومن الشرق إلى الغرب أقل من مسافة يوم ،
والجبال المحيطة به من جهة الشرق : تيماء ، وأم نخيلة ، والحذني ، ومجيرة إن أفردت وإن
جمعت فمجيرات لأنها هضبات متفرقة ، والهضب ، والمصلوخة ، والقنينة ، وأما أبو دخن وشطب :
فهما واقعان عند طرفه الشمالي منقطعان منه ، وكلهما موجودة في عهدنا هذا بهذه الأسماء .
أما « مجيرات » فهذا اسمها الجاهلي ، و « الحذني » كان يقال له في الزمن القديم « حذنة »
قال محرز بن المكعب الضبي وهو شاعر جاهلي :

دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَحَهُمْ ضَرْبُ تَصَيِّحٍ مِنْهُ قَلَّةُ الْمَامِ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مَجِيرَاتٍ يَلْدُنَ بِهِمْ وَالْجَوْهَنُ مِنْهُمْ أَيْ الْخَامِ
حَتَّى حُذْنَةُ لَمْ تَتْرِكْ بِهَا ضِبْعًا إِلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شِلْوٍ مِقْدَامِ
ظَلَّتْ تَدُوسُ بَنَى كَعْبٍ بِكَلْكَلِيهَا وَهَمَّ يَوْمٌ بَنَى نَهْدٍ بِإِظْلَامِ
إِذْ خَبَّرْتُ مَذْحِجَ عَنَا وَقَدْ كَذَبَتْ أَنْ لَنْ يَرُوعَ عَنْ أَحْسَابِنَا حَامِ
فِدَى لِقَوْمِي مَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ إِذْ لَقَّتِ الْحَرْبُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامِ

وحذنة ومجيرات : باقيتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، حذنة : واقعة بين تهلان ومجيرة ، وهي
جبل طويل أسود ، وهو صغير المنظر ، ومجيرات : هضبات حمر متفرقة تقع من حذنة في مطلع
الشمس على مسافة ساعتين للماشي على قدميه ، وأما مياهه الخارجة منه في جهة الشرق فهي :
دلعة ، والرفايع ، ومضلعة ، والشعراء : قرية عامرة إلى يومنا هذا ، وهي معروفة في الزمن
الجاهلي بهذا الاسم ، قال الشاعر :

* خَفَّ الْقَطِينُ مِنَ الشَّعْرَاءِ وَارْتَحَلُوا *

أما صاحب معجم البلدان فلم يذكرها ، وقد ذكرها الهمداني في « صفة جزيرة العرب »
لما أتى على ذكر تهلان ، قال : ومن مياهه : الريان ، والشعراء ، والحسي ، وأما مياهه الداخلة في
وسط الجبل فهي : المطيوى ، والركية ، والمزيرع ، والسدرية ، والشطبة ، والريان ، والمنجور ،
والقليب ، والشبرمية : وادٍ عامر فيه مزارع ونخيل وقصور . والريان الواقع في تهلان بهذا الاسم
هو الذي يقول فيه جرير :

يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا

الريان

وَحَبَّذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَةِ تَأْتِيكَ مِنْ جَبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا

وأنا أعرف بهذا الاسم في بلاد العرب ثلاثة أودية : أولها الواقع في نهلان ، وثانيها الواقع بين غول وطخفة ، وسياثي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة ليبيد ، والثالث : يصب في واد الرمة . وأما الجبال المحيطة به من جهة الغرب منقطعة منه فهي : ذريع ، والخوار ، وأبو حسك ، ونطاق الأسود ، وقنيفذة ، وكويكب . والخوار معروف بهذا الاسم من قديم ، قال الشاعر ^(١) :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالطَّعَانِ نَعَامَنَا جنوبا عن الخوار في الدمش السهلا

بِكُلِّ كَمَيْتٍ مُجَفَّرِ الدَّفِّ سَاحِجٍ وكلِّ مِزَاقٍ وَرْدَةٍ تَعْلُكُ النَّكْلَا

وهو على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، ونطاق : اسم قديم جاهلي ، قال ابن مقبل :

ضَحَّوْا عَلَى عَجَلِ ذَاتِ النِّطَاقِ ، فَلَمْ يبلغ ضحَّوْهُمْ هَمِي وَلَا شَجْنِي

وقال ابن مقبل أيضا :

خَلَدَتْ وَلَمْ يَخْلُدْ بِهَا مَنْ حَلَّهَا ذات النطاق فبرقة الأمهال

قال في اشتقاق الأسماء : سمي بنطاق لأن فيه برقة في أسفله مثل النطاق ، فسمى بها ، وهو بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

والأسودة هي التي قال فيها أبو عمير الجرمي :

أَلَا مَا لِعَيْنِي لَا تَرَى أَسْوَدَ الْحَمَى ولا جبل الأوشال إلا استهلَّتْ

غَمِينًا زَمَانًا بِاللَّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَرَّاقُ اللَّوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتْ

وقلت لسلام بن وهب وقد رأى دموعي جَرَّتْ مِنْ مَقْلَتِي فَذَرَّتْ

وشدى ببردَى حُشْوَةً ضُبِثَتْ بِهَا يدُ الشَّوْقِ فِي الْأَحْشَاءِ حِينَ أُجْزَأَتْ

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وقاتل دنيانا بها كيف ولَّتْ

ولم نورد هذه الأبيات إلا لأنه عطف جبل الأوشال على هذا الجبل الأسود ، وجبل الأوشال : هو جبل نهلان لأنه كثير القلات والأوشال ، وقل أن تجد فيه موضعا خاليا من الماء . وذريع : كانت تسمى في الزمن القديم « ذراعان » وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، إذا خرجت من ماء القاعية قاصدا الرياض وأجزت وادى طينان فانظرها مما يلي حجاجك الأيمن ، قالت امرأة من بني عامر بن صعصعة ^(٢) .

(١) البيتان لكثير عزة ، وقد رواهما ياقوت (٣ / ٤٧٣) ورواية البيت الأول عنده :

ونحن منعنا من تهامة كلها جنوب نقي الخوار فالدمش السهلا

وكذلك هما في ديوان كثير ٢ / ١٨ ، ومجهر الدف : واسع الجنب ، وكل مزاق : أراد فرسا

سريعة تكاد تتمزق من سرعتها . (٢) روى ياقوت هذه الأبيات ٤ / ١٩٢ .

سَقِيًّا ورعيا لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحيانا
تبدو لنا من ثنأيا الضمر طالعة كأن علامها جلان سيجانا
هيف يلذها جسمي إذا نسمت كالخضرمي هفا مسكا وريحانا
يا حبذا طارق وهنأ ألم بنا بين الذراعين والأخواب مَنْ كانا
شبهت لى مالكا يا حبذا شَبَهًا إماما من الإنس أو ما كان جفانا
ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أمسى بجوزانا
عَمْدًا أخادع نفسى عن تذكركم كما يخادع صاحى العقل سكرانا

وجوزان : موضع فى اليمن ، ويمكن أنه جيزان ، وذكر الرواة عن قنيفة أنها موضع لنمير ابن عامر ، وهى فى بلاد نمير ، وهى على اسمها القديم لم تتغير .

وكويكب : جبل صغير أحمر على ضفة الرشا الغربية ، بين شهلان والحوار ، وهذا اسمه كويكب القديم وبه يوم من أيام العرب ، وقتل عند هذا الجبل زيادة بن زيد بن مالك الحارثى ، قتله هذبة ابن خشرم العذرى فقال ابنه مسور بن ^(١) زيادة :

أبعد الذى بالنَّعَف نَعَف كويكب رهينة رَمَسِ ذى تُراب وجندل
أذْكَرُّ بالبُقَيَّا على مَنْ أَصابنى وبقياى أنى جاهد غير مُؤْتَلِ
فإن لم أنلْ ثأرى من اليوم أوغدى بنى عمنا فالدهر ذو مُتَطَوَّلِ
فلا يَدْعُنِ قَوْمى ليوم كَرِيهَةٍ لئن لم أعجلْ ضربة أو أعجلِ
أَخْتَمَ عَلَيْنَا كُلَّ الحَرْبِ مرة فنحن مُنِيخوها عليكم بكل كل
يقول رجالٌ ما أَصِيبَ لهم أبٌ ولا من أخ : أَقبل على المال تُعَقِّلِ
كريمٌ أَصابته ذئابٌ كثيرة فلم يَذِرْ حتى جئن من كل مدخل
ذكرت أبا أروى فأَسْبَلْتُ عبرة من الدمع ما كادت عن العين تنجلى

وهو باقى على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وفيه أشعار كثيرة لشعراء الجاهلية . فأما مسور ابن زيادة هذا فهو شاعر إسلامى فى عهد الدولة الأموية .

قال مؤلف هذا الكتاب : الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضا : فى شهر صفر سنة

(١) روى هذه الأبيات فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين ٢٣٩/١) وهذه الأبيات يقولها المسور بن زيادة حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات فأبى ، ويقال : إن قائلها هو عمه عبد الرحمن أخو زيادة القتيلى .

١٣٦٥ وأُنا في بلد الشعراء جاءنا صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله آل فيصل بن عبد العزيز قانصا فأخذني صحبته أيام إقامته قريب بلد الشعراء ، وكنا نتجول في تلك الفيافي لاصطياد الطيلاء والخباري . فبينما نحن عند كويكب يوما إذ عَرَضَ لنا ذئب فهممنا بقتله ، ولكني لم أر أعظم من خَلقه وأقوى منه ، ومع الأمير عبد الله صاحب السمو الأمير فهد بن سعد ، ونحن في سيارة واحدة فكنا نرميه بالشوازن فتصيبه ولكنها لا تصيب مقاتله ، فأخذ صاحب السمو الأمير عبد الله بفدقية من النوامس ورماه بواحدة ، فأنفذ قلبه ، فخر على وجهه فتبيلا عند كويكب عند مقتل زيادة بن زيد الحارثي .

الأنعيم

أما الأنعيم فهو معروف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، يقال له اليوم « وادي النعيم » موقعه في القطعة الجنوبية من نجد ، في أرض يقال لها اليوم « العبلة » إذا كنت قاصداً الغرب وأجزت جبال البديعة الماء المعروف في أعلى نجد ، وهي الجبال التي يقال لها العقير ، ثم أجزت كثيبا يقال له البشارة فيه جبل صغير ؛ خرجت إلى وادي النعيم ، وظنني أن سيله يصب في وادي خنثل الوادي المعروف الواقع بين بلد سبيع بن عامر و بلد عتيبة في يومنا هذا ، والنعيم يتجه سيله إلى جهة الشمال جاعلا جبال البديعة وأكثبة البشارة وجبال المحدث وما يليها من الهضاب عن يمينه حتى يصب في وادي خنثل أو يقرب منه ، ووادي خنثل معروف بهذا الاسم من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا ، وذكروا أن سعد بن صبيح النهشلي نزل على مربع بن وعوع بن ثمامة السكلابي في وادي خنثل المذكور ، وغاب مربع يستعذب لأهله الماء ، فلما رجع إلى أهله وجد سعد بن صبيح حدثه نفسه أن يفجر بزوج مربع ، فأخبرت مربع ، فأخذ مربع السيف وقتل سعدا ، وقال عند ذلك ^(١) :

فزعت إلى سيفي فنازعتُ غمده حساماً به أثر قديمٍ مسلسل
فغادرت سعدا والسباع تنوبه كما ابتدر الورادُ جمّةً منهل
دعا نهشلاً إذ حازه الموت دعوةً وأجلين عنه كالحوار المجدل
فإنك قد أوعدتني غضب الحصى وأنت بذات الرمث من بطن خنثل
وقلت لأصحابي النجاء فإنما مع الصبح إن لم تسبقوا جمع نهشل
فأصبحن يركضن المحاجن بعدما تجلى من الظلماء ما هو منجلي

وقال الفرزدق في ذلك ، لأن سعد بن صبيح ابن عم الفرزدق :

(١) ارجع إلى هذه القصة وأبيات مربع وأبيات الفرزدق في معجم البلدان ٣ / ٤٦٩ .

بني نهشل هلاً أصابت رماحكم على خنشل فيما يصادفن مربعا
وجدتم زماناً كانا أضعف ناصرأ وأقرب من دار الهوان وأضرعا
قتلتم به ثول الضباع فعادرت مفاصلكم منه خصيلا مرصعا
فكيف ينام ابننا صبيح، ومربع على خنشل يُسقى الحليب المقنعا؟
ومربع المذكور هو الذي قال فيه جرير وهو يهجو الفرزدق :
زعم الفرزدق أن سيمقتل مربعا أنبش بطول سلامة يا مربع
أما الأنعم الذي ذكره امرؤ القيس في شعره فهو وادي النعيم الذي تقدم ذكره، وقال حضرمي
ابن عامر الأسدي :

لقد شاقني لولا الحياه من الصبا لمية ربع بالأنعم دارس
ليالي إذ قلبي بمية مؤلّع وإذ نحن جيران لها متلابس
وإذ نحن لم نخش النيمة بيننا ولو كان شيء بيننا متشاكس
وهو معروف عند عامة أهل نجد بوادي النعيم في هذا العهد .

* * *

٧٥ — وقال امرؤ القيس :

لَمَنْ طَلَلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زُبُورٍ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
دِيَارُ لِهْنِدٍ وَالرَّيَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَا لَيْمَنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانَ

قال ياقوت في معجمه ^(١) : بَدَلَانَ موضع ، واسقِدل بيت امرئ القيس ، وأنا لا أعرف
في نجد موضعاً بهذا الاسم ، إلا أكتبة متراكمة في شرق الدهناء على طريق الأحساء بين
مزعلات ورجم الشويعر المعروف على الطريق ، ويقال لتلك الأكتبة اليوم « بدلان » .

* * *

٧٦ — وقال امرؤ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَوَادِي الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

الملا : حسب تحديدهم واد معروف بين بلاد بني أسد وبلاد طى في أسافلها قريب الأجر ،
وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، قال الشاعر ^(٢) :

أَلَا غَنِّيَانِي وَارْفَعَا الصَّوْتَ بِالْمَلَا فَإِنَّ الْمَلَا عِنْدِي يَزِيدُ الْمَدَى بُعْدَا

(١) المعجم ٢ / ٩٠ (٢) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٨ / ١٤٣ وما بعدها .

وقالت امرأة من العرب تهجو مي صاحبة ذى الرمة :
 ألا حَبَّذا أَهْلُ الْمَلَا غير أنه إذا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا
 على وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْخَزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
 وقال كثير :

ورسومُ الديارِ تعرفُ منها بالملأ بين تعلمينِ فريم
 وقال عدى بن الرقاع العاملي :

نَسِيتُمْ مَسَاعِينَا الصَّوَابِحَ فَيَكُمُ وما تذكرون الفضلَ إلَّا تَوَهُمًا
 فَإِنْ تَعِدُونَا الْجَاهِلِيَّةَ إِنَّمَا لَنُحَدِّثُ فِي الْأَقْوَامِ بؤسًا وأنما
 فلا ذاك مِنَّا ابْنُ الْمَعْدِلِ مرَّةً وعمر بن هند عام أضعَدَ موشما
 يَقُودُ إِلَيْنَا ابْنِي نَزَارٍ مِنَ الْمَلَا وأهلَ العراقِ سَامِيَا متعظما
 فَلَمَّا ظَنَنَّا أَنَّهُ نَازِلٌ بِنَا ضَرَبْنَا وَلِيِّنَاهُ جَمْعًا عَرْمَرَمًا
 والأشعار والأخبار فيه كثيرة ، وهو واقع في القسم الشمالي من نجد .

* * *

٧٧ - وقال امرؤ القيس :

هُمْ أَبْلَغُوا حَيَّ الْمُضَلَّلِ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 العراق ونجران : معروفان للناس ، تغني معرفتهما عن ذكرهما .

* * *

٧٨ - وقال امرؤ القيس :

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرِو لَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَانَ
 مُجَاوِرَةً بَنِي شَمَجِ بْنِ جَرِيمِ هَوَانًا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ
 والعراق موضعه معروف ، وعمان : معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، مقاطعة عظيمة تقع على
 الساحل الجنوبي للبحر الشرق ، جنوبي مقاطعة فطر .

* * *

٧٩ - وقال امرؤ القيس :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ غَيْرُ مَنَازِلِ دَوَارِسَ بَيْنَ يَذْبُلِ فَرَاقِ
 وَغَرَبٌ عَلَى مَقْطُورَةٍ بَكَرَتْ بِهِ غَدَتْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْمَثَانِي

أما يَذْبل : فقد مضى الكلام عليه في معلقته ^(١) .

وأما فرقان فأنا أعرف جباله رأسان يسمى فرقين يقع شمالى بلد نفي ، يراه مَنْ كان في نفي بعينه ، وسيأتى الكلام عليه في معلقة عبيد بن الأبرص إن شاء الله ، وأما فرقان من غير تصغير فإنى لا أعلم شيئاً بهذا الاسم إلا طريقاً يسلك من بلد المزاحمية الواقعة في جو اليمامة إلى بلد الحريق الواقعة في وادى بنى هزان في بريك يقال له « مرقان » بميم في موضع الفاء ، يقطع الماشى وادى الأوسط ، ووادى لحا ، ثم يقطع وادى نساح ، وهناك عقبة يقال لها « مرقان » تصعدُها الجبال بأحمالها ، وقد طلعتها ، إذا جُزّت نساحاً كانت عليّة على شمالك ، وإذا بلغت رأس هذه العقبة فأنت في ظهر عليّة ، وإذا هبطت إلى الوادى الذى يبلغك الحريق فعليّة على شمالك ، فإذا رأيت نخيل الحريق اجتمعت الطرق طريق مرقان وطريق حنيظلة الماء المعروف في أعلى وادى الحريق ، والماء المذكور هو أعلى الوادى ، وقد ذكر حنيظلة ياقوت في معجمه ^(٢) وحددها وأصاب في تحديدها برواية أبى حفصة اليمامى .

* * *

٨٠ - وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى
وَجَادَ لَهَا الرِّبِيعُ بِوَأَقِصَاتِ فَارَامٍ وَجَادَ لَهَا الْوَلَى

أما واقصة : فهى موضع قريب النباج ينزلها حاج البصرة ، ولا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، إذا كنت سائراً من البصرة جاعلاً ذا طلوع الذى يقال له اليوم « الطليحى » وكشبان عالج التى يقال لها اليوم « العروق » عن يمينك ، والنباج التى يقال لها اليوم « الأسياح » عن يسارك وأجزت الأكمة فواقصات هناك ، ولعل اسمها اليوم قد تغير ، معروفة بجودة الصلابيخ ، وعند أهل نجد إذا أعجبهم الرجل بشجاعته ، أو فصاحته ، أو كرمه ، قالوا : هذا يققد كأنه من صلابيخ ^(٣) واقصة .

(٢) المعجم ٣ / ٣٥٣ .

(١) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء

(٣) الصلابيخ : جمع صلبوخ ، وهو حجارة صغيرة بين السواد والبياض وكانت العرب تستعمله لإشعال النار ، تضرب به الزناد ، والزناد : حديدة صغيرة معكوفة الطرفين تجعل بينهما خرقه فيها بارود ، فإذا ضرب بالصلبوخ على الزناد اشتعلت الخرقه ناراً ، وهو الذى شبه به عنترة بن شداد العيسى الذباب فى معلقته حين قال :

وهناك موضع آخر يقال له « واقصة » لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد يكون هو الذى عناه امرؤ القيس ، وهو واقع بين الحجر والحفيرة فى مساكن عنزة الأيدى وقومه ، وهو ماء فى جبل أسود ، يقال للجبل « واقصة » ، إذا كنت فى تيماء السموأل ونظرت إلى نجم سهيل نظرتَه يتقد على جبل واقصة .

آرام
وأما آرام فهى هضبة سوداء منقطعة من أبلى ، لا تزال بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى مجاورة لأروم ، وشابة : واقعة من أبلى فى الجهة الجنوبية الشرقية ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم وآرام وشابة فالحضر
وهل تركت أبلى سواد جبالها وهل زال بعدى عن قنينته الحجر

وهى فى بلاد غطفان ، معروفة بهذا الاسم .

انتهى ما أمكن من توضيح الأماكن الواردة فى شعر امرئ القيس والله - سبحانه ! - ولى التوفيق والمعونة .

= هزجا يحك ذراعه بذراعـه قدح المسكب على الزناد الأجذم

وقبل أن تخرج صناديق الكبريت كان أغلب إشعال الناس فى نجد بالصلبوخ والزناد ، وهو المستعمل عند العرب إلى نصف القرن الثالث عشر ، فلما كثر الكبريت تركه العرب إلا شذا من العرب لا سيما الأعراب فإنهم لا يزالون يستعملونه إلى يومنا هذا .

٢

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْمُرْنِيُّ

زهير بن أبي سلمى المزني

مات سنة ١٤ قبل الهجرة (سنة ٦٠٨ الميلادية) تقريبا

نذكر أولا المواضع الواردة في معلقته :

١ - أَمِنْ أُمٍّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَالْمَثَلُ
وَدَارٍ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجِيعُ وَشِمٍ فِي نَوَاشِرِ مَعْصِمِ

حومانة
الدراج

الحومانة : المضافة إلى الدراج لم أرها إلا في شعر زهير ، قال في معجم البلدان ^(١) : هي على طريق البصرة قريب القيصومة ، أما القيصومة : فهي واقعة في الشمال من قرى النباذج وأبعد قرى النباذج من جهة الشمال : حنيظل ، وأبو الدود ، والقيصومة . ويظهر لي أن حومانة الدراج قريب القرى التي ذكرنا ، ولكنني لم أعثر عليها بهذا الاسم في هذا العهد ، وهناك موضع في الدهناء متاخم لهذه الناحية من النباذج يقال لها اليوم « حومة النقيان » على الطريق من البصرة إلى النباذج ، وفي عالية نجد مواضع بين وادي خنضل الذي مر ذكره في أشعار امرئ القيس على ذكر الأنيم ^(٢) ، وبين ماء البقرة المشهورة قريب الحمار ، والبقرة والحمار باقيا بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ولها ذكر في أشعار العرب ، وهي هضبات يقال لها الحوميات ، وربما قالوا لها « الحوم » وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، قال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر هذه المواضع :

وأضحى يقتري الحومان فردًا كنصل السيف حودث بالصقال
وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا صرائم جنبي مخيط وجنائبه
وهل ترك الحومان بعدى مكانه وهل زال من بطن الجوى تفاضبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إلى أهل تلك الدار أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب ، وإن يغلب الهوى فمثل الذي لا قيمت يغلب صاحبه

ومن عبارات معجم البلدان أن حومانة الدراج في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن من بلاد بني أسد ، عن يسار من خرج يريد ^(٣) مكة ، واستدل بييت زهير هذا ، وهذا التحديد قريب القيصومة التي مر ذكرها من قرى النباذج ، قرية عامرة إلى هذا العهد ، وهي غير القيصومة

(١) المعجم ٣ / ٣٧١ . (٢) انظر ص ١٠٦ من هذا الجزء . (٣) المعجم ٣ / ٣٧٢ .

الماء المعروف في القطعة الشمالية من الدو ، وتسكون حومانة الدراج غربا عن العروق التي تعرف في الزمن القديم برمل عالج .

وَعَطَفَ على حومانة الدراج المتثلّم ، والمتثلّم : معروف اليوم بما يقرب من هذا الاسم ، يبعد عن الموضع الذي حسبناه حومانة الدراج مسافة يومين ونصف يوم ، وذلك أنى - كما أسلفت - لا أعلم اليوم موضعاً يقال له حومانة الدراج ، إلا ما ذكرنا عن حومة النقيان الواقعة في الدهناء أو الحوم أو الحوميات الواقعين في عالية نجد .

أما المتثلّم فهو جبل في رأسه ثلوم كأسنان المشط ، يسمى اليوم « أبو ثلوم » مطل على الجوّاء مما يلي صارة المعروفة من أجبلّة الجوّاء . . وقد غلط من قال إن المتثلّم الذي ذكره زهير بالصمان واستدل بقول عنقرة :

* بالحزن فالصمان فالمتثلّم *

فإن هذا الذي ذكره عنقرة ملازم ماء في الصمان قد تثلّم من السيل ، وليس بجبل ، قال الراجز :

* تَرَبَّعَتْ جَوَّ جُؤَىِّ فَالْتَلَّمْ *

وفي الصمان مواضع يقال لها إلى اليوم « جويات الحمل » وأنت ترى الراجز عطف التلّم على جويات ، وهذا التلّم هو الذي ذكره عنقرة في الصمان ، وهناك في جهة وادى الخرج ماء كان يقال لها قديماً « الثلماء » ويقال لها في عهدنا هذا « الثلياء » قال في معجم^(١) البلدان الثلماء من نواحي اليمامة ، وقيل : الثلماء حفرة يحوي بن أبي حفصة باليمامة ، وقال يحوي في ذلك :

حَيَّوْا الْمَنَازِلَ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بَيْنَ الْمَرَاحِ إِلَى نَقَا ثَلْمَائِهَا

وأما الذي ذكره عدى ابن الرقاع العامل في قوله :

فَنَكَبُوا الصُّوَّةَ الْيَسْرَى وَمَالَ بِهِمْ عَلَى الْفَرَاضِ فَرَاضَ الْحَامِلِ الثَّلِيمِ

فهو الذي ذكره زهير في شعره ، قال ابن الأعرابي^(٢) في نوادره : المتثلّم جبل في بلاد بني مرة . وقد أصاب ، هو جبل في بلاد بني مرة لا يزال اسمه باقياً إلى يومنا هذا ، إلا أنه حرف تحريفاً قليلاً فقد صار يقال له اليوم « أبو ثلوم » وأنا أعرفه وقد رأيته .

وأما الرقمتان فهما في جنوبي النباغ المتصل بأرض الزلفي ، وأنا لا أعرفهما بهذا الاسم ، ولا يكونان إلا أكتين أو قريتين أو روضتين ، وهما لا يعرفان بهذا الاسم اليوم ، ولكن ذكر زهير إياهما مقرونتين بحومانة الدراج والمتثلّم يفيد أنهما قريب النباغ ، وهما اللتان عناهما مالك

(٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٨١ .

(١) المعجم ٣ / ٢١ .

ابن الريب المازني ، وكان من قطاع الطريق في صدر الإسلام ، ثم صحب سعيد بن عثمان بن عفان حين استعمله معاوية على خراسان ، ذكرهما في قصيدته التي رثي فيها نفسه ، وذلك أن منيته جاءته فجأة ، فإنه خلع خفيه لوضوء صلاة الصبح ، فجاءت حية فدخلت في أحد خفيه ، فلما فرغ من صلاته ورجع إلى خفيه ليلبسهما أدخل رجله فنهشته الحية ، وكانت فيها منيته ، وقد أطال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه ^(١) الأغاني ، وذكر جملة من القصيدة التي فيها ذكر الرقتين ، وهو من سكان تلك الناحية ، من سكان بلاد الزلفي ، والنباج والزلفي بينهما أقل من مسافة يوم ، قال مالك ابن الريب :

وَلِلَّهِ دَرِّي حِينَ أَتْرُكُ طَائِعًا بَنِيَّ بِأَعْلَى الرِّقَتَيْنِ وَمَالِيَا
وقال في قصيدته :

وإن بأطراف السمينية نسوة يشق عليهنَّ العشيَّةَ مايبا
والسمينية : قرية من قرى الزلفي ، معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال لها « سمنان » ولا تكون الرقتان إلا في تلك الناحية ، والأمكنة الذي ذكرنا أن حومانة الدراج والمتنم والرقمتين بها لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ونصف .

* * *

٢ - وقال زهير : ^(٢)

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنَ تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ وَرَادَا حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدِّمِ

أما جرثم : فهو باقي بهذا الاسم لم يتغير ، إلا أنهم أضافوا إليه ألفا ولاما وياء النسبة فقالوا : « الجرثمي » وهو واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد في طرف الجواء الشمالي الغربي ، بين سلمي الجبل الثاني من جبل طيء وبين جبل قطن .

* * *

٣ - وقال زهير :

بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهَنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَأَيْدٍ لِلْفَمِ
جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

(١) انظر كتاب الأغاني ١٩ / ١٦٣ .

(٢) في هذه الأبيات والتي بعدها تقديم وتأخير عما ورد في رواية التبريزي والوزني للمعلقات .

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ وَمُفَامٍ
فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

أما وادي الرس : فهو البلد المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد في أعلى القصيم على ضفة وادي وادي الرس
الرمة الجنوبية ، وقد أكثر الشعراء من ذكره زهير وغيره ، وبقاؤه بهذا الاسم يغني عن ذكر
الشواهد ، وهو بلد عاصر كثير النخل والقصور والمزارع ، قالت ابنة مالك بن بدر الفزاري ترى
أباها لما قتله بنو عبس بمالك بن زهير العبسي (١) :

فلله عينا من رأى مثل مالك عَقِيرَةَ قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فليتهما لم يشربا قَطُّ شَرِبَةً وليتهما لم يرسلَا لِرْهَانِ
أحل به أُمْسٍ جَنِيدُ نَذَرُهُ فَأَيْنَ قَتِيلٌ كَانَ فِي غَطَفَانِ
إذا سَجَعْتَ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةً أَوْ الرِّسِّ تَبَكَّى فَارِسَ الْكَفَّانِ

انظر إلى الرقمتين اللتين تقدم ذكرهما أوردتهما هذه المرأة وقرنتهما بالرس ، فكلها متقاربة
كما تقدم .

والقنَّان : الذي ذكره زهير واقع في بلاد بني أسد ، مجاور لبلاد غطفان بالقرب من سميراء
ويقال له اليوم « القنينات » وهو جبل لبني قفَّعس بطن من بني أسد قطاع طريق ، كانوا إذا
جنوا جناية تحصنوا فيه خوفا من الولاة ، وفي ذلك يقول شاعر العرب :
خَمِنَ الْقَنَّانُ لِقَفْعَسٍ سَوَاتِمَا إِنَّ الْقَنَّانَ لِقَفْعَسٍ لَمُعَمَّرٍ (٢)
وهو غير الذي ذكره امرؤ القيس بقوله (٣)

* و مر على القنَّان من نفيانه *

وهو معروف بالقرب من سميراء ، وهو أيضاً غير الذي ذكره لبيد في شعره وثناؤه حين قال (٤) :

وَوَلَّى كَنْصَلَ السَّيْفِ يَبْرُقُ مِثْلُهُ عَلَى كُلِّ إِجْرِيٍّ يَشُقُّ الْحَمَائِلَا
فَنَكَبَ حَوْضِي مَا يَهُمُّ بَوْرْدَهَا يَمْرُ بَصَحْرَاءِ الْقَنَّانَيْنِ خَاذِلَا

القنَّانان : في عالية نجد الجنوبية ، معروفان بهذا الاسم إلى اليوم ، والقنَّان الذي ذكره زهير
لا يبعد عن سميراء أكثر من نصف يوم .

أما السوبان فإننا نعرف موضعاً قريباً من الصمان مما يلي حفر أبي موسى الأشعري ، لا يزال

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥٠ . (٢) معمر في هذا البيت معناه حصن وملجأ .

(٣) انظر ما مر ذكره في ص ٣٠ من هذا الجزء . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٦٥ .

معروفا بهذا الاسم إلى اليوم ، وليس هو السوبان الذى عناه زهير في شعره ، وهذا السوبان يقع قريب وادى الرمة في جهته الشمالية ، وكانت به معركة بين بنى عبس وبنى حنظلة ، قال أوس بن حجر :

كأنهم بين الشميطة وصارة وجرثم والشوبان خشبٌ مُصَرَّعٌ

والشميطة وصارة وجرثم : كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وهى واقعة من وادى الرمة فى شماليه ، والسوبان معروف اليوم بموضع يقال له السايبية أو السايبة فى طرف الموشم من جهته الشمالية الشرقية إذا كنت فيه ترى جبال صارة وجبال الجرثمى التى كان يقال لها فى الزمن القديم جرثم

* * *

٣ - وقال زهير :

رَعَوَامَا رَعَوْا مِنْ ظَمِيمِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا نَحْمَارًا تَسِيلُ بِالرَّمَاكِ وَبِالدِّمِّ^(١)
فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَّاءٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ

نحمار الذى ذكره زهير واقع فى بلاد غطفان وهذا الاسم يطلق على موضعين : أحدهما : جبل محاذ بلد سميراء من الجهة الجنوبية على حدود بلاد بنى أسد ، ويقال له اليوم « الغمار » وهو جبل أحمر شاهق إلى السماء ، وتصطاد منه الصقور ، وبه مياه كثيرة ، وهناك ماء يقال لها « غمرة » وظنى أنها التى عنها زهير فى هذين البيتين ، وهى واقعة فى بلاد غطفان شمالى النقرة ، على مسافة يوم ، وقد أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن حتى وصل غمرة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى عنها الحارث بن ظالم المُررى بقوله :

وإنى يوم غمرة غيرَ فخيرَ تَرَكْتُ النِّهْبَ وَالْأَسْرَى الرِّغَابَا

وهناك موضع يقال له « غمرة » فى الجهة الشرقية من نجد وهى التى عنها الشمرذل بن شريك بقوله

سقى جدثاً أعرافُ غمرةَ دونه ببيشة ديمانُ الربيع هَواطِلُهُ

وما بى حبُّ الأرضِ إلا جوارها صداهُ وقولُ ظنَّ أنى قائله

وهى التى عنها عمرو بن قيس المرادى فى قصيدته التى أولها :

ألا يا بَيْتُ بالعلياء بَيْتُ ولولا حُبُّ أَهْلِكَ ما أَتَيْتُ

إلى أن يقول :

وَحَيِّ نَازِلِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ حَذَارُ الشَّرِّ يَوْمًا قَدْ دَهَيْتُ

(١) رواية التبريزى « غمارا تفرى بالسلاح وبالدم » .

غمار

وقد علم المعاصر غير فخرٍ بأنى يوم غمرة قد مضيتُ
فوارسَ من بنى حُجر بن عمرو وأخرى من بنى وهبٍ حميتُ
متى ما يأتني يومي تجدني شبعْتُ من اللذّاة واستقيت

وهناك موضع رابع يقال له « غمرة » يقع في جهة خيبر في الجهة الشمالية الشرقية منها على مسافة يوم أو أكثر، والاسم لجبل أسود يقال له غمرة ، وفيها ماء قد وردتْها يقال لها « عقيمة غمرة » واقعة في بلاد هتيم وعغزة ، وأما التي ذكرها زهير في قصيدته فهي واقعة في بلاد غطفان كما ذكرنا وهي بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٤ - وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَفْقَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَقَلُ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا عَلَى صِيرِ أَمْرِ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحُلُو^(١)

أما التعانيق والثقل فقد ذكر صاحب معجم البلدان^(٢) التعانيق ، وذكر أنها بالقرب من خيبر ، وعند خيبر موضع يقال له « التعانق » وعطف زهير الثقل عليه ولا يكون إلا قريباً منه وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، والتعانيق أيضاً : جبال حمراء واقعة في كئيب جو اليمامة ، تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥ - وقال زهير :

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا هَجَعْتُ وَدُونِي قَلَّةُ الْحُزْنِ فَالَرَّمَلُ
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا سَحِقْتُ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(٣)

(١) طى صير أمر : أى كنت على شرف أمر ، ما يمر فأياس ، وما يحلو فأرجوه .
(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٩٣ عبارة ياقوت « التعانيق موضع في شق العالية » وأنشد بيت زهير ، وذكر الثقل في ٣ / ١٩ ولم يبين موقعه ، بل لم يزد عن قوله « موضع من قول زهير » وأنشد البيت ، ثم قال « وروى الثجل » وذكر في رسم الثجل ٣ / ٩ « الثجل اسم موضع في شق العالية (٣) سحقت - بالبناء للمجهول - يروى بالفاء وبالقف ، ومعناها جميعاً حلقت ، تقول : سحفت فلان رأسه ، وسحقته ، وسبته ، وجلطه ، وجلطه ، تريد حلقة ، والمقاديم : أراد بها مقدم الرؤوس ، والقمل : هو هذه الحشرة المؤذية ، وأراد الشعر الذى فيه القمل . ويريد بهذه العبارة منى التى هي من مشاعر الحج وفيها يحلق الحاج أو يقصر

الحزن

أما الحزن فهو موجود إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهو واقع شرقي العروق يقال له « الحزل » غيرت نونه لاما .

الرمل

والرمل : هو رمل عاج المشهور الذي تداول ذكره الشعراء ، وفيه موضع يقال له « رمل مسهل » وهو قريب من تلك الناحية ، قال طفيل الغنوى والشاهد فيها على الرمل ^(١) .

تظل المدارى في ضفائرها العلى إذا أرسلت أو هكذا غير مُرسَل
كأن الرعاث والشلوس تصلصلت على خُششاوى جأبة القَرْن مغزل
أملت شهور الصيف بين إقامة دولا لها الوادى ورمل مسهل

قال في معجم البلدان ^(٢) : حزن هكذا غير مضاف طريق بين المدينة وخيبر ، ذكره في مغازى الواقدي في غزوة خيبر ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم في ذلك الموضع الذي ذكره ياقوت .

* * *

٦ - وقال زهير :

تَرْبَصْ فَإِنْ تُقَوِّ المَرَوْرَةَ مِنْهُمْ وَدَارَاتُهَا لَا تُقَوِّ مِنْهُمْ إِذَا نَخَلْ
فَإِنْ تُقَوِّيا مِنْهُمْ فَإِنَّ مُحَجَّرًا وَجِزَعَ الْحِسَا مِنْهُمْ إِذَا قَلَمًا يَخْلُو

المرورة

المرورة : موارد لبنى عبد الله بن غطفان ماؤها : مر ، والمر ، والمر ، ومريران : متوالية واقعة شرقي اللعاب ، وهي قريب منها في بلاد غطفان ، فسميت المرورة بذلك لأن المياه المحيطة بها كلها مرة المذاق ، منها : فج ، وفجيج ، وثر ، والبدنة ، وأبو مغير ، والهميج ، وبلغة ، والملاوية فجميع هذه المياه ماؤها مر المذاق ، وأسمائها المذكورة كلها أسماء جاهلية ، وقد تقدم الكلام على المرير في بيان المواضع الواردة في شعر امرئ القيس .

الدارات

وأما الدارات فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب ماء الهميج في شماليه الغربي ، وهي جبال مُخر مُلتحمة بعضها ببعض كأنها حائط مبنى ، ولا تدخل إلا مع مسالكها ، وقد أجزت تلك الدارات مرارا كثيرة ، قطعتها في سنة ١٣٣٧ هـ ست مرات ذهابا وإيابا ، وفي سنة ١٣٤١ هـ قطعتها مرتين ذهابا وإيابا ، وكانت هذه المرة آخر عهدي بتلك الناحية ، إذ اسرت قاصدا المدينة تركت الملاوية على يمينك وماء الهميج على شمالك ، فهناك ترى الدارات قريب الهميج ، وقد كنت آتيها من بلغة وأبيت بها ثم أنشُر منها ، وأمر في نهاري على بئر الزعفرانة ، وهي بئر حديثة عذبة الماء ، وإذا سرت منها قاصدا الغرب وتركت جبل رَحْرَحَانَ على شمالك فهناك ترى وادى الحناكية

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٤ / ٢٨٦ . (٢) المعجم ٣ / ٢٦٩ .

كأن الدوم فيه السفين المرسى في سواحل البحر ، والدارات المذكورة يقال لها في عهدنا اليوم « الديّر » ثم أضافوه إلى الهميج فقالوا « ديّر الهميج » والهميج من ميساه المرورة ، وهى التى عنها زهير فى قوله « المرورة وداراتها » .

ونخل : باقى على اسمه إلى هذا العهد ، إذا سلكت الطريق الذى ذكرنا ، وطلعت على وادى الحناكية ، وتركت رَحْرَحَانَ عن شمالك ، فخرج على يمينك وسر أقل من ساعة تصل إلى وادى نخل ، وفيهم من يصغره فيسميه « النخيل » وهو يصب فى وادى الحناكية ، يقع منها فى الجهة الشرقية . وقال زهير بن أبى سلمى فى هذا الموضع :

وإني لمهْدٍ من ثَنَائِي مدحةً إلى ماجِدٍ تُبَغَى لديه الفواضِلُ
أحبابى به ميمًا بنخل ، وأبتغى إِياءَكَ بالْقَيْلِ الذى أنا قائل

محجر

الحسا

أما محجر فقد مضى الكلام عليه فى أشعار امرئ القيس ^(١) .
والحسا : باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء جاهلى قريب من ميساه المرورة ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، قال لبيد ^(٢) :

ويومَ أجازت قُلَّةَ الحزنِ منهمُ مفاكِبُ تعلو ذَا حِسا وقنابلُ
على الصَّرَصَرَانِيَّاتِ فى كل رحلة وسوقٍ عدالٍ ليس فيهنَّ مائلُ
وهو معروف عند عامة أهل نجد ، ويقال له اليوم « الحسو » وقد تقدم الكلام عليه ^(٣) على ذكر المرير والمريرة وذكرنا هذين البيتين على المريرة .

أيا نَخَلْتِي حَسَى المريرة هلْ لنا سبيلٌ إلى ظِلِّينِكمَا أو جناكا
أيا نَخَلْتِي حَسَى المريرة ليتنى أكون طَوَالَ الدهر حيث أراكا
وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسو عليا » وهو الذى ذكره زهير حين قال :
* وجزع الحسا منهم إذا قلما يخلو *

* * *

٧ — وقال زهير :

لِمَنْ طَلَلُ كَالْوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عَافَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالْزَّيْنِسُ فَعَاقِلُهُ
فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فَأَكْنَفُ مَنَعِيجٍ فَشَرَقِي سَلَمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ
فَوَادِي الْبَدِيِّ فَالطَّوِيُّ فَمَادِقُ فَوَادِي الْقَنْانِ جَزْعُهُ فَأَفَاكِلُهُ

(١) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء . (٢) انظر المعجم ٣ / ٢٧٥ . (٣) انظر ص ٨٩ من هذا الجزء

الرس ، والرئيس ، وعاقل : ثلاثة أودية عظام تصب في وادي الرمة ، وهن واقعات في جهته الجنوبية .

الرس أما الرس : فقد مضى الكلام عليه ^(١) عند بيان قول زهير * فهنّ لِوَادِي الرسّ كاليد للقم * وهو باق بهذا الاسم .

الرئيس والرئيس : باقٍ على اسمه إلى هذا العهد .

عاقل عاقل : يقال له اليوم « العاقل » يقع من الرس مما يلي رامة في مطلع الشمس عنه ، يبعد مسافة نصف يوم عن الرس ، والرئيس يقع من الرس تحت مطلع سهيل ، يبعد عنه مسافة يوم ، قال القتال الكلابي ^(٢) .

نظرتُ وقد جَلَى الدجى طاسمَ الضَّوَى بَسِلْعَ وَقَرْنُ الشمسِ لم يترجَّلْ
إلى ظُعنٍ بينَ الرُّسَيْنِ فعاقِلٍ عوامدٌ للشَّيْقَيْنِ أو بطن خَفَلٍ
ألا حبذا تلك البلادُ وأهلُها لَوْ أَنَّ غَدًا لي بالمدينة يَنْجَلِي
وقال الحطيئة :

كأني كسوتُ الرجلَ جَوْنًا رَبَاعِيَا شَنُونًا تَرَبَّتُهُ الرئيسُ فعاقِلُ
والرس والرئيس وعاقل كلها عامرة اليوم ، ولعاقل شواهد يجتمع فيها بالرس والرئيس ، وله شواهد خاصة ، قال جرير ^(٣) :

لعمرك لا أنسى ليمالي مَنعَجٍ ولا عاقِلٍ إذ منزلُ الحى عاقِلُ
وقال النابغة :

كأني شددتُ الكورَ حين شدَّدتهُ على قارحٍ مما تضمَّنَ عاقِلُ
وقال عميرة بن طارق اليربوعي :

لَمْ يَبْقَ مِنْ نَجْدٍ هَوًى غيرَ أنِّي تَدَكَّرَني رِيحُ الجنوبِ ذُرَى الهَضْبِ
وأني أحبُّ الرمثَ من أرضِ عاقِلٍ وصوتُ القَطَا في الطلِّ والمطرِ الضربِ
فإنَّك من نَجْدٍ سقى اللهَ أهلَه بِمَنَانَةٍ منه فقلبي على قرب
وقال عبد الرحمن بن دارة :

نظرتُ ودورٌ من نَصِيبَيْنِ دوننا كَأَنَّ عَرِيَّاتِ العيونِ بها رُمْدُ
لكيما أرى البرقَ الذي أومَضَتْ به ذُرَى المزنِ علويًّا وكيف لنا يَبْدُو

(١) انظر ص ١١٥ . (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥١ .

(٣) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٦ / ٩٧ .

وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صَوْتَ حَامِيَةٍ يَمِيلُ بِهَا مِنْ عَاقِلٍ غُصْنٌ مَادُ
فِيَانِي وَنَجْدًا كَالْقَرَيْنَيْنِ قَطْعًا قُوَى مِنْ حِبَالٍ لَمْ يُشَدَّ لَهَا عَقْدُ
سَقَى اللَّهَ نَجْدًا مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقٍ عَدَانَا الْعِدَى عَنْهُ وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر عاقل :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَ
وَنَاحَتَانِ تَنْذُبَانِ بِعَاقِلٍ أَخَا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَثَرَ
وَفِي أُبْنَى نَزَارِ أَسْوَةٍ إِنْ جَزَعْتُمَا وَإِنْ تَسَالَمَ تَخْبَرَا مِنْهُمْ الْخَبَرَ

ورقد ، وصارات ، وأكناف منعج ، وشرقي سلمى ، حَوْضُهُ وَأَجَاوِلُهُ ، فأما صارات فقد سبق الكلام عليها في الكلام على معلقة امرئ القيس ^(١) ، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم ، إذا أفردتها قلت : صارة ، وإذا جمعتها قلت : صارات .

وصارة : اسم لهضبة سوداء ، وصارات : هضاب صغار متصلة بها ، وإليك بيتاً واحداً جمع ثلاثة مواضع ، وهو دليل على أنها مجتمعة قريب بعضها من بعض ، قال لبيد بن ربيعة ^(٢) :

فَأَجْمَادَ ذِي رَقْدٍ فَأُكْنَفَ ثَادِقٍ فَصَارَةَ تَوَفَى فَوْقَهَا فَالْأَعَابِلَا

وقال محمد بن عبد الملك القفقي :

سَقَى اللَّهَ حَيَا بَيْنَ صَارَةٍ وَالْحِمَى حَمَى فَيَدَّ صَوْبَ الْمَذْجِنَاتِ الْمَوَاطِرِ
أَمِينَ ، وَرَدَّ اللَّهَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَوَقَّاهُمْ صُرُوفَ الْمَقَادِرِ

وجميع هذه المواضع الذي ذكرها زهير كلها متصل بعضها ببعض .

ومنعج : قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس وخلاصته أن منعجا جبال دخنة ، ودخنة : هجرة معروفة لبني سالم من حرب ، وقد زال عنها اسم منعج ، ولا تزال أشعار العرب تروى فيه ، قال بعض الأعراب :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ إِلَى وَسْطِهِ أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

ورقد

وأما رَقْدٌ فاسمه قديم جاهلي ، قال الشاعر :

أَحَقُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَائِرًا بِصَحْرَاءَ شَرَجٍ فِي مَوَاكِبٍ أَوْ فَرْدَا
وَهَلْ أَرِيَنَّ الدَّهْرَ عِبَاءً عَاقِرٍ وَرَقْدًا إِذَا مَا الْآلُ شَبَّ لَنَا وَقْدَا

وقال الصَّمَّةُ الأَكْبَرُ :

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

(١) انظر ص ٢٧ من هذا الجزء .

جلبنا الخيل من تَشْلِيْثَ حَتَّى أَصْبَحْنَا أَهْلَ صَارَاتٍ فَرَقَدَ
ولم نَجِبْنِ ولم نَنسُكْ، ولكن فجعناهم بكل أئتمَّ جَعَدَ
والشعراء يذكرون رقدا مع صارة ، وثادق ، وعادل ، ومنعج . وهذه المواضع كلها يرى بعضها
من بعض : صارة ورقد وثادق هذه الثلاثة على ضفة وادي الرمة في جهته الشمالية مما يلي أبنات ،
وأنا لا أعرف رقدا بهذا الاسم ، إلا أنه في تلك الناحية ، وهناك موضع يقال له « وقط » وأظن أنه
رقد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واوا .

والحوض الذي ذكره زهير في قوله :

الحوض

* فشرقي سلمى حوضه فأجاوله *

ما أظنه إلا ذلك الوادي الواقع هناك شرقي سلمى بين قرى القصيم الشمالية وقرى الجبل الجنوبية
ويقال له اليوم « الحويض » .

والبدى : يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في معلقة لمبيد ، لأن البدى : اسم يقع على
واديين : أحدهما : الذي ذكره زهير في قصيدته هذه ، وهو في طرف القصيم الشرقي ، والثاني :
الذي ذكره لمبيد في معلقته وبائيته ، وهو واقع في بلاد بني عامر بن صعصعة قريب دحخ .
أما الطوى : فكل بئر مطوية يقال لها عند العرب « الطوى » .

البدى

الطوى

ثادق

وثادق : ماء معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الآن عامر ، فيه نخيل ومزارع ، عمره
جماعة من حرب يقال لهم البيضان ، ورئيسهم ابن غميض ، يصب واديه في وادي الرمة ، يقع من
أبان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية ، قال الأصمعي : هو واد ضخم يفرغ في وادي
الرمة ، قال عقبة بن سواد (١) :

ألا يا لقوى للموم الطوارق ورُبَّ خَلَا بَيْن السِّلِيلِ وَثَادِقِ

وقال الشاعر :

سقى الأربع الأطار من بطن ثادق هزيم السكلى جاشت به العين أملح
وقال عبد الرحمن بن دارة :

قضى مالك ما قد قضى ثمَّ قَدَّصَتْ به في سَوَادِ اللَّيْلِ وَجَنَاءَ عِرْمَسُ
فَأَضَحَّتْ بِأَعْلَى ثَادِقٍ فَكَأَنَّهَا حَمَالَةُ غَرْبٍ تَسِيمُ وَتَمْرَسُ
وثادق : كما ذكرنا غربي أبان الأسود .

ووادي القنَّان قد مضى الكلام عليه في معلقته (٢)

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٣ / ٣ . (٢) انظر ص ١١٥ من هذا الجزء .

٨ - وقال زهير :

عَزِيزٌ إِذَا حَلَّ الْخَلِيفَانِ حَوْلَهُ بِذِي لَجَبٍ لَجَائُهُ وَصَوَاهِلُهُ^(١)
يُهْدُّ لَهُ مَا دُونَ رَمْلَةٍ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بِالْغُورِ زَالَتْ زَلَاظِلُهُ

عالج : رمال بين النباج الذي يقال له اليوم « الأسياح » وبين شرقي حائل ، جميع الأكتيبة المتصلة في تلك الناحية يقال لها : رمال عالج ، إذا أجازها الحاج المتوجه من البصرة قاصداً المدينة يمر في طريقه على فيد الماء المعروف في شرقي سلمي ، وهذه الرمال لا تعرف بهذا الاسم اليوم ، قال عبيد بن أيوب اللص^(٢) :

انظر فرّخ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً رَأَدَ الضَّحَى الْيَوْمَ هَلْ تَرْتَادُ أَطْعَامَنَا
يَعْلُونَ مِنْ عَالِجٍ رَمْلًا وَيَعْسِفُهُ أَخُو رِمَالٍ بِهِ أَقْدَ طَال مَا كَانَا
إِذَا حَبَا عَقَدَ نَكَتَيْنِ أَصْعَبَهُ وَاجْتَمَعْنَ مِنْهُ جَمَاهِيرَا وَغِيْطَانَا

وقال أعرابي :

أَلَا يَا بُغَاثَ الْوَحْشِ هَيَّجَتْ سَاكِنَا مِنْ الْوَجْدِ فِي قَلْبِي أَصَمَّكَ صَائِدُ
رَمَيْتَ سَلِيمَ الْقَلْبِ بِالْحُزْنِ فِي الْحَشَا وَمَا قَلْبُ مِنْ أَشْجَيْتَ بِالْمَوْتِ طَارِدُ
أَفَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْ تِلَادٍ وَعَابِرٍ بُقَامُ مَهَاةِ الْوَحْشِ لِلْقَلْبِ قَاصِدُ
أَتَيْجَتْ لَنَا مِنْ كُلِّ مُنْعَرَجِ اللَّوَى وَمُتَمَّنَا بِهَا يَوْمَ الْعَذِيبِينَ نَاهِدُ
يِرَاشِقُ أَكْبَادَ الْحَبِينِ بِاللَّوَى مِنْ الْوَحْشِ مَرْتَابَ الْمَذَانِبِ فَارِدُ
فِيَارِاشِقَاتِ الْعَيْنِ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ مَتَى مِنْكُمْ سِرْبٌ إِلَى الْمَاءِ وَارِدُ
فَمَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى أُمِيمَةٍ نَازِعٍ وَلَا الدَّمْعُ مِمَّا أَضْمَرَ الْقَلْبُ جَامِدُ

أما الغور : فهو مشهور في كتب التاريخ ، واسمه باق إلى هذا العهد .

* * *

٩ - وقال زهير في قصيدة مدح بها هَرَمَ بن سِنَان المري ومطلعها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَانْفَرَقَا وَعُلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَأَسْمَاءَ مَا عُلِقَا
إلى أن قال :

بِحَيْدٍ مُغْزَلَةٍ أَدْمَاءَ خَاذِلَةٍ مِنَ الظُّبَاءِ تُرَاعَى شَادِنًا خَرِقَا

(١) هذه رواية الأعم ورأه ثعلب « إذا حل أحياء الأخاليف حوله » .

(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٩٩ .

الغور

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ لَمَّا يَغْدُ أَنْ عَتَقَا
شَجَّ السَّقَاةِ عَلَى نَاجُودِهَا شَبِيحًا مِنْ مَاءِ لَيْمَنَةٍ لَا طَرْقًا وَلَا رَنَقًا
مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

لينة

أما لينة: فهي آبار ماؤها عَذْب لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم، كانت في الزمن القديم المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط، وهي عامرة، وبها مركز وقصر منيع لحكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حفظه الله، وبعض من يتوجه منها يسلك حائلا، قال الأشهب ابن رُمَيْلة (١):

وَلله دَرَى أَيْ نَظَرَةٌ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَدُونِي لَيْمَنَةٌ وَكُثَيْبُهَا
إِلَى طُغْنٍ قَدْ يَمَّمْتُ نَحْوَ حَائِلٍ وَقَدَعَزَّ أُرُوحَ الْمَصِيفِ جَنُوبُهَا

وكانت في الزمن القديم من مياه طيء، وتخالطهم فيها بنو أسد، وهي صالحة للابل، قال مضر السدي:

لَمَنِ الدِّيارُ غَشِيَتْهَا بِالْإِثْمِ بِصَفَاءِ لَيْمَنَةٍ كَالْحَمَامِ الرُّكْدِ
أَمْسَتْ مَسَاكِينَ كُلِّ بَيْضِ رَاعَةٍ عَجَلٍ تَرُوحُهَا وَإِنْ لَمْ تَطْرُدْ
صَفراءَ عَارِيَةِ الْأَخَادِعِ رَأْسُهَا مِثْلَ الْمُدَقِّ وَأَنْفُهَا كَالْمَسْرَدِ
وَسَخَالَ سَاجِيَةِ الْعُيُونِ خَوَازِلُ بِحَادِ لَيْمَنَةٍ كَالنَّصَارَى الشُّجْدِ

وراكس: باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، يقع في شرقي بلغة جبلٍ ممتد أسود ليس بالرفيع به أبرق، على جنبه رمل وأحجار، وقد أضيف إليه هذا الأبرق ف قيل «أبرق راكس» وهو يبعد عن بلغة أفل من مسافة يوم، ويقع عن الماوية مما يلي مطاع الشمس أكثر من مسافة يوم، وقد قيلت فيه أشعار كثيرة، وقد ذكرنا قسما منها، قال عباس بن مرداس السلمي (٢):

راكس

لَأَسْمَاءَ رَسَمْتُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسا وَأَوْحَشَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسا
وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ:

وَأَنَا ذَمَمْنَا الْأَعْلَمَ بْنَ خُوَيْلِدٍ وَحَلَمَ عَقَالٍ إِذْ فَقَدْنَا أَبَا حَرْبٍ
إِذَا مَا حَلَلْتُمْ بِالْوَحِيدِ وَرَاكِسَ فَذَلِكَ نَصْرُ طَائِشٍ عَنْ بَنِي وَهَبٍ

ورحرحان الذي ذكره عباس بن مرداس السلمي يقع غربا عن راكس مسيرة يومين.

* * *

١٠ — وقال زهير :

دَانِيَّةٌ مِنْ شَرَوْرَى أَوْفَقَا أَدَمَ يَسْعَى الْحَدَاةُ عَلَى آثَارِهِمْ حَزَقًا
كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقَتَّلَةٌ مِنَ النَّوَاضِجِ تَسْقِي جَنَّةً سُحْقًا

أما شَرَوْرَى فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على الهضب الذي يقال له هضب شرورى . شرورى
وأما أدم فيقال لها اليوم « آدمى » وهى تقع فى الشمال الغربى من ضرغد بينهما مسافة يوم
فى مقطع الحرة ، وهى حرة منيعة ، قال القتال السكلا بى وقد توعدده مروان بن الحكم ^(١) :
وَأَرْسَلَ مَرَوَانَ الْأَمِيرَ رَسُولَهُ لَأَنِيهِ إِيَّيْ إِذَا لُمُضَلَّلُ
وَفِي سَاحَةِ الْعَفْقَاءِ أَوْ فِي عَمَايَةِ أَوِ الْأَدَمَى مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ مَوْتُ

وقال أبو سعيد السكرى فى قول جرير :
يَا حَبِذَا الْخَرْجُ بَيْنَ الدَّامِ وَالْأَدَمَى فَالرَّمْتُ مِنْ بُرْقَةِ الرُّوحَانِ فَالْغَرُفُ
الدام والأدمى فى بلاد بنى سعد .

وقال أبو خراش الهذلى :

تَرَى طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَغْشُونَ بَابَهُ سِرَاعًا كَمَا تَهْوَى إِلَى أَدَمَى النَّحْلُ

تنبيهه — ونريد أن ننبه القارىء إلى أن الشاهد الذى أوردناه للقتال السكلا بى إنما عني به
أدمى التى ذكرها زهير ، وذلك أنها حرة منيعة . وأما التى ذكرها جرير فهى واقعة فى جبال اليمامة
ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ، وأما التى ذكرها أبو خراش الهذلى : فهى من جبال
الطائف ، ويقال لها اليوم « أدمه » إذا خرجت من بلد الطائف وأجزت قصر شبرا سالكا طريق
الحوية العائدة لسمو الأمير فيصل آل عبد العزيز ، وتركت بستان سمو الأمير عبد الله على شمالك ؛
فإنها حينئذ على يمينك يحفها الطريق ^(٢) .

* * *

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٥٧ وما بعدها .

(٢) ثم إنى بعد ما ذكرت « أدم » وحددت المواضع التى يطلق عليها هذا الاسم وجدت رجلا
خبيرا عارفا ببلاد غطفان ومياها وجبالها ، فسألته عن أدمى ، فقال : هى هضبة حمراء ملومة ليست
بالرفيعة ، تقع من جبل رخام فى الشمال الغربى على مسافة يوم أو أقل ، وهضب شرورى الذى يسمى
اليوم هضب القتاد يبعد عنها إلى الجنوب مسافة يوم ، وهى التى ذكرها زهير ، وهى واقعة فى قلب
بلاد غطفان ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، المؤلف .

١١ - وقال زهير :

رَدَّ الْجَمَالَ قِيَانُ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوا إِلَى الظَّهِيرَةِ ، أَمْرٌ يَنْهَمُ لَبِكُ^(١)
ضَحَّوْا قَلِيلًا قَفَا كُثْبَانِ أَسْنَمَةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ^(٢)

أَسْنَمَةٍ

أما أسنمة : فقد أجمع أهل الأخبار أنها لم تسم أسنمة إلا لأن الكُثْبَانَ فيها كأنها أسنمة الإبل ، وهي واقعة على طريق الحاج بين البصرة والمدينة ، وهي آخر العروق الغربية من جهة سَلَمَى ، وهناك موضع في تلك الجهة يقال له في هذا العهد « أسنمة نواظر » وهي التي عنها زهير ، ويدل على أنها في تلك الناحية البيت الذي سنورده بعد هذه العبارة ، وأسنمة هي التي عنها ربيعة بن مقروم^(٣) بقوله :

لَمَنِ الدِّيارُ كَأَنَّهَا لَمْ تُخَلَّلْ بِمَجْنُوبِ أَسْنَمَةٍ فَقَفَّ الْعُنْصُلُ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا فَبَاقِيَ رَسْمُهَا خَلَقَ كَعَتُونَ الْكَتَابِ الْحَوْلُ
دَارَ لِسَعْدَى إِذْ سَعَادَ كَأَنَّهَا رَشَاغُضِيضُ الطَّرْفِ رَخْصُ الْمَفْصَلِ

وأما أسنمة الواقعة في بلاد بني تميم في رمالها الشرقية التي يقول فيها جرير :

قَالَ الْعَوَاضِلُ : هَلْ تَنْهَاكَ تَجْرِبَةٌ أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَالْإِخْوَانَ قَدْ دَلَقُوا
أَمْ مَا تُتَلِّمُ عَلَى رَبْعٍ بِأَسْنَمَةٍ إِلَّا لَعِينُكَ جَارٍ غَزْبُهُ يَكْفُ
مَا كَانَ إِذْ رَحَلُوا مِنْ أَرْضِ أَسْنَمَةٍ إِلَّا الدَّيْمِيلُ لَهَا وَرَدَ وَلَا عَلَفُ
فَأَسْنَمَةُ هَذِهِ غَيْرُ الَّتِي ذَكَرَهَا زَهِيرُ .

القسوميّات

وأما ماء القسوميّات فأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، والمياه الواقعة بين أسنمة وسَلَمَى كثيرة قال ياقوت في معجمه^(٤) على القسوميّات : إنها تمد فيها رَكَايَا كثيرة ، وبيت زهير هذا يدل على أنها مياه ، ألا ترى إلى قوله :

* ضَحَّوْا قَلِيلًا قَفَا كُثْبَانِ أَسْنَمَةٍ *

فإن هذه العبارة تدل على أن أسنمة خالية من الماء ، ثم قال وهو عجز البيت :

* وَمِنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ *

أراد اعتركو على الماء وشرابه وسقى إبلهم منه ، استعار هذه اللفظة من معركة القتال ، ولما ذكر ياقوت القسوميّات في معجمه لم يورد عليها من الشواهد إلا بيت زهير .

(١) في الديوان « رد القيان جمال الحي » (٢) هذه رواية الأصمعي ، وروى ثعلب وياقوت « وعرسوا ساعة في كُثْبِ أَسْنَمَةٍ » (٣) انظر معجم البلدان ١ / ٢٤٦ (٤) المعجم ٧ / ٩٠

١٢ — وقال زهير ، وهو الذي بعد هذا البيت :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا : إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءٌ بِشَرْقِيٍّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ
يُغَشِّي الْحِدَاةَ بِهِمْ وَغَتِ الْكَثِيبَ كَمَا يُغَشِّي السَّفَائِنَ مَوْجُ اللَّجَّةِ الْعَرَكُ^(١)

ففيد : بلد قديم جاهلي ، وهو باقٍ على اسمه هذا إلى هذا اليوم ، يقع شرقي سلمى مما يلي مطلع الشمس ، منقطع من سلمى ، فيه نخيل ومزارع ، وقد ذكروا في تقسيم الطريق بين مكة والكوفة أنها في نصف المسافة بين مكة والكوفة ، ويضع حاجُ العراق فيها أنقالم حتى يرجعوا إليها ، قال الزجاجي : سميت بفيد بن حام بن نوح ، وأهلها في الجاهلية ثلاثة أثلاث : ثلث من العمريين ، وثلث لآل أبي سلامة من همدان ، وثلث لبني نبهان من طي ، وهي من ملحقات جبلي طي ، ولا يحتاج إلى شواهد على هذا الاسم ، وينسب إلى هذا البلد محمد بن يحيى ابن ضريس الفَيْدِي ، ومحمد بن جعفر بن أبي مواتيه الفَيْدِي ، وأبو إسحاق عيسى بن إبراهيم الفَيْدِي الكوفي وهو عالم جليل ، سكن فيدا ، يروى عنه موسى الجُهَنِي ، روى عنه أبو عبد الله عامر ابن فزارة الكوفي وغيره .

ورَكَك : وادٍ عظيمٌ باقٍ بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يصب من جبل سلمى في جهته الشرقية مما يلي الشمال ، كثير المياه ، قال عبيد بن الأبرص الأسدي^(٢) :

تَغَيَّرَتِ الدِّيَارُ بَذَى الدَّفِينِ فَأَوْدِيَةِ اللَّوَى فَرَمَالِ لَيْنِ
تَبَيَّنَ صَاحِبِي أَتْرَى حَمُولًا تَشْبَهُ سِيرَهَا عَوَمَ السَّفِينِ
جَعَلَنَ الْفَلَجُ مِنْ رَكَكٍ شِمَالًا وَنَكَكَيْنَ الطَّوِيَّ عَنِ الْيَمِينِ
ورَكَك معروف عند أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا اليوم .

* * *

١٣ — وقال زهير يصف فرسا :

كَأَنَّهَا مِنْ قَطَا الْأَجْبَابِ حَلَّاهَا وَرُدُّ ، وَأَفْرَدَ عَنْهَا أَخْتَهَا الشَّرَكُ^(٣)

(١) في الديوان « يغشى الحداة بهم حر الكتيب » والعرك - بفتحين - الملاحون ، ويروى بكسر الراء وهو المتلاطم الذي يدفع بعضه بعضا (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٧٩
(٣) الأجباب : جمع جب - بالضم - وأصله البئر لم تطو ، وقال ثعلب : الأجباب مواضع فيها ركابا . والورد - بالكسر - الإبل الواردة ، وحلاها : منعها ، وروى ثعلب « حان لها ورد » يقول : نظرت إلى الماء فرأت عليه ناسا كثيرين فلم ترده ، والشرك : حبال الصيد ، وروى ثعلب في مكانه « الشبك » والمعنى واحد

السي

جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ الْقَسَمِ مَرَّتُهَا بِالسِّيِّ، مَا تُنْبِتُ الْقَفْعَاءَ وَالْحَسَكُ^(١)
والسِّيُّ : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، واقع بين معدن بنى سليم الذى يقال له
اليوم « المهد » وبين حرة بنى سليم وسيوله وسيول ساية ، تصب إلى جهة الغرب وتنحدر إلى
أعلى وادى فاطمة المسمى « مر » وساية الوادى المذكور : فيه نخيل ومزارع ، وسكانه بنو سليم ،
وسى هذا هو الذى عناء زهير . وكلا الواديين باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، قال خالد بن مالك
الهذلى فى ذكر^(٢) ساية .

بودك أصحابي فلا تزدهيمُ * بسَايَةَ إِذْ دَمَتْ عَلَيْنَا الْخِلَابُ
وقال المعطل الهذلى فى ذكر ساية ؟

أَلَا أَصْبَحْتَ ظَمِيَاءَ قَدْ نَزَحَتْ بِهَا نَوَى خَيْتَمُورٍ طَرَحَهَا وَشَتَاتُهَا
وقالت : تَعْلَمُ أَنَّ مَا بَيْنَ سَايَةِ وَبَيْنَ دُفَاقِ رَوْحَةٍ وَعَدَاتُهَا
وقال أبو عمرو الهذلى :

أَسْأَلُ عَنْهُمْ كَلَّمَا جَاءَ رَاكِبٌ مَقِيماً بِأَمْلَاحٍ إِذَا رُبِطَ الْيَعْرُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ وَرَاءَهُمْ بِسِمَّةِ أَيْبَاتٍ كَمَا نَبَتَ الْعِثْرُ^(٣)
بِمَا قَدْ أَرَاهُمْ بَيْنَ مَرٍّ وَسَايَةٍ بِكُلِّ مَسِيلٍ مِنْهُمْ أَنْسَ غَيْرَ

مر

ومر : هو مرّ الظهران الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » يصب سيّله فى البحر الأحمر ،
وفى أعلاه موضع يقال له « وادى مر » لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وساية داخلية فى
أودية الحجاز ، أما « وادى سِيِّ » الذى ذكره الشاعر فإنه يقع فى شريقها على حدود جبال الحجاز
وقال جرير فى ذكر السى :

إِذَا مَا جَعَلْتُ السِّيَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَحَرَّةَ لَيْلَى وَالْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا
دَعَوْتُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ رَبِّ مُحَمَّدٍ لِيَجْمَعَ شُعْبًا أَوْ يَقْرُبَ نَائِيًا
وَيَأْمُرَنِ الْعَدَّالُ أَنْ أَتْرَكَ الْهَوَى وَأَنْ أَخْفِيَ الْوَجْدَ الَّذِى لَيْسَ خَافِيَا

(١) جونية : أى فيها سواد ، وحصاة القسم : اللدرة التى يقدر بها الماء فى القدح إذا تصافنوا ،
وإنما يفعلون ذلك إذا نفذ ماؤهم ، يتقاسمونه فيأخذ كل منهم مقدار ما يغطى حصاة ، وأراد أنها
مستوية لأن قسم الماء بالحصاة لا يكون فيه حيد ولا غبن . والسى - بكسر السين - أصله ما استوى
من الأرض ، والقفعاء : بقلة من أحرار البقول . (٢) معجم البلدان ٥ / ٢٣ .
(٣) العتر - بالكسر - نبت لا يزيد ورقه عن ست ورقات ولا ينقص عنها .

فِيَا حَسْرَاتِ الْقَلْبِ فِي إِثْرٍ مِنْ يُرَى قَرِيبًا وَيُلْفَى خَيْرُهُ مِنْكَ قَاصِيَا
وَإِنِّي لَعَفْتُ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي انْتِقَالِيَا
وقال ابن راح بن قرة أخو بني الصموت يذكر السّي^(١) :

وَإِنْ عَمَادُ السَّيِّ قَدْ حَالَ دُونَهَا طَوَى الْبَطْنُ غَوَاصٌ عَلَى الْهَوْلِ شَيْخُمْ
فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ شَيْخَنَا حِينَ ضَمَهُ وَإِيَّاكُمْ أَلْبُ الْخَوَاثِ يَزَحْمُ

وأما الأجباب التي ذكرها زهير في قوله : * كأنها من قَطَا الأجباب - إلخ * فإنني لما نظرت
في شرح الأعلام على هذا البيت رأيته قال : الأجباب : جمع جب ، وهو كل بئر لم تطو ، وحدثني
الخميرون ببلاط طى وبلاد بني أسد وبلاد غطفان أن في شرقي سلمى آبارا يقال لها « الأجباب »
واقعة في موضع بين فيد^(٢) وركك ، وهي لاركك أقرب ، ولم يعن زهير إلا تلك الآبار ، وهي باقية
بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٤ - وقال زهير :

تَعَلَّمْنِهَا لَعَمْرُ اللَّهِ ذَا قَسَمًا فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَتَنْ حَلَّاتَ بَحْوٍ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينَ عَمْرٍو وَحَالَتَ بَيْنَنَا فَدَكُ
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنَظِقٌ قَذَعُ بَاقٍ كَمَا دَنَسَ الْقُبُطِيَّةَ الْوَدَكُ

قد غلط كثير من الشراح والطباع بسبب نقطة وضعوها تحت الحرف فصار « جوا » فلو
وضعوها فوق لكانت « خوا » وهي الواقعة في بلاد بني أسد ، والصحيح أن زهيراً قصدها وأن
صواب الرواية * لئن حللت بحو في بني أسد - البيت * .

وخو : ماء جاهلي يقع في شرقي سميراء الجنوبي في خشم الجبل المسمى « حبشي » وقد وردته
تسميه العامة اليوم « الخوة » وعنده يوم من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع قتيل فيه
ذؤاب بن ربيعة عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، وقال مالك بن نويرة^(٣) :

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنْ أَصَابَتْ رِمَاحُنَا عَشِيَّةَ خَوْ رَهْطَ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ
عَمِيدُ بَنِي كَوْزٍ وَأَفْنَاءُ مَالِكٍ وَخَيْرُ بَنِي نَصْرِ وَخَيْرُ الْغَوَاصِرِ

وقال بعثر بن لقيط الفقعسي ، وهو أسدي :

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٢٠٤ (٢) وعبارة ثعلب « الأجباب مواضع فيها ركيا »

(٣) معجم البلدان ٣ / ٤٩٢

أَلَا حَيَّ لِي مِنْ لَيْلَةِ الْقَبْرِ إِنَّهُ مَابَ ، وَإِنْ أَكْرَهُتُهُ ، أَنَا آيِبُهُ
وَبَارَكَ خَوْ يَنْسَجُ الرِّيحُ مَتْنَهُ إِذَا أَطْرَدْتُ قَرِيَانَهُ وَمَذَانِيَهُ
إِذَا أَفَامَتَ فِيهِ الْجَنُوبَ كَأَنَّمَا يَدُقُ بِهِ قَرْنَ الْقَرْنَفُلِ نَاشِيَهُ
إِذَا تَوَرَّتْ غِرَاؤُهُ وَدُمَائُهُ وَزَيْنَ بُقْلَحِ الْإِيْهَقَانِ أَخَاشِيَهُ
كَأَنَّ لَهَا غَيْرًا مِنَ الْمَسْكِ حَلَّهَا دَهَاقِينُ مَلَكٍ تَجْتَنِي وَمَرَازِيَهُ
وَتَارِكِ رِيْعَانِ الشَّبَابِ لِأَهْلِهِ تَرُوحُ لَهُ أَصْحَابُهُ وَصَوَاحِبُهُ
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

وَبَيْنَ خَوَيْنِ زَقَاقٍ وَاسِيعٍ زَقَاقٍ بَيْنَ التَّيْنِ وَالرَّابَائِغِ
وَالتَّيْنِ أَعْرَفُهُ ، لَا يَزَالُ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، إِذَا كُنْتَ عِنْدَ خَوْرَأَيْتِهِ بَعِينُكَ فِي الْجِهَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ ، وَفِيهَا - أَعْنَى خَوَا الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْخَوَةِ - قَصْرٌ وَمَزَارِعٌ تَبْعُدُ عَنْ سَمِيرَاءَ أَقْلٍ مِنْ
نِصْفِ يَوْمٍ مِمَّا يَلِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ .

وَأَمَّا فَدَكُ : فَهُوَ الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ عِنْدَ عَامَةِ الْعَرَبِ بِالْحَائِطِ وَالْحَوِيطِ ، وَاقَعَ فِي حَرَّةٍ سَوْدَاءَ
يَحِيطُ بِهِ جِرَارٌ سَوْدٌ ، وَهُوَ فِي أَرْضٍ مَنْخَفِضَةٍ فِي الْحَرَّةِ ، فِيهِ ثَلَاثُ عَيُونٍ تَصُبُّ مِنَ الْحَرَّةِ وَتَسْقِي
نَخِيلَهُ ، وَهُوَ كَثِيرُ النَّخْلِ ، وَيَعْرِفُ بِاتِّصَالِ الْحِمِيِّ ، وَقَدْ أَتَيْتُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ لِلْأَتَجَارِ : الْأُولَى أَقَمْتُ
فِيهِ شَهْرًا وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ١٣٤١ هـ ، وَمَرَضْتُ بِالْحِمِيِّ وَشَفَانِي الْمَوْلَى مِنْهَا ، وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ حَصُونِ خَيْبَرَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ثَلَاثُهَا وَاشْتَدَّ الْحَصَارُ بِأَهْلِهَا أَرْسَلُوا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُنْزِلَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ فَأَجَابَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ فَدَكِ
فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَصَالِحَهُمْ عَلَى نِصْفِ ثَمَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ؛
فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَهِيَ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رُكَّابٍ ، فَكَانَتْ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَارُ فَدَكِ طَوِيلَةٌ ، وَلَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ضَمَّهَا
أَبُو بَكْرٍ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، فَلَمَّا تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَتْ فَاطِمَةُ قَدْ تَوَفَّيَتْ - وَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَنَازَعَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، عَلَى يَقُولٍ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهَا لِفَاطِمَةَ ؛ فَهِيَ لَنَا ، وَالْعَبَّاسُ يَأْبَى ذَلِكَ وَيَقُولُ : هِيَ مِلْكُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا وَارِثُهُ ، فَكَانَا يَخْتَصِمَانِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَيَأْبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا ،
وَيَقُولُ : أَنْتُمَا أَعْرَفُ بِشَأْنِكُمَا ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَسْلَمْتُهَا إِلَيْكُمَا ، فَاقْصِدَا ؛ فَمَا يُوْتَى وَاحِدٌ مِنْكُمَا مِنْ قَلَّةٍ
مَعْرِفَةٍ ، فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ فِي الْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَرُدَّ فَدَكَ إِلَى وَلَدِ

فدك

فاطمة رضى الله عنها ، فكانت فى أيديهم أيام عمر بن عبد العزيز ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها منهم ، فبقيت فى أيدي بنى أمية إلى خلافة بنى العباس ، فلما كان عهد المأمون جاء رسول بنى على بن أبى طالب فطالب بها ، وشكا إلى المأمون ، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها سجل يكون بأيديهم ، فلما قرئ السجل على المأمون ودعبل الشاعر بين يديه قام وأنشد القصيدة التى مطلعها

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمانِ قد ضَحِكَ بردُ مأمونٍ هاشمٍ قد كا

والذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك بالصلح المحيصة بن مسعود ، ورئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودى .

وفدك الذى ذكره زهير هو المعروف بالخائط فى هذا العهد ، سكانه اليوم يقال لهم « الخوايطه » جلدتهم سوداء ، وبلغني أن الخائط كان ملكا لابن مجلاد من رؤساء عنزة ، ثم جلا إلى العراق واستوطنها فى أواخر القرن الثانى عشر ، وبقى به عبيده وفلاحوه ، وملكوا تلك الناحية شيئا فشيئا إلى هذا اليوم ، وهم باقون فيه ، وباديتهم هتميم ، وهو واقع فى القطعة التى يتجولون فيها ويقبضون فيها أيام صرام التمر ، وهى بين المدينة المنورة وبين حائل مدينة جبل طى ، فى نصف المسافة بينهما تقريباً

* * *

١٥ — وقال زهير فى قصيدته التى مطلعها :

قِفْ بِالذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْواحُ وَالذِّيمُ

وهذه القصيدة مدح بها هرم بن سنان المُرِّى ، وتوسع فى المواضع ، فذكر السر والعتكين ، وهما فى شرق نجد ، وذكر قرقرى وبرك ، وهما فى جنوبى نجد الشرقى ، وذكر صبحا وهى فى جنوبى نجد ، وذكر ظلما ، وهى فى جنوبى نجد الغربى ، وقد توسع فى المواضع كما توسع فى مدح هرم - قال :

دَارَ لَأَسْمَاءَ بِالْعَمَرَيْنِ مَائِلَةً كَأَلُوخِي لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرْمُ
وَقَدْ أَرَاهَا حَدِيثًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ السَّرُّ مِنْهَا فَوَادِي الْحَفْرِ فَالْهَدْمُ ^(١)

الغمران : هما « غمرة » الماء المعروف بهذا الاسم الواقع فى بلاد غطفان ، وهى واقعة على ضفة وادى الرمة الشمالية ، بين مصب الجريب فى الرمة وبين الحاجر ، وهى على هذا الاسم إلى هذا العهد . وغمرة الثانية : واقعة فى أعلى بلاد غطفان ، وهى فاصلة بين نجد والحجاز ممائلى معدن

(١) فى الديوان برواية ثعلب « بل قد أراها جميعا غير مقوية » وفى رواية « الجفر » بالجيم

مكان الحاء .

بنى سليم ، وهاتان الغمرتان هما اللتان عناهما زهير ، لأنهما واقعتان في بلاد قومه ، وأما غمرة التي في بلاد بني أسد ؛ فهي التي يقول فيها عبيد بن الأبرص :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظُعَانٍ سَلَكَنَ غَمِيرًا دُونَهُنَّ غَمُوضَ
وَفَوْقَ الْجَمَالِ الْفَاعِجَاتِ كَوَاعِبُ مَحَابِيصِ أَبْكَارِ أَوَانِسُ بَيْضُ
وهي التي يقول فيها ذو الرمة :

تَقْضَيْنَ مِنْ أَعْرَافٍ لَيْنٍ وَغَمْرَةٍ فَلَمَّا تَعْرِفْنَ الْيَمَامَةَ عَنْ غُرِّ

والمقصود أن غمرتين الواقعتين في بلاد غطفان إحداها في النصف منها ، والثانية في أعلاها على أسمائها إلى هذا اليوم .

وأما السر فإن في نجد مواضع كثيرة تقارب أسماءها هذا الاسم : السرة ، وسرير ، وتسريير ، وسرار ، فأما على هذا الوزن الذي ذكره زهير فلا أعلم إلا السكتيب المرتكم بين خف ومرات ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه وحددنا قراه ومياهه ، وهذا اسمه في الجاهلية ، وقد مر ذكره في هذا الكتاب في مساجلة امرئ القيس والحارث حين قال^(١) :

فَلَمْ يَتْرَكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظُبِيًّا وَلَمْ يَتْرَكْ بِجَلْهَتِهَا حِمَارًا

ووادى الحفر : يعرفه عامة أهل نجد وغيرهم ، لأنه باقٍ بهذا الاسم ، ويقال له « حفر بنى حسين » وهو بلد قديم جاهلي ، وعمر في صدر الإسلام ، وبه آثار وآبار قريبة الماء يؤمل أن تجرى على ظهر الأرض ، وآثار القصور والآطام^(٢) باقية إلى هذا العهد ، وقد حدثني الشيخ العلامة عبد الله السليمان آل بليهد عن هذا الحفر وعماره ، وفي سلسلة من حديثه قال : إن الخليفة المستعين العباسي أمر وإلى مكة في زمانه أن يحصى حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْ أَهْلِ الْحَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَصَدُوا مَكَّةَ لِلْحَجِّ فَكَتَبُوا أَسْمَاءَهُمْ : فلان بن فلان الحفري ، وفلان بن فلان الحفري إلخ ، فوجدوهم إحدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور ، و (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) وموقعه على حدود كسب الواقعة غرب منه وهو منهل ، ترده الأعراب ، إذا كنت على الحفر فجل شعر منك أمام المصلى ، وجبل كسب بينك وبين الشرق ، وجبل شعر يبعد عن الحفر مسافة يوم للراكب البطيء .

أما الهدم فهو باقٍ بهذا الاسم لم يتغير إلا بحرف واحد ، وضعوا في موضع الميم باء فقالوا :

« الهدب » وواديه هو وادى الحفر ، واقع شرقي ماء الحفر المذكور ، وهو آبار قليلة الماء متهدمة .

(١) انظر ص ٦٨ من هذا الكتاب (٢) الآطام : جمع اطم - بزنة عنق - وهو الحصن

وإني بعد أن ذكرت السر الذي في بيت زهير^(١) وذكرت السر الذي في طريق السيارات بين خف ومرات ، اجتمعتُ برجل عارف خبير ببلاد غطفان وجميع أماكنها ، فسألته عن السر ، فقال : إنه موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذي عناه زهير ؛ لأنه واقع في بلاد غطفان بين كشب وبين صفينة والسوارقية القرى المعروفة في بلاد غطفان ، وهو وادٍ يأتي سيّله من جهة الغرب ، وينحدر إلى جهة الشرق الجنوبي مما يلي مطلع الشمس ، ويقف في « صبحا » قريب كراع الحرة المجاورة لجبل كشب وجبل أكباد وجبل أنياب يقعان منه في الجهة الشمالية الغربية على أقل من مسافة نصف يوم .

* * *

١٦ — وقال زهير :

فَلَا لُكَّانُ إِلَى وَادِي الْغِمَارِ فَلَا شَرْقِيَّ سَلْمَى فَلَا فَيْدَ فَلَا رِهْمَ^(٢)
شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى ، بِرُكٍّ بَائِمُنْهُمْ وَالْعَالِيَاتُ ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خَيْمُ
لُكَّانَ : لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ اسْمًا فِي عَهْدِنَا هَذَا ، قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ^(٣) : هُوَ مَوْضِعُ لُكَّانَ
وَاسْتَدِلَّ بَبَيْتِ زَهِيرٍ .

وادي الغمار : هو الوادي المجاور لبلد سميراء من جهة الجنوب ، شرق سلمى وفيد ، وقد تقدم الكلام عليه ، وهو مثل الموضع الذي ذكره قبله حين قال * ماء بشرقي سلمى فيد أوركك * وقد تقدم الكلام على فيد وركك .

فأما رهم المذكور في هذا البيت فهو موضع شرقي سلمى ، ولست أدري أباقي هو بهذا الاسم أم قد تغير ؟

أما قرقري : فهي واقعة في جهة اليمامة متاخمة لوادي الأحيسى الذي يقال له اليوم « الحيسية » وهي أرض عريضة منها « البرة » الموجودة إلى اليوم بهذا الاسم ، ومنها « قرقى » المعروفة بهذا الاسم في الزمن القديم ، واسمها اليوم « ضرمى » فهي والبرة وما بينهما يطلق عليها « قرقري » وذكرها صاحب الأغاني في ترجمة يحيى بن طالب الحنفي^(٤) ، وأعطال عليها الكلام ، وقد قال يحيى بن طالب وهو في بغداد وقد أجلاه الدّينُ إلى تلك الناحية :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِهَا الْغُبَرِ

(١) انظر ص ١٣٢ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعم ، وروى أبو العباس ثعلب وياقوت

« ولا فيد ولا رهم » براء فميمين (٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٣٧ (٤) الأغاني ١٤٩ / ٢٠ بولاق

كأن فؤادى كلما مر راكبٌ جناحُ غرابٍ رامَ نهضاً إلى وَكْرٍ
أقول لموسى والدموعُ كأنها جداولُ فاضتْ من جوانبها تَجْرِي
ألا هلَ لشيخِ وابنِ ستينِ حِجَّةً بسكى طَرَباً نحوَ اليمامةِ من عُذْرٍ
إذا ارتحلتَ نحوَ اليمامةِ رفقةَ دعاك الهوى واهتاجِ قلبِكَ للذكرِ
فواحزنى مما أجن من الأسى ومن مُضْمَرِ الشوقِ الدخيلِ إلى حِجْرِ^(١)
فتوغَّلَ يحيى بن طالب في غربته وفراره من الدينِ قاصداً خُرَاسانَ ، فلما وصل إلى
قُومس قال :

أقول لأصحابي ونحن بقُومس ونحن على أثباج ساهمة جُرْد
بعدنا وربُّ الناس عن أرضِ قَرقرى وعن قاعِ موحوش وزدنا على البعد
فلما وصل إلى خراسان قال :

أيا أثلات القاع من بطن توضح حنيني إلى أطلالِ كنٍّ طويلٍ
ويا أثلات القاع قلبي مُوَكَّلٌ بكنٍّ وجَدوى خيركن قليلٍ
ويا أثلات القاع قد ملَّ صُحْبتي مسيرى فهل في ظلكن مَقِيلٍ
ألا هل إلى شَمِّ الخزامى ونظرة إلى قَرقرى قبل المات سَبِيلٍ
فأشرب من ماء الحجيلاء شربةً يَدَاوى بها قبل المات عليلٍ

أما الحجيلاء : المذكورة في البيت الخامس فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تقع عن
بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين ، ويحيى بن طالب بلده البرة في الجهة الشمالية من
قرقرى ، انظر إلى قوله وهو في غربته :

خليلي عوجاً بارك الله فيكما على البرة العُلَيَّا صدورَ الركائب
وقولا إذا ما نَوَّهَ القومُ للقرى ألا في سبيل الله يحيى بن طالب

وقد هلك في بغداد هذا الشاعر الأديب ، في سفرته هذه ، رحمه الله !

وقرقرى : معروفة بهذا الاسم ، ولكن ذكرها قليل في ألسن الناس ، لم يبق في ألسن الناس
إلا ضرمى والبرة ، وكانت تلك البلدان عامرة فيها نخيل ومزارع وقصور ، ولم يبق منها إلا الآثار
الدارسة والأخبار القديمة ، والذي يدل على أنها هي التي عنها زهير أنه قرنها ببرك والعاليات وخيم.

العاليات وبرك : أما العاليات وبرك : فهي مجاورة لها في الجهة الجنوبية منها .

وبرك قد مضى الكلام عليه ، وادٍ يصب من عارض اليمامة وينتهى سيله إلى الخرج .
والعاليات معروفة بهذا الاسم في عارض اليمامة ، جبل رفيع منيع ، وقد مضى الكلام عليه
في بائية امرئ القيس حين قال :

أَقْبَ رَبَّاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَايَةِ يَمْجُ لَعَاعِ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ
عَظِيمٍ طَوِيلٍ مَطْمَئِنٌّ كَأَنَّهُ بِأَسْفَلِ ذِي مَأْوَانَ سَرَحَةٍ مَرْقَبٍ

وقد مضى الكلام على هذا الجبل عند ذكر ماوان^(١) . لأنه وادٍ عظيم واقع في جبل عليه .
وخيم : هى وادٍ فى الحصة التى يقال لها فى الزمن القديم « الخصاء » وبهذا الوادى ماء عذب
يقال للوادى والماء « خيم » وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها
فى أشعار امرئ القيس^(٢) :

* * *

١٧ - وقال زهير :

عَوَمَ السَّفِينِ فَاِمَّا حَالَ دُونَهُمْ فَنَدُّ الْقُرَيَّاتِ فَالْعِتْكَانُ فَالْكَرْمُ

القريات : موجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقعة قريب الحدود الشمالية من مملكة
جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، قال فى معجم^(٣) البلدان : قال أبو عبيد الله السكونى : من
وادى القرى إلى تيماء أربع ليال ، ومن تيماء إلى القريات ثلاث أو أربع ، قال : والقريات دومة
وسكاكة والقارة ، ولا أظن أن هذه العبارة صحيحة ، الصحيح : أنها هى التى يقال لها اليوم
« قريات الملح » وأنا أظن أن القريات التى ذكرها زهير هى القريتان الواقعتان شرق القصيم
جنوبى النباخ وهى التى يقول فيها لبيد :

جَعَلَن جِرَاجَ الْقَرْيَتَيْنِ وَعَالَجَ يَمِينًا وَنَسَكَبَنَ الْبَدَىَّ شَمَائِلًا

وهى التى يقول فيها معن بن أوس^(٤) :

لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لَمَوْتٍ فَلَائِ لَا تَزَالُ تَنَازِلُهُ

قال فى معجم البلدان^(٤) : القريتان قرية عبد الله بن عامر بن كريض ، والقرية الأخرى
بناها جعفر بن سليمان ، وأهلها يستعذبون الماء من عنبرة ، وهى منها على ميلين ، وهى التى
قال فيها جرير :

(٢) انظر ص ١٩ من هذا الجزء

(٤) المعجم ٧ / ٧٠

(١) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٦٩

تَفَشَى النَّبَاجَ بَنُو قَيْسِ بْنِ حَنْظَلَةَ وَالْقَرِيَتَيْنِ بِسُرَّاقٍ وَنُزَالٍ
وقد أوردنا هذه الشواهد في غير هذا الموضع . ويوجد في تلك الناحية موضع فيه قصور ومزارع
يقال له اليوم « القرية » تقع بين العوشية وبين عنيزة ووادي الرمة ، تقع من عنيزة مما يلي
مطلع الشمس على مسافة ميلين ، وهي التي عنها زهير .

العتكان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، أحدهما واقع بين قرى سدير وبين قرى الحمل
التي عاصمتها « ثادق » يقال له « عتاك البكرات » وهو يقسم عارض اليمامة نصفين ، تسير القوافل
فيه بين الشرق والغرب ، فإذا خرجت منه إلى جهة الشرق رأيت العتاك الثاني الذي يقسم العرمة
كما يقسم الأول جبل العارض ، وكلا الطريقين سهل المنفذ ، ويقال للثاني « عتاك العرمة » وهو
الذي يضاف إليه الحفر الواقع في العرمة ، فيقال له « حفر العتاك » وكلاهما واقع في بلاد بني تميم ،
قال الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ ^(١) حين حمل صدقات قومه إلى أبي بكر رضي الله عنه :

ساروا إلينا بنصف الليل فاحتملوا فلا رهينة إلا سيّدٌ صمدٌ
سيروا رؤيّدًا ، وإنّا لن نفوتكم وإن ما بيننا سهل لكم جدّدٌ
إن الغزال الذي ترجون عزّه جمع تضيق به العتكان أو أظد
مُسْتَحْتَقِبُو حِلَقِ الماذي بحفرتة ضرب طَلَخَفٌ وطعن بينه خَصَدٌ

والعتكان : باقيان بهذا الاسم إلى هذا اليوم .
والكرم : موضع ، قاله صاحب معجم البلدان ^(٢) ، واستشهد ببيت زهير ، وقال أيضًا :
كرمة ^(٣) هي من نواحي اليمامة ، واستشهد ببيت أبي خراش الهذلي :
وأيقنت أن الجود منك سجية وما عشت عيشًا مثل عيشك بالكرم
وأنا لا أعرف هذا الموضع بهذا الاسم ، ويمكن أنه قد درَسَ وتغير .

* * *

١٨ — وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ
غَرَبٌ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ قَلِقُ
عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَتَيْنِ وَقَدْ
فَاسْتَبَدَّلْتُ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَّةً
وَعَبْرَةٌ مَاهِمُ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمُ
فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِهِ النُّظْمُ
زَالَ الْهَمَالِيَجُ بِالْفُرْسَانِ وَاللُّجُمُ
تَرَعَى الْخَرِيفَ فَأَذْنِي دَارَهَا ظِلْمُ

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلِ كِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ

السليل : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ واقع في بلاد غطفان ، أعلاه يقال له « السليلة » وفيه ماء يقال لها « السليلة » أيضا ، ماؤها مر ، وقد أكثر شعراء العرب من ذكر هذا الوادى وكذلك شعراء الأعراب المتأخرون .

قال رجل من بني عبد الله بن غطفان شعرا نبطيا منه هذا البيت :

الركائب كنفها الآفواسُ تومى سارحةً من عمق ممساها السليلة

وقال شاعر ثان من تلك القبيلة من أهل تلك الناحية من قصيدة له نبطية :

كبدى عَمِيلَةً من شراب السليلة أَشْرَبَ ولا ينحى مع الحلق ماها

وقال شاعر ثالث من أهل تلك الناحية ، وهو قاطن على ماء « الوبرة » وهى عذبة الماء بين

مروراة غطفان فى قصيدة نبطية :

مقيا ضنا من فوق عد قراح وأهل السليل مقيضين على ماء

يعنى أهل ماء السليلة الواقعة فى أسفل وادى السليل الذى عناه زهير ، والسليل والسليلة :

باقيان على أسميهما من الجاهلية إلى هذا العهد ، وسيل السليل ينصب من الشرق إلى الغرب ، ويفترق عن ماء السليلة ، ثم يصب فى وادى الشعبة جاغلا ثريا وماءه وجباله جنوباً ، والحناء كيسة واللعباء شمالاً ، وهو إلى الحنا كية واللعباء أقرب ، وتنتجه سيول الشعبة إلى جهة الغرب حتى تصب فى عقيق المدينة ، ثم يصب فى البحر الأحمر .

وقد اقتتل عيس وأسد فى السليل ، وقال رجل من بني عمرو بن قعين :

لئن خَمَلَتْ بنو عيسى بَرِيًّا بَغَرْتِهِ فلم تَخْتَلِ سُوَيْدًا

قلغنا رأسه بسقى سَمِّ كَلُونِ الملح مَذْرُوبًا جَدِيدًا

فأَوْجَرْنَاهُمْ منه فراحوا وهم يوم السليل نعى شهيدا

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بن قيس الرقيّات :

ذَكَرْتَنِي الديارُ شوقًا قديمًا بين حرَضِي وبين أعلى يَسُومِي

فالسَّليل الذى بمدْفَعِ قرن قد تعفَى إلَّا ثلاثًا جُثُومًا^(١)

وحرَضِي ويسومِي وقرن كلها واقعة فى بلاد عبد الله بن غطفان ، أما قرن وحرَضِي فهما قريبان

من السليل ، وأما يسومِي فهو جبل واقع فى شمالى جبل كَشْب فى حدود بلاد غطفان الجنوبية

(١) يريد بالثلاث الجاثمات أثنافى القدر .

الغربية ، والسليل وقرن وحرصى ويسمى كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وقال أيضاً عبيد الله بن قيس الرقيات :

لا تحمى أن تهجرى ما بقينا أنت بالود والكرامة أخرى
يا ابنة المالكي عز علينا أن تقيى بعد السليل بمضري
كم أجازت من مهمة يترك العيد سن به ظلماً قيكماً وحسرى
أما السليلة : فاسمها جاهلى ، وهو باقى إلى هذا العهد ، قال جرير :

أجمع قلبه طرباً إليكم وهجرأ بيت أهلك واجتنبنا
ووجدنا قد طويت يكاد منه ضمير القلب يلهب التها
سألناها الشفاء فما شفقتنا ومنتنا المواعد والخلا
لشيتان المجاور ديزر أروى ومن سكن السليلة والجنابا
وباب القريتين : قد مضى الكلام عليه ^(١) .

أما ظلم : فهو جبل معروف إلى اليوم بهذا الاسم ، وهو واقع فى جهة نجد فى الجهة الجنوبية وقد أصاب الأصمى فى تحديد موقعه ، حين قال ^(٢) : هو جنوبى الدفينة ، هذه رواية الأصمى ، وهى أصوب الروايات عن ظلم ، لأنه — على ما عرفنا — واقع جنوبى الدفينة ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم ، واقع بين أجدال الحمار وجبيل الأكموم الواقع من بلد المويه فى الجهة الشرقية على مسافة يوم ، وظلم : جبل أسود له قرن مرتفع ، وبقية جباله متصلة به ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، طوله من الشرق إلى الغرب مسافة ساعة للماشى الجدد على قدميه ، وعرضه أقل من مسافة نصف ساعة ، قال النابغة الجعدي يذكر هذا الجبل :

أبلغ خليلي الذى تجهمني ما أنا عن وصله بمنصريم
إن يك قد ضاع ما حملت فقد حملت إنما كالطود من ظلم
أمانة الله وهى أعظم من هضب شرورى والركن من خيم

لما رأينا النابغة قد ذكر هضب شرورى والركن من خيم مع ظلم وجب أن نقول : إن ظلم واقع بين الموضعين اللذين ذكرهما النابغة ، أما هضب شرورى : فهو الهضب الذى يقال له اليوم « هضب الشرار » عند عامة أهل نجد ، وإذا كنت عند ظلم طلعت الشمس على جبل خيم أو عن يساره قليلا ، وإذا غربت تغرب على هضب شرورى أو عن يساره قليلا ، المسافة الواقعة بين ظلم

ظلم

وهضب شرورى تتراوح ما بين أربع ليال أو خمس ، والمسافة الواقعة بين ظلم وبين جبل خيم المسمى اليوم بالحصاة عند عامة أهل نجد تتراوح بين ست ليال أو سبع ، وخيم باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وقد تقدم الكلام عليها في كتابنا هذا .

وأما قول زهير * فاستبدلت بعدنا دارا يمانية - إلخ * فإن من لسان أهل نجد قديما وحديثا أن المتكلم إذا ذكر موضعا واقعا في جنوبى بلده قال « يمان » وإن كان الموضع شمالى بلده قال « شام » وعلى هذا ورد قول زهير في هذا البيت ، لأن ظلماً واقع في جنوبى بلاد غطفان ، وهو في عالية نجد ، لا في اليمن .

١٩ - وقال زهير يمدح هَرَمَ بن سِنان المُرِّي وهذا مطلع قصيدته :

لِنِ الدِّيَارِ بِقَنَةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيْرَهَا بَعْدِي سَوَافِي الْمُورِ وَالْقَطْرِ
قَفَرًا بُمُنْدَفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ صَفَوَى أَلَاتِ الضَّالِّ وَالسَّدْرِ
دَعَا ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْبُدَاةِ وَمَسِيدِ الْحَضَرِ

أما حجر : فقد غلط الأعم في شرحه حيث قال : حجر موضع بعينه ، وهو حجر اليمامة ، فلو أنه اكتفى بقوله « حجر موضع بعينه » لأغناه ، ولم يقع بالزيادة في خطأ ، لأن حجرا وقفته يقعان في بلاد غطفان ، في أعلاها المجاور للحجاز ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو بين الفرع والحاني غير أنه إلى الفرع أقرب قليلا ، وسيل وادى حجر وسيل وادى الفرع يضبان في الحجاز ، وسيول الحاني تندفع إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها ، وحجر في هذا العهد تسكنه حرب ، والفرع لحرب أيضا ، أما الحاني : فهي للعضيان ورئيسهم ابن ثعلبي ، وقد قال الشاعر :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدُنَا أُرُومٌ وَأَرَامٌ فَشَابَةُ فَالْحَضَرِ؟

وهل تركت أبلى سوادَ جبالها وهل زال بعدى عن قَنِينَتِهِ الْحَجَرُ؟

وتأمل في هذين البيتين تجده قد ذكر ستة مواضع مع ما يتبعها من المضاف ، وإن هذه الستة لباقية على أسمائها إلى هذا العهد لم يتغير منها اسم واحد ، وهى : أروم ، وآرام ، وشابة ، والحضر ، وأبلى ، والحجر ، الأسماء الخمسة الأولى يطيف بها الراكب في مسافة يومين ، وأما الحجر وقفانه : فهما واقعان من هذه المواضع في الجهة الغربية على مسافة يومين أو أقل ، وفي الحجر قصور ونخيل ومزارع ومياه كثيرة ، وقراه ثلاث يرى بعضها من بعض ، وكلها واقعة بين وادى الفرع ووادى الحاني .

والنحات : موضع معلوم بهذا الاسم إلى هذا اليوم عند عامة أهل نجد ، فيهم من يسميه « النحات » وفيهم من يسميه « النحيتية » وهي آثار كثيرة واقعة من علم هيتم في الجهة الشرقية ومن النقرة المعروفة بمعدن النقرة في الجهة الشمالية ، وهي معروفة عند جميع الناس إما باسم النحات وإما باسم النحيتية على ما ذكرنا ، وهي التي عنها زهير .

أما صفوى فلم أعر على شيء بهذا الاسم في بلاد غطفان ، وهناك ثلاثة مواضع واقعة في بلادهم أوقربها منها ، يقال لكل واحد منها « صفة » أما الأول ^(١) فإذا خرجت من عفيف قاصداً القاعية وجعلت النير على يمينك كان هو على شمالك ، وأما الثاني فقريب « العسيبيات » في وادي الجريب ، وأما الثالث فواقع في شمالي الجثوم على مسافة ساعة ، وظني أنه الذي عنه زهير لأنه واقع في بلاد غطفان ، وصفوان ذكره تميم بن [أبي بن] مقبل في قوله ^(٢) :
وَطَبَقَ إِيوانَ القَبائلِ بَعْدَ ما كَسا الرِّزْنَ من صفوان صفواً وأَكْدَرَا
وقد يكون الذي ذكره زهير هو ماء الصفوية المشهور اليوم بهذا الاسم ، وهو في وادي يصب سيله في وادي الرمة ، وعنده جبل رفيع يقال له « صفو » واقع في غربي عريق الدسم .

* * *

٢٠ - وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءِ فَيَمُنُّ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ
فَذُوهاشَ فَمِثْ عُرَيْتِنَاكِ عَقْتَهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ وَالسَّمَاءُ
فَذَرَوْهُ فَالْجَنَابُ كَأَنَّ خُنْسَ النَّعَاجِ الطَّائَوِيَّاتِ بِهَا الْعَمَاءُ

الجواء : معروف ، وهو في أعلى القصيم ، وقد تقدم الكلام عليه ^(٣) وعلى المعمور منه .
وأما يمن : فهو ماء ، قال في معجم البلدان ^(٤) : هو على الطريق بين تيماء وفيد . وأنا أقول

(١) الموضع الذي في قول زهير هو « صفوى » بالضاد المعجمة ، لا يختلف في ذلك أحد ، لكنهم يختلفون في ضبطه ، وفي العبارة عن تحديده ، فبعضهم يرويه بسكون الفاء ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ألف مقصورة ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ياء ساكنة ، ثم يختلف هؤلاء فمنهم من يقول : هو مقصور قلبت ألفه ياء وسكنت ، ومنهم من يقول : هو مثني ضفاً ، وضفاً الوادي : جانبه . وفي تحديده يقول ياقوت (٤٣٥ / ٥) مكان دون المدينة . ويقول الأعمى (ص ١٤٦ طبع ليدن) والنحات وصفوى من بلاد غطفان ، وقال ثعلب (٨٧ دار الكتب) :

كل هذه مواضع من أرض غطفان .
(٢) انظر معجم البلدان ٥٠ / ٣٦٩

(٣) انظر ص ٢٥ من هذا الكتاب (٤) انظر معجم البلدان ٨ / ٥٢٤ .

غير ذلك ؛ لأننى قد وردته فى سنة ١٣٤٠ هـ ، بعثنى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عاملا إلى هتيم فوردته ، وهو ماء واقع بين جبلين و بين خيبر وتيماء فى بلاد عنزة مقابل للحفيرة التى عمرها الأيدى العنزي فى هذا العهد ، وقد استشهد صاحب معجم البلدان عليه ببيت زهير الذى ذكرناه ، وبشطر بيت لم يسم قائله وهو :

* ولو حلت بيمن أو جبار *

ويمن باقى بهذا الاسم عند عامة أهل نجد .

أما القوادم : فإن جميع العرب من الزمن القديم إلى هذا العهد يطلقون هذا اللفظ على أطراف الجبال ، كما يطلقون على أطراف السكبان لفظ « الالوى » فأطراف الجبال إذا انقطعت فى السهل يقال لها « القوادم » وأهل نجد يقولون لوجه الجبل « المقدمة » إذا أفردت ، وإذا جمعت قالوا : « قدام ، وقوادم » وزهير ذكر القوادم التى بين يمن والحساء .

أما الحساء فى هذا البيت فهو حساء المدينة ، وهو غير « الحسى » الواقع فى بلاد غطفان ، وحساء المدينة : هو الذى قال فيه عبد الله بن رَوَاحَة الأنصارى رضى الله عنه :

إذا بُلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسَافَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فَشَأْنُكَ وَالْخَلَا وَخَلَاكَ ذَمٌّ فَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأَى

فقتل رحمه الله فى تلك الغزوة ، وهى غزوة مؤتة التى قُتِلَ فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم .

أما ذوهاش فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا واديا فى بطن شَعْبِى الجبل المشهور فى حِمَى ذوهاش ضَرِيَّة يقال له اليوم : « مهاش » زادوا فيه ميا فى أوله ، ولم أرفى كتب المعاجم لهذا الموضع ذكرًا يشتمل على تحديده ، غير أن صاحب معجم البلدان^(١) قال : هو موضع ، واستدل ببيت زهير ، ورأيت فى قول الشماخ شطر بيت : * فَأَيَقَنْتُ أَنْ ذَا هَاشٍ مَنِيقُهَا *

وأما عريقتات : فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا موضعا واحدا سقطت من اسمه التاء الأولى وهو واد فى جبل النير يقال له : « أبو عريقات » يصبُّ فى وادى بحار ، ويندفع سيلهما إلى الرشا ، وأظن أن هذا الوادى غير الذى عناه زهير ، وبعد أن رأيت الشواهد والأخبار الواردة عن هذا الموضع جَزَمْتُ أنه واقع فى عقيق المدينة أو قريبا منه .

والميثاء فى اللغة هى : الرملة أو البُرْفَة ، وميث عريقتات : إمارتها أو بُرْقَتُهَا ، قال على ميث عريقتات ابن أبى جحفل^(٢) :

أَتَزَعُمُ يَوْمَ الْمِيثِ عَمْرَةَ أَنْتَى لَدَى الْبَيْنِ لَمْ يَغْرِزْ عَلَى اجْتِنَابِهَا
وَأَقْسَمُ أَنْسَى حَبَّ عَمْرَةَ مَا مَشَتْ وَمَا لَمْ تَرَمْ أَجْزَاعَ ذَى الْمِيثِ لَا بِهَا
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ يَذْكُرُ عَرِيَقَاتَ :

وَإِذْ صَفَرْتَ عِيَابُ الْوَدِّ مَنَا وَلَمْ يَكْ يَبْنِفْنَا فِيهَا ذِمَامُ^(١)
فَإِنْ الْجَزْعُ جَزَعُ عَرِيَقَاتِ وَبَرَقَ عِيَهُمْ مِنْكُمْ حَرَامُ
سَنَمْنَعُهَا وَإِنْ كَانَتْ بِلَاداً بِهَا تَرْبُو الْخَوَاصِرُ وَالسَّنَامُ

وهذا الشاعر قرَنَ عَرِيَقَاتَ بِبَرَقَ عِيَهُمْ ، وَبَرَقَ عِيَهُمْ مشهورة ، وهى الحد الفاصل بين بلاد غطفان ونواحي المدينة ، وجبل عيهم : معروف اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهو واقع فى أعلى بلاد غطفان ، والجِوَاء واقع فى شرقها ، وقد قال جابر بن حنّى التغلبى^(٢) :
أَقَامَتْ بِهَا بِالصَّيْفِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الْجِوَاءِ فَعِيَهُمْ
وَالجِوَاءِ وَعِيَهُمْ : فى بلاد غطفان .

نرجع إلى ذكر عَرِيَقَاتَ - هذه عبارة معجم البلدان^(٣) : قال ابن أبى الزناد : كُنَّا لَيْلَةً عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْعَلَوِيِّ نَصَفَ اللَّيْلِ جُلُوسًا فِي الْقَمَرِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَوْمئِذٍ عَامِلَ الْمَنْصُورِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَعَنَا أَبُو السَّائِبِ الْخَزَوِمِيُّ ، وَكَانَ مَشْغُوفًا بِالسَّمَاعِ ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا طَبَقٌ فِيهِ فَرِيكٌ وَنَحْنُ نَصِيبُ مِنْهُ ، فَأَنشَدَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ قَوْلَ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَجَعَلَ يَدُّ بِهِ صَوْتَهُ وَيَطْرِبُهُ :

مُعَرَّسُنَا بِيَطْنِ عُرَيْقَاتٍ لِيَجْمَعُنَا وَفَاطِمَةُ الْمَسِيرُ
أَتَنْسَى أَنْ تَعَرَّضَ وَهُوَ بَادٍ مُقَلِّدُهَا كَمَا بَرَقَ الصَّبِيرُ
وَمَنْ يُطِيعِ الْهَوَى يُعْرِفْ هَوَاهُ وَقَدْ يُنْبِيئُكَ بِالْأَمْرِ الْخَبِيرُ
أَلَا إِنِّي زَفَرْتُ غَدَاةَ هَرَشِي وَكَادَ يَرِيهِمْ مَنِ الزَّفِيرُ

قال : فأخذ أبو السائب الطبق فوحش به إلى السماء ، فوقع الفريك على رأس الحسن ابن زيد ، فقال له : مالك ؟ ويلك ! أجنفت ؟ فقال له أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعدت إنشاد هذا الشعر ، ومددت كما فعلت ، فضحك الحسن ابن زيد وردد الأبيات ، فلما خرج أبو السائب قال لى : يا أبا الزناد ، أما سمعت مدّه حيث قال : * وَمَنْ يُطِيعِ الْهَوَى يُعْرِفْ هَوَاهُ ؟ * قال : نعم ، قال : لو أعلم أنه يقبل مالى لدفعته إليه بهذه الأبيات

(١) العياب : جمع عيبة ، وأصلها الوعاء يضع فيه المسافر متاعه ، وفى المعجم « عتاب » محرفا

(٢) المعجم ٦ / ٢٥٩ وما بعدها (٣) المعجم ٦ / ١٦١

ذروة : هضبة حمراء فاصلة بين بلاد غطفان و بلاد بنى أسد ، وهى لبنى مرة بن عوف ، قال
صخر بن الجعد :

بَلَيْتُ كَمَا يَمِيلُ الرِّدَاءُ وَلَا أَرَى جَنَابًا وَلَا أَكْنَفَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ
وزهير قرن ذروة بالجَنَاب ، وهذا الشاعر قرنهما أيضاً ، وقد غلط أناس فى ذكر ذروة التى
عفاها زهير ، فهى - كما قلنا - الواقعة بين بلاد غطفان و بلاد بنى أسد ، وهناك ذروة جبل آخر فى
جبل علية من اليمامة ، قال الصمة بن عبد الله القشيري وهو من أهل تلك الناحية ^(١) :
خَلِيلٌ قَوْمًا أَشْرَفَا الْقَصْرَ فَانْظُرَا بِأَعْيَانِكُمْ هَلْ تُؤْنِسَانِ لَنَا نَجْدًا
وإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ عَلَوْنَا عَلَوَّهُ وَنَشْرَفُ أَنْ نَزْدَادَ وَيُنْحَكَمَا بُعْدًا
نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِذِرْوَةِ نَظَرَةٍ فَلَوْ لَمْ تَقِضْ عَيْنَايَ أَبْصَرْتَنَا نَجْدًا
إِذَا مَرَّ رَكْبُ الْمُصْعِدِينَ فَلْيَتَنَّى مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُصْعِدِينَ لَهُمْ عَيْدًا
ولصليحي فرس يقال لها ذروة ، قال من قصيدة له يصف خيله :

وطالعت ذروة منهم عادية وانصاعت الشيعة الشنعاء شرًا إذا
أما الجَنَاب فأنْتَ ترى زهيرًا قد عطفه على ذروة ، ولا يكون إلا قريبًا منها ، وقال ابن هرمة الجَنَاب
وهو شاعر مدنى ^(٢) :

فَاضَتْ عَلَى إِزْهِمِ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا يَنْبِيعُ يَجْرِى اللَّوْلُؤُ النَّسَقُ
فَاسْتَبَقَ عَيْنَكَ لَا يُؤْذِ الْبُكَاءُ بِهَا وَأَكْفَفُ بَوَادِرَ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجَفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ
رَاعُوا فُؤَادَكَ إِذْ بَانُوا عَلَى عَجَلٍ فَاسْتَرْدَفُوهُ كَمَا يُسْتَرْدَفُ النَّسَقُ
بَانُوا بِأَدْمَاءٍ مِنْ وَحْشِ الْجَنَابِ لَهَا أَحْوَى أَخْيَنَسُ فِي أَرْطَاتِهِ خَرَقُ
هذا الجَنَاب الذى ذكره إبراهيم بن هرمة هو الجَنَاب الذى ذكره زهير بعينه ، وهو غير
الذى ذكره سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِي حيث قال :

تَذَكَّرْنِي قَدِيسًا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَمَا اللَّيْلُ مَا لَمْ أَلْقَ قَيْسًا بِنَائِمٍ
تَحْمِلُ مِنْ وَادِى الْجَنَابِ فَنَاشِنِي بِأَجْمَادِ جَوٍّ مِنْ وَرَاءِ الْخَضَارِمِ
وأنا أعرف الجَنَاب الذى ذكره سُحَيْمُ وجوا والخضارم ، وكلها باليمامة ، أما جو فهو باقى
بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والخضارم هى « الخضرمة » الواقعة فى اليمامة ، وأما الجَنَاب : فهو ماء

في عرض جبل كأنه عين ، يَرِدُه السالك من المراحمة البلد الواقعة قريبَ جَوِّ إلى بلد الحريق ، واقع في وادى نساح في جنوبيه الغربى ، إذا سلكت الطريق قاصداً الحريق انجهدت إلى جهة الجنوب حتى تأتى آخر أودية نساح ، فتتخرج إلى جهة الغرب ، وتسير مسافة ساعة أو أكثر قليلاً ثم تلتفت على شمالك ، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها خضرة كروم ، أصولها شارعة في الماء ، وأنا قد وردته ، وهو باقى باسمه إلى هذا العهد ، ولكنه صغر ، يقال له « جنب » فإذا وردت جنبها وسرت قاصداً الغرب أو بينه وبين مطلع سهيل تسير ساعتين ثم تطلع العقبة التى تُفْضَى إلى وادى بريك الذى فيه بلد الحريق ، وهذه العقبة قد مضى الكلام عليها في أشعار امرئ القيس ، وهى التى يقال لها « مرقان » وذكرناها على بيت امرئ القيس في نونية^(١) :

وما حاج هذا الشوق إلا منازل دوارس بيت يذبل فرقان
وقلنا : إنه أبدلت فاؤه ميا ، وأعرف واديا ينصب من غربى جبل كشب إلى شربه يقال له
« جنب » به ملزم ماء ترده الأعراب يقال له « غدير الجنب » ينصب على ماء الريمة المنهل المشهور في شرق كشب .

* * *

٢١ - وقال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّالِمَانِ جُوجُوهُ هَوَاءِ
أَصَكَّ مُصَلِّمَ الْأَذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسِّىِّ تَنُومٌ وَآءِ

أما السى فقد مضى الكلام عليه في بيت^(٢) زهير :

جُونِيَّةُ كَحَصَاةِ الْقَسَمِ مَرَّتُهَا بِالسِّىِّ مَا تَنْبِتُ الْقَفَاءَ وَالْحَسَكُ

* * *

٢٢ - وقال زهير :

تَرْبَعٌ صَارَةٌ حَتَّى إِذَا مَا فَنِ الدُّحْلَانُ عَنْهُ وَالْإِضَاءُ
تَرْبَعٌ بِالْقَنَانِ وَكُلُّ فَجٍّ طَبَاهُ الرَّعْيِ مِنْهُ وَالْخَلَاءُ
فَأَوْرَدَهَا حِيَاضَ صُنَيْبِيَعَاتٍ فَأَلْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ مَاءُ
فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهِيَ تَهْوَى هُوَى الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ

أما صارة : فهى هضبة من هضاب الجواء ، وقد مضى الكلام عليها^(٣) . وأما الدحلان :

(١) انظر ص ١٠٩ من هذا الجزء (٢) انظر ص ١٢٨ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٢٧ و ١٢١ من هذا الجزء .

فهى ملازم ماء يقال لها « الدحول » صدوعٌ تُمسك الماء إذا جاء السيل ، وقليل أن لا يوجد فيها الماء ، وهو أسم شامل لكل دحل ، ولا توجد إلا فى الجهات الشرقية من الدهناء .

الإضاء : يطلق على ملازم الماء الذى يسمى اليوم الغدير .

القنّان : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرئ القيس ^(١) .

صنبيعات : موضع ، ولا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهو — على ما قالوه — واقع فى بلاد

غطفان ، قال رجل من بنى حنيفة * هيهات حجر من صنبيعات *

فهذا الراجز الحنفى تذكر بلده حُجر اليمامة وهو فى صنبيعات ، قال فى معجم البلدان : هو ماء نهشت عنده حمة ابناً صغيراً للحارث بن عمرو الغسانى ، وكان مسترضعاً فى بنى تميم ، وبنو تميم وبكر فى مكان واحد يومئذ ، وظن الحارث أنهم قتلوا ابنه غيلة ، فأتاهم الحارث ، فأتاه منهم قوم يعتذرون إليه ، فقتلهم جميعاً ، وأورد صاحب معجم البلدان بيت زهير المذکور شاهداً عليها .

* * *

٢٣ - وقال زهير :

فَلَيْسَ حَاقَهُ كَلْحَاقِ إِنْفٍ وَلَا كَنْجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءٌ
يَغْرُدُ بَيْنَ خُرْمٍ مُفْضِيَاتٍ صَوَافٍ لَمْ تُكَدِّرْهَا الدَّلَاءُ ^(٢)
يَفْضُلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ ^(٣)

الخرم : مواضع معلومة ، اسمها هذا جاهلى مما يلى بلاد غطفان ، وتعرف فى هذا العهد : الخرمى وخريمان ، سميت بذلك لكثرة اجتماع السيل فيها وتخزيمه ، وهى تجمع سيل عالية نجد ، جميعٌ سيولها تصب فى الرشاء ، وتندفع جميعاً متجهة إلى جهة الشمال الشرقى ، ثم تجتمع فى هذا الموضع الذى يقال له : الخرمى وخريمان . والرشاء : وادٍ عظيم من أعظم أودية نجد ، واسمه هذا جاهلى قديم ، قال عوف بن عطية :

يقود الجياد بأرسانها يَصْعَنَ بِيْطَنَ الرِّشَاءِ الْمَهَارَا

وتسميه عامة أهل نجد اليوم « وادى الرشا » تصب فيه سيول جبل شهلان بأجمعها ، وأعظم تلك الأودية « وادى الشعري » تنجذب سيوله من قريب مجبرات وحُدُنّة ، وفى هذا الموضع يومٌ من أيام العرب بين بنى ضبة وبنى نُمَيْر ، فكان لبني ضبة ، وهو الذى يقول فيه المكعب الضبى :

(١) انظر ص ٣٠ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعلام ، وروى ثعلب « يغرد بين خرم

مفرطات » (٣) رواية ثعلب « يفضلُهُ إِذَا اجْتَهَدَتْ »

دارت رحانا قليلا ثم صبحهم ضرب تصيح منه جلة الهام
ظلت ضباع مجبرات يلذن بهم وألجوهن منهم أى إحام
حتى حذنة لم يترك بها ضبعا إلا له جزر من شلو مقدم

وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٢٦٩ هـ ، بين عتيبة وقحطان ،
رئيس عتيبة تركي بن حميد ويعضده من رؤساء عتيبة رؤساء من الروقة وغيرهم ، ورئيس قحطان
محمد بن هادي بن قرملة ، فكانت الهزيمة على قحطان ، وانقصر العتيبان . وفي ذلك الموضع
سنان يسمى اليوم « سنان الطراد » لعظم تطارد الخيل فيه ، ولم يُسم بهذا الاسم إلا بعد تلك
المعركة ، ويصب في ذلك الوادي وادي دلعة البلد المعروفة لجماعة من الدعاجين ، ورئيس هذه الجماعة
ابن عقيل ، وهم يقال لهم « ذوو خيوط » ثم يندفع متجها جاعلا جبل نهلان عن يمينه ، ثم يجتمع
بالرشاء مع أودية نهلان ، ثم تتجه كلها إلى الشمال الشرق ، ثم تصب فيه أودية جبل النير ، فما
كان في جهة النير الشرقية من الأودية فإنه يصب في وادي بحار ، وتتجه إلى الشمال الشرق
فتصب في وادي طينان ، وهو الوادي المعروف على طريق السيارات المتجهة من مكة إلى الرياض
إذا خرج السالك من ماء القاعية وسار ثلث ساعة مر في هذا الوادي إذا كان في سيارة ، وإذا
كثرت الأمطار وجرت الأودية يحجز الماشي على جنباته حتى يحف ، وهو متجه بعد ما يصب فيه
وادي جفني قاصداً خنوقة ، وبها ملازم ماء ، وتجتمع عليها البوادي ، ثم يتجه بعد ما تجتمع به
أودية خنوقة وما حولها قاصداً الرشاء ويصب فيه بعد ما تجتمع بالرشاء أودية نهلان والشعري
والرمادية ، وأودية النير الشرقية المجتمعة في وادي بحار ، تأتيه سيول النير من جهته الشمالية :
وادي الرميثي وغيره ، ثم تجتمع تلك السيول في غداة وتعرج إلى جهة خنوقة ، ثم تجتمع بسيول
النير الشرق الذي مر ذكره ، ويصب في وادي الرشاء قبل ماء الرشاوية ، وعند هذا الماء التجمت
عتيبة وحرب ، وأمد حربا مطير ، وتقاتلوا في ضفة وادي الرشاء الشمالية ، ودارت بينهم معارك في
سنة ١٣٢٧ هـ بعد معركة شق فيها بيت ابن هندي ، وانتهت هذه المعارك بقتل رئيسين من عتيبة :
أحدهما ولد جهجاة بن حميد ، والثاني : عالي الفجري ، وكلاهما من قبيلة المقطة ، وقتل رئيسان من
مطير : أحدهما أبو عبيد الدويش ، والثاني طلال بن هدبا ، وتفرق القوم بعد ذلك ، وهذه الأودية
المذكورة هي أحسن البلاد لمرعى الإبل ، ثم بعد ماء الرشاوية المتقدم ذكره يأتي سيل الوادي
العظيم الذي يقال له « جهام » مع ما اجتمع إليه من جميع الأودية ، وبعد اجتماع سيوله يصب في وادي
الرشاء جنوبى النبوان الماء المعروف في الرشاء ، وبعد اجتماع تلك السيول تمجه بمجرى وادي

الرشا ، ثم تأتيتها أودية مصدة بليد الروسان المعروفة شمالى الدوادى ، ووادى أفقرى ، ثم تبعه جميعا فى مجرى هذا الوادى المذكور ، ثم تأتيتها سيمول عرجى والنشاش ، وتصب فى ذلك الوادى .
ومن عجيب المصادفات أنه قد كان فى بحيرة وحُدنة يوم بين عرب الجاهلية ثم كان بين متأخرى العرب فى هذا المكان يوم أيضاً ، وقد ذكرنا هذين اليومين ، وهذا وادى عرجى والنشاش ، كان فيهما يوم من أيام العرب فى الجاهلية بين بنى حنيفة وبنى عقيل ، انهزمت فيه بنو حنيفة ، فقال شاعر بنى عقيل :

فلو سئلت عنا حنيفة أخبرت بما لقيت منا بجمران صيدها

وفى هذا الموضع بعينه كان يوم عظيم للعرب المتأخرين فى سنة ١٣١٣ هجرية بين حرب وعتيبة رئيسا حرب من بنى على صنيقتان الفرم وعبد الله الفرم ، ورئيس عتيبة محمد بن هندى بن حميد رئيس المقطة ، ومعه رؤساء من قومه عتيبة ، وكانت الهزيمة على حرب بعد معركة دارت من الصبح إلى بعد الظهر ، وعدد حرب يومئذ على الأكثر ربع العقبان ، فكان هذا مصداق قول العامة « الكثرة تغلب الشجاعة » .

ثم تبعه تلك السيمول وترفدها سيمول جبلة ، ثم تسير وقد جعلت فى شمالها جبلة المشهورة فى عالية نجد الشمالية ، ثم تصب فى الرشاء ، ومن تلك الأودية شغب جبلة المشهور وكان فيه يوم عظيم بين بنى عامر ومعهم أنصارهم من فزارة ، وبين بنى تميم ومعهم أنصارهم من ذبيان وبنى أسد وهو من أعظم أيام العرب ، انهزمت فيه بنو تميم ومن والاه ، وفى ذلك اليوم سيقى الإبل للقتال وهو أول يوم سيقى فيه إبل للقتال ، وسوقها على بنى تميم برأى قيس بن زهير العبسى ، وقتل فى ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بنى تميم ، واختلقوا فى قاتله ، ويقال : إنه شريح بن الأصوص العامري ، وكان بنو عبس يضر بونه وهو ميت ، وقد استدلوا على قتله بقول ابنة لقيط حين ^(١) قالت :

ألا يالها الويلاتُ ويلةً من هوى بضرب بنى عبس لقيطاً وقد قضى
لقد عفروا وجهها عليه مهابةً ولا تحفل الصم الجنادلُ من ثوى
وما ثاره فيكم ولكن ثاره شريح أرادته الأسنة والقنا

وهذه الواقعة العظيمة كانت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل ميلاد النبى صلى الله

عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، قال رجل من بنى عامر :

لم أر يوماً مثل يوم جبلة لما أتتنا أسد وحنظلة

وَعَطْفَانُ وَالْمَلُوكُ أَرْفَلَهُ نَضْرِبُهُمْ بِقُضْبٍ مُنْتَحِلَةٍ
وقال ليبيد بن ربيعة العامري في ذلك اليوم وهو مخضرم :

مناحاة الشعب يوم تواعدت أسد وذيان الصفا وتميم
فارتث جرحاهم عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم
قومي أولئك إن سألت بخيمهم ولكل قوم في النوائب خيم
وإذا تواكلت المقائب لم يزل بالنفر منا منسر وعظيم

هذا اليوم المشهور في الجاهلية ، وهنا يوم قريب العهد بين العرب في سنة ١٣٤٨ هـ ، بين قبيلة عتيبة برقأ والروقة ، رئيس برقأ مقعد الدهينة النفيعي ، ومعه جماعة من رؤساء برقأ ، ورئيس الروقة عمر بن ربيعان ومعه قوم من رؤساء الروقة ، فدارت المعركة بين الفئتين ، فانهزمت برقأ بعد قتال ، وانتصر الروقة في ذلك اليوم ، وهؤلاء من بقايا بني عامر التي انتصرت على بني تميم في ذلك الموضع ، وهذا الموضع المذكور في جيلة هو الذي كانت به الوقعة الأولى والوقعة الثانية .

ثم توجه سيول الرشا جاعلة جبلة على شمالها ، ثم يأتيها وادي نفي ووادي الهيشة من جهته عود إلى ذكر الحرم الشمالية ، ويأتي وادي جمران وما والاها من الأودية في الجهة الجنوبية ، ثم توجه السيول إلى جهة الحرمي وخريمان التي ذكرها زهير في بيته ، وتمر بواردات ، وتحفها السيول من جهتها الشرقية ، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب في الجاهلية ، قتل فيه بجير بن الحارث بن مرة ، فقال مهلهل :

أَلَيْتَنَا بَذَى حُسَيْمٍ أَنْبَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرَى
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَال لَيْلَى فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

وكان في هذا الموضع معركة في سنة ١٣٤٨ هـ بين عرب مطير - وهم من بقايا بني عبد الله ابن غطفان - ورئيسهم ابن ظمنة ومعه رؤساء من بطون مطير ، وبين قبيلة الروقة ، ورئيسهم عمر ابن ربيعان ، ومعه رؤساء من الروقة ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير وانتصار الروقة .

وهذا الجيش الذي فلّ مطيرا هو الذي فلّ جيش الدهينة في جبلة ، وليس بين المعركتين إلا ثلاث ليال تقريبا ، وهذه الانتصارات بمساعدة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وهمته وتديبره فإذا اجتمعت سيول الرشا في ذلك الموضع اتجهت إلى الحرمي وخريمان ، وهما أرض متسعة واسعة الجنبات تجتمع فيها تلك السيول وتحير فيها .

أما الصوافي التي ذكرها زهير حين قال في شطر البيت : * صَوَافٍ لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ * الصوافي فهي مناهل معلومة واقعة في الخرمى وخريمان يقال لها دهيما والبقية وربيق والملقى ، كلها آبار في تلك الناحية في الخرمى وخريمان ، وهي واقعة جنوبي رامة المشهورة في جنوبي وادي الرمة ، وغربي كئيب الشقيقة الذي يمتد شمالا إلى بلد عنيزة ، وهناك وادٍ يقال له المخرم يضرب سيله في وادي الرمة في جهته الشمالية . وهذا الوادي - والذي قبله - واقع في بلاد غطفان ، على حدودها الجنوبية ، وهناك روضة شرقي العرمة يقال لها « روضة خريم » ينزل بها جلالة الملك عبدالعزيز أيام الربيع ، وليست التي عنها الشاعر ، لم يقصد إلا أحد الموضعين : الخرمى ، وخريمان . أو وادي الخرم ، وكلا الموضعين في بلاد غطفان أو قريب منهما .

يعلم قارىء هذه الأحرف أن نجدا محبوبة عند أهلها ، لما مررنا على بيت زهير الذي يقول فيه :

يغرُدُ بين خُرْمٍ مفضيات صَوَافٍ لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ

وذكرنا السيول التي تصب في الرشا ، ومررنا على أربعة مواضع لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ، ففي أربعة المواضع ثمانية أيام من أيام العرب : أربعة في الجاهلية ، وأربعة قريبة العهد ، الأول منها في القرن الثالث عشر وهو بين ابن هادى وبين تركى بن حميد ، وهو الذى في مجبرة وحذنة . وأعرف ثلاثة سواه : أحدها الذى في عرجى والنشاش بين عتيبة وحرب ، والثانى : في جبلة بين عتيبة برق والروقة ، والثالث : في واردات ووضاخ بين مطير وعتيبة ، وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها ، وهى معلومة في نجد . وأما الذى في القرن الثالث عشر بين ابن هادى وابن حميد فحدثني عنه والدى عبد الله بن بليهد ، لأنه عمر واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فكره شيء ، ولا من حديثه ، وثلاث سنين لا يدرى عن شيء حتى انتقل إلى رحمة الله . رحمة الله عليه ! ومواضع المعارك : الموضع الأول بين تيا ومجبرات وحذنة ، وفيه معركتان ، والثانى : في وادى عرجى والنشاش ، وفيه معركتان أيضا ، والثالث : في جبلة ، وفيه معركتان ، والرابع بين وضاخ وواردات ، وفيه معركتان ، فهذه ثمان معارك كلها عظام ، ونحن في مجرى وادى واحد من هذه المواضع ، وهذه المعارك في نجد بين أهلها ، فإذا يكون لو طمعت فيها الأعداء .

* * *

٢٤ - وقال زهير :

كَانَ سَحِيلُهُ فِي كُلِّ نَجْرٍ عَلَى أَحْسَاءَ يَمْوُودٍ دُعَاءُ

فَاقْصَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَلِيمٌ عَلَى عُلِيَاءَ لَيْسَ لَهُ رِذَاءُ

يمؤود : فلا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، ولكنه يحتمل أن يكون واديا في بلاد غطفان ، لأنه ذكره الشماخ في شعره ، وهو من شعراء تلك الناحية ، وذلك حين قال :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسْمِ يَمُودٍ حِينًا وَكُلُّ جَدِيدٍ بَعْدَهُ مُودِي
دَارُ الْفَتَاةِ الَّتِي كُنَّا نَقُولُ لَهَا يَا ظَبِيَّةَ عَطْلًا حُسَانَةَ الْجَمِيدِ

* * *

٢٥ — وقال زهير يمدح هرم بن سنان المري :

لَمَنْ طَلَّلَ بِرَامَةَ لَا يَرِيحُ عَفَا وَخَلَا لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ
تَحَمَّلَ أَهْلُهُ مِنْهُ فَبَانُوا وَفِي عَرَصَاتِهِ مِنْهُمْ رُسُومٌ

رامه : أ كشيبة متراكمة ليست بالكثيرة ، باقية بهذا الاسم ، معروفة عند جميع أهل نجد ، وهي منقطع أ كشيبة الشقيقة مما يلي الغرب ، وشرقي الأ كشيبة متصلة إلى بلد عنيزة ، وغربها يمتد إلى جهة الرس البلد المعروف في أعلى القصيم ، وطرف الأ كشيبة الغربية المقابلة للرس هي التي تسمى بهذا الاسم ، وهي قريب وادي عاقل الذي تقدم ذكره ، وقد ذكرت شعراء العرب ، قال جرير :

حَيَّ الْغَدَاةَ بِرَامَةَ الْأَطْلَالَا رَسْمًا تَقَادِمُ عَهْدُهُ فَأَحَالَا
إِنْ السَّوَارَى وَالْغَوَادَى غَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مَخْتَرَفًا بِهِ وَجَحَالَا
لَمْ أَلْقَ مِثْلَكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مَنْزِلَا فَسَقِيتُ مِنْ سَبِيلِ السَّمَاءِ سَجَالَا
أَصْبَحْتُ بَعْدَ جَمِيعِ أَهْلِكَ دِمْنَةً قَهْرًا وَكُنْتُ مَحَلَّةَ مَحَالَا
وقال بشر بن أبي خازم في ذكر رامه :

عَفَتْ مِنْ سَلِيمِي رَامَةً فَكَشِيهَا وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى وَشُعُوبُهَا
وغيرها ما غير الناس قبلها فبانت وحاجات النفوس تصيبها

* * *

٢٦ — وقال زهير :

يُلْحَنُ كَأَنَّهُنَّ يَدَا فِتَاةٍ تُرْجَعُ فِي مَعَاصِمِهَا الْوُشُومُ
عَفَا مِنْ آلِ لَيْلَى بَطْنُ سَاقٍ فَأَكْشِبَةُ الْعَجَالِزِ فَالْقَصِيمُ
تَطَالَعْنَا خِيَالَاتُ لِسْلَمِي كَمَا يَتَطَلَّعُ الدِّينُ الْغَرِيمُ

لعمركم أبيك ما هرم ابن سلمى بملحي إذا اللؤماء ليموا

ساق : واقع في الجواء معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، ومنهم من يسميه « ساق الجواء » وهو منفرد من جبال الجواء ومن جبال الموشم ومن صارات ؛ وهو أسود ، ليس بالكبير شاق إلى السماء ، في أرض متسعة ، وأنا قد رأيته مرارا كثيرة في أسفاري ، قال الخطيئة :
نظرتُ إلى فوت ضحيا وعبرتي لها من وكيف الرأس شن وواشل
إلى العير تحدى بين قو وضارج كما زال في الصبح الأشياء الحوامل
فأتبعهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل
وقد غلط من قال إن ساق الفريد غير ساق الجواء وهذا هو الخطيئة قد ذكره باسم « ساق الفريد » لأنه منفرد ، والدليل على أنه يعني ساق الجواء أنه ذكر معه موضعين - وهما قو وضارج - وهما واقعان في ناحيته .

والعجازل : واقعة في جهة القصيم ، وذكروا أنها قريب النباج ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد ، وهي أكتبة ، قال ذو الرمة :

وقن على العجازل نصف يوم وأدين الأواصر والخيالا

القصيم : هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، واقع في القطعة الشمالية من نجد ، عامر ، كثير القرى والنخيل والمزارع ، تبلغ قراه وخبويه والمواقع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية ، ومدنه : بريدة ، وعنيزة ، وبلد الرس . حده الجنوبي بلد المذنب ، وحده الشمالي بلد القوارة ، وحدوده الشرقية النباج الذي يسمى اليوم الأسياح ، وحدود الأسياح الشمالية : حنيظل ، وأبو الدود ، والقيصومة ، وحدود الأسياح الجنوبية : الجعلة ، والنبقية . وحدوده الغربية شماليها : وثال ، وعميون الجواء ، والروض ، وجنوبيها : الرس وما حوله ، قال أهل اللغة عن سبب تسميته القصيم : إنه أكتبة متقصمة تنبت الغضى ، قال محمود شكركي الآلوسی : سمى القصيم ، لأنه قصيمات رمل متقطعة ، وهو يشقه طريق الحاج من البصرة إلى مكة نصفين ، وهو الفاصل بين جبلي طي وحایل وقراها وبين عارض النيامة وقراه ، ووشم اليمامة الذي عاصمته بلد شقري واقع في النصف من الطريق بين القصيم والعارض ، أنشد ابن السكيت في ذكر القصيم :

ياربها اليوم على مبين على مبين جرد القصيم

وفيه معارك في الجاهلية والإسلام ، قال زيد الخيل الطائي :

وَمَحْنُ الْجَالِبُونَ نَسَاءً عَبَسَ إِلَى الْجَبَلِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَصِيمِ

فَكَانَ رَوَّاحُهَا لِلْحَى كَعْبٍ وَكَانَ غَدَوْهَا لِبَنِي تَمِيمٍ

وتنتهى إليه سيول الرمة إذا حجزتها الأكتبة الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً ، وإذا حجزته تلك الأكتبة ينعرج على يمينه ويجمع في روضة الزغبية المشهورة شرق عنيزة ، وهي موضع القريتين المذكورتين في الزمن القديم قريب النجاج ، وذكروا أن أسفل وادي الرمة تحير فيه المياه ويكون به وباء من الحمى لكثرة المياه ، قال أعرابي يذكر وباء القصيم وكثرة القتال فيه :
إن القصيم بلد محجة أنكد أفى أمة فامة

وفي سنة ١٢٩٥ في رجب منها جاء آل عاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبد الرحمن ابن حشر ، فدخلوا في أكتبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلد عنيزة ، وهي حمى لأهل عنيزة يرعون الإبل والأغنام ويمنعون السكلاً لسوانيمهم التي تسقى الزرع ، فدخلوا في ذلك الحمى ، وأرسل إليهم أهل عنيزة أن أذهبوا عنا وعن بلادنا والقلادة واسعة ، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بنى وتجبر على أهل القرى وتطاول ، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس البلد زامل بن سليم ، وكان بها قاضٍ يقال له على آل محمد متخرج على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين^(١) فجاءه أمير البلد وقال له : أيها القاضي ، إن هؤلاء الأعراب قد طغوا وتجبروا علينا يضر بون من وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من الرعاة وغيرهم ، وقد آذونا ، فهل يحل لنا أن نفرزهم ؟ قال : نعم ، فتأهبوا للغزو وخرجوا يوم الأربعاء ، فلما خرجت الراية مع صاحبها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية ، فأمر رئيس الجيش زامل بن سليم القوم أن ينزلوا ، فرجع إلى القاضي فقال له : إنا خرجنا في هذا اليوم يوم الأربعاء ، وهو مكروه عند العرب ، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت ، فماذا ترى ؟ أنقيم اليوم ونفرز غداً نهـار الخميس ؟ فقال الشيخ : خذوا رحماً سالماً وأصلحوا رايـتكم واغزوا على بركة الله ؛ فإنه لا خير إلا خيره ، ولا طير إلا طيره ، وليس عند الأيام خبر ، فمشوا من حينهم والعدو قريب مسافة يوم وكان في بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان الممغزوين ، فقال لابنته : اذهبي إلى قومنا في جوف الليل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريباً ، وكانت ابنته ذات جمال ، فلما وصلت

(١) وكان أبو بطين قاضياً في عنيزة ، فكان ينييه في غيابه ، فتولى قضاء عنيزة من سنة ١٢٦٩ هـ إلى أن توفي سنة ١٣٠٤ هـ ، وهو من قبيلة الأساعدة أهل الزلفي ، وبلده علقه من قرى الزلفي ، انتهى مصنف ، وقحطان إذ ذاك يشربون ماء دحنة الهجرة المعروفة اليوم لحرب .

إلى نادى آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقفت على النادى ثم قالت : إن أبى أرسلنى إليكم يقول : إن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذرکم فإنى لم آتكم بنفسى خوفاً أن يغضب على جيرانى ، وأرسلنى لأخبركم ، فضحكوا ، والتفت بعضهم إلى بعض ، فقال بعضهم : هذا النذير أحسن ما يفعله به أن يزغب^(١) فهم فى ضحكهم وتهكمهم بها إذ طلعت عليهم جيوش أهل عنيزة فقتلهم قتل عظمية أصابت من آل حشر الرؤساء أحد عشر قتيلاً ، منهم : الرئيس حزام بن حشر أبو فيصل بن حشر الرجل المشهور فى معية جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفيصل المذكور فارس من رمة أهل نجد المشهورين ، هلك سنة ١٣٥٨ هـ تقريباً ، فانهزم القحطانيون ، ودفنوا قتلاهم ، وحملوا أميرهم حزاماً حين أنحنته الجراحات ، فلما وصلوا ماء نفي المشهور فى عالية نجد مات فى ذلك الوادى ، فدفنوه ، وقال شاعر آل عاصم أبياتاً نبطية بعد دفنه وارتحلهم من نفي ، وهى قصيدة طويلة قالها ابن مسعر :

لو أجهلنا إلى يشيل الروايا الياقربو للشيل وثنات الجمال
لو ان الربع من دفوفه دمايا مهوب من كثر العلايق بملال
فى جال فيحان عليه البنايا خلوه فى خرب الجبا مظلم الجال
شلنا وخلينا زبون الحفايا على نفي شرق عن القصر نزال

فيحان : اسم لوادى نفي عند جميع الأعراب ، وقوله « خرب الجبا مظلم الجال » أراد به القبر ، فيحان ومصلط بن ربيعان الروقي كان به تجبر على أهل القرى ، فجاء إلى حمى أهل عنيزة^(٢) ففعل مثلما فعل من قبله من التضييق على أهل عنيزة ، والرئيس هو الرئيس الأول ، والوقعتان قريب بعضهما من بعض فى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة ، فصبحوه وأخذوا إبله وأمتعته ، وكانت إبله يسميها سبلا ، فقال قصيدة نبطية منها فى سنة ١٢٨٩ :

يليت سبلا يوم جاها بلاها مهيب عند مصرفة خضر الرّباع

(١) الزغب : عند قحطان وقسم من الأعراب أهل نجد وقراها هو كناية عن الجماع ، وقد حدثنى من أثق به عن أبيه أنه حدثه ابن فتنان لما رجعت إليه ابنته وأخبرته بكلام قومته وتهكمهم بها ، التهب قلبه التهاب النار من أجل تهكمهم بابنته ، وفى غد أتاه الخبر بقتلهم وقتل أحد عشر رئيساً منهم وأخذهم وطردهم ، فسكن عند ذاك اللهب ، فنصر الله الشيخ وابنته كما نصر أهل عنيزة ، وإن ربك لبالمرصاد

(٢) وذلك فى شوال سنة ١٢٨٩ هجرية ، وهو إذ ذاك قاطن على ماء الثامرية الواقعة عن بلد

عنيزة شرقاً . مصنف

خضر الأربع : عملة يتعامل بها أهل القصيم .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ تقريباً جاء قوم من حرب يقال لهم « الفردة » رئيسهم ابن هديب ، فدخلوا في ذلك الحى حى عنيزة ، ورئيسها يومئذ ابن سليم ، فأرسلوا إلى الأعراب وحذروهم أن اذهبوا عن هذا الحى ، فلم تربع الأعراب إلى هذا الإنذار ، فخرج أهل عنيزة عليهم ، فقتلوا رئيس الفردة ابن هديب .

أما موقعها : فشرقيها قور^(١) وجبال صغار ، متصل بعضها ببعض ، وغربها كتيب أحمر ، وهى بين الكتيب وبين القور ، فى أرض منخفضة عذبة الماء كثيرة النخيل ، وشمالها وادى الرمة به لهم نخيل ومزارع ، ويسميه بعض أهل نجد « وادى عنيزة » .

أما بريدة : فهى بلد واسعة ، جميع القصيم يحد من ملحقاتها ، وهى أكبر من عنيزة فى موضعها وإمارتها وملحقاتها ، أدركت أمراءها آل أبى الخليل من عنزة ، ثم استعمل عليها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عمالاً من أبناء عمه وغيرهم ، وبها قصر منيع يسكنه الأمير وخدمته ، وأهلها أمة مطيعة للولاة ، وجميع الحدود التى حددناها سابقاً للقصيم تابعة لها .

أما القصيم : فهو مواضع جاهلية لها ذكر فى أشعار العرب قبل الإسلام وبعده ، كالنباج الذى يسمى اليوم الأسياح ، وقرى الجواء والقرىتين موضع روضة الزغبية اليوم ، والرس والرئيس والعاقلى ، وأكثر قرى القصيم مذكورة فى أشعار العرب وتاريخهم . أما بريدة^(٢) : المدينة المشهورة فى وسط القصيم ؛ فالذى اكتشفها الدريبي من أهل ثرمدا من العنقر ، اكتشفها فى النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً ، وبقايا ذريته هم آل أبى عليان الذين لهم ذكر فى تاريخ بريدة ، وهم رؤساؤها وأمراؤها ، منهم حجيلان الذى له ذكر فى زمن الإمام سعود بن عبد العزيز ، ومنهم عبد العزيز آل محمد الذى له ذكر فى زمن الإمام فيصل ، ومنهم محمد آل على بن عرفج ، فكل هؤلاء من آل أبى عليان .

وآل عرفج منهم المرأة التى قتلت قاتل أبيها ، قال شاعر فى قصيدة له نبطية :

عيسى يقول الحرب للمال نفاق أنشد مسوى السيف هو كيف حانية

إن كان مانزويه من دم الضداد كزوه لم العرجية تزويه

وقصتها مشهورة عند عامة أهل نجد ، وأعرف ثلاث نسوة من نساء أهل نجد قتلن الرجال :

(١) القور : هى الجبيلات الصغار ، مفردها قارة ، وهى لغة قديمة ، قال كعب بن زهير فى لاميته :

* كما تلفع بالقور العساquil *

(٢) ذكرها صاحب منجم العمران المستدرك على معجم البلدان ، لأنه كتاب حديث .

بريدة

القصيم

الأولى : العرفية آنفة الذكر ، قتلت قاتل أبيها ، وبنت الاصفى العجمي ، قتلت ابن حنبلين شيخ العجمان قاتل أبيها ، وبنت المطرودي راعي العوشزية ، أخذت إبلهم يوم الجمعة وأهلها غائبون للصلاة ، فأخذت البندقية وركبت الفرس وعليها ثياب أخيها ولحقت الأعداء وقتلت رئيسهم ورجعت بالإبل ، ولها حديث طويل في ذلك ، وهي خالة عبد الله بن جلوى أمير الأحساء ، رحمه الله !

وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة ، هم من قبائل شتى ، ولكن كلمتهم مجمعة ، يتجرون في الإبل ، وفي السنين الأخيرة تجروا في جميع أنواع التجارة ، وأميرهم في هذا العهد سنة ١٣٦٦ هجرية عبد الله بن فيصل آل فرحان من أقارب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود^(١).

وقول زهير * تطالعنا خيالات لسلمى * لعله^(٢) يريد بسلمى في هذا البيت الجبل الثاني من جبل طيء أجأ وسلمى ، وهو معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذلك أن سلمى قريب من جهة القصيم ، وفيه بطن من الأسلم من شمر ، وأجبلتها بين الحمرة والسواد ، وقد مضى الكلام عليها في مواضع من هذا الكتاب موقعها بين جبل رمان وجبل أجأ ، شرقيها فيد وركك ، وغربيها متاخم لغربي جبل رمان .

* * *

٢٧ - وقال زهير يخاطب بني تميم لما بلغه أنهم يريدون غزو غطفان :

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظُّنُونُ^(٣)
بِأَنَّ يُيُوتُنَا بِمَجَلٍّ حَجَرٍ بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ
إِلَى قَلَهَى تَكُونُ الدَّارُ مِنَّا إِلَى أَكْنَفِ دُومَةٍ فَالْحُجُونُ
بِأُودِيَةِ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ وَأَغْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ

حجر : قد مضى الكلام عليه في أشعار زهير في رأيته التي مطلعها :

* لمن الديار بقنة الحجر *

أما قلهى فقد قال عرام بن الأصبع السلمى^(٤) في كتابه عن جبال الحجاز وتهامة وأوديتها : قلهى وبالمدينة وإد يقال له « ذورولان » به قرى منها قلهى ، وهي قرية كبيرة . ١٥٠ . فأما الذى

(١) وأمير بريدة وملحقاتها في هذا العهد عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك المعظم ووالده عبد العزيز بن مساعد أمير على حائل وملحقاتها .

(٢) ولعله يريد بسلمى اسم امرأة ينتابه خيالها

(٣) روى ثعلب « وقد يأتيك بالنصح الظنون » . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٥٤ .

عَمَاهُ زهير فهو ماء يقال له قَلْهَى واقع في بلاد غطفان ، وهو الماء الذي نزلته عبس وفزارة بعد حروبها ، وتصلحت عليه ، وبعد ما تواتقوا قامت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان وطالبوا بنى عبس بدماء عبد العزى بن جداد ومالك بن سبيع ، ومنعواهم الماء حتي أعطوهم الدية ، فقال معقل ابن عوف بن سبيع الثعلبي :

لَنِعْمَ الْحَيُّ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَمْدٍ إِذَا مَا الْقَوْمَ عَصَّهْمُ الْحَدِيدُ
هَمَّ رَدُّوا الْقَبَائِلَ مِنْ بَغِيضٍ بَغِيظُهُمْ وَقَدْ حَيَّ الْوَقُودُ
تَظَلُّ دِمَاؤُهُمْ وَالْفَضْلُ فِينَا عَلَى قَلْهَى وَنَحْكُمُ مَا نَرِيدُ

دُومَةُ : هي دُومَةُ الجندل ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والمواقع التي تسمى بدومة كثيرة ، ولكن الشاعر لم يعن إلا دُومَةَ الجندل ، وهي ثلاث قرى عظام : دومة ، والقارة ، وسكك ، واسمها القديم سكاك ، بها عامل على تلك المقاطعة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فنقلت دائرة الإمارة من بلدة دومة إلى بلد سكك ، وأميرها في سنة ١٣٦٦ عبد الرحمن آل أحمد السديري ، وفي تلك الناحية حصن يقال له « مارد » وهو حصن أكيدر ابن عبد الملك الذي ينتهي نسبه إلى أشرس بن ثور بن عفير ، وهو من كندة ، وهو الذي وجّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك ، وقال له : سيقلقه يصيد الوحش ، وجاءت بقرة وحشية فحكت قرونها بحصنه ، فنزل إليها لئلا يصيدها ، فهجم عليه خالد ابن الوليد ، فأسره ، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك ، وافتتحها خالد عنوة ، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أكيدر على دومة ، وأمنه ، وقرر عليه وعلى أهله الجزية ، وكان نصرانياً ، فأسلم أخوه حريث ، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ما في يده ، ونقض أكيدر الصلح بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجلاه عمر رضي الله عنه من دومة فيمن أجلى من مخالفي دين الإسلام إلى الحيرة ، فنزل في موضع منها قريب عين التمر وبني به منزلاً وسماه دومة ، وقيل : دوما ، باسم حصنه بوادي القرى ، فهو قائم يعرف إلا أنه خراب ، وقال الشاعر في إجلاء عمر رضي الله عنه أكيدر :

يَا مَنْ رَأَى طُعْمًا تَحْمِلُ غَدُوةً مِنْ آلِ أَكْدَرِ شَجْوُهُ يَعْنِينِي
قَدْ بُدِّلَتْ طُعْمًا بَدَارِ إِقَامَةٍ وَالسَّيْرُ مِنْ حَصْنِ أَشْمِ حَصِينِ

الحَجَّوْنُ : هو الواقع في أعلى مكة مما يلي مقابرها ، وهو الذي عناه مُضَاضُ بن عمرو الجُرْهُمِيُّ حين قال ينشوق إلى مكة :

دومة

الحجون

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونَ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالْنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ومعنى بيت زهير أن غطفان ملأت ما بين دومة الجندل إلى الحجون ، ولكنه يكذب
فى آخر الأبيات حين يقول : * وأعلاها إذا خفنا حصون * فيظهر من هذا الشطر أنهم لم يملأوا
الذى بين دومة فالحجون ، ولم يملأوا بلاد غطفان .

* * *

٢٨ - وقال زهير :

عَلَى رَسُولِكُمْ إِنَّا سَنُعْدِي وَرَاءَكُمْ فَيَمْنَعُكُمْ أَرْمَاحُنَا أَوْ سَنُعْذَرُ
وَالَا فَإِنَّا بِالشَّرْبَةِ فَالْلَوَى نَعْقِرُ أَمَاتِ الرَّبَاعِ وَنَيْسِرُ

الشربة

أما الشربة فقد مضى الكلام عليها على قصيدة امرئ القيس عند هذا البيت ^(١) .
تَخَطَّفَ خِرَازَانَ الشَّرْبَةِ بِالصُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

* * *

٢٩ - وقال زهير :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَارِزِيَّةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غَطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتْ
إِنَّ الرِّكَّابَ لَتَبْتَغِي ذَامِرَةً بِجَنُوبِ نَخْلٍ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ

نخل

أما نخل فقد مضى الكلام عليه فى أشعار زهير حين قال فى لاميته ^(٢)

تَرَبَّصْ فَإِنْ تَقَوَّ الْمُرُورَةُ مِنْهُمْ وَدَارَاتِهَا لَا تَقَوَّ مِنْهُمْ إِذَا نَخْلُ

* * *

٣٠ - وقال زهير :

غَشِيْتُ دِيَارًا بِالْبَقِيعِ فَتَهَمِدِ دَوَارِسَ قَدْ أَقْوَيْنَ مِنْ أُمَّ مَعْبَدِ ^(٣)
أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آلُ خَيْمٍ مُنْضَدِ ^(٤)

(١) انظر ص ٨٧ من هذا الجزء . (٢) انظر ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٣) فى رواية ثعلب « غشيت الديار بالبقيع » وأقوين : أقفرن

(٤) أربت : أقامت ، والإرباب : الإقامة وعدم البراح .

البقيع

أما البقيع : فقد مضى الكلام عليه في ذكر مياه الجواء على معلقة امرئ القيس على ذكر بقيعا ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .
وأما نهمد : فسيأتى الكلام عليه - إن شاء الله - في معلقة طرفة .

* * *

٣١ - وقال زهير :

إِلَى هَرِيمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ اللَّوَى فَنَعِمَ مَسِيرُ الْوَائِقِ الْمُتَعَمِّدِ
سَوَاءَ عَلَيْهِ أَىَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ أَسَاعَةً نَحْسٍ تُتَقَى أَمْ بِأَسْعَدِ

اللوى

اللوى : الواقع في بلاد غطفان لوى عريق الدسم الذى يقع طرفه بالقرب من أبان الأحمر الجنوبي الواقع على ضفة الرمة الجنوبية ، ويمكن أن يكون زهير قد غنى منقطع هذا الكشيب في بلاد غطفان

* * *

٣٢ - وقال زهير يمدح سنان بن أبي حارثة المرى :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا
بَلَيْنَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ عَنْ فَرَطٍ حَوْلَيْنِ رَقَاً مُحِيَلَا

حرض

حرض : هذا الاسم يطلق على مواضع كثيرة ، منها حرض في جهة المدينة عند قناة قريب أحد ، وهو الذي قال فيه حكيم^(١) بن عكرمة الديلمى وهو يتشوق إلى المدينة :
لِعَمْرِكَ لِلْبَلَاطِ وَجَانِبَاهُ وَحَرَّةٍ وَاقِمٍ ذَاتِ الْمَنَارِ
فَجَمَاءَ الْعَقِيقِ فَعَرَصَتَاهُ فَمَقْضَى السَّيْلِ مِنْ تِلْكَ الْحَرَارِ
إِلَى أَحَدٍ فَذَى حُرُضٍ فَمَبْنَى قِبَابِ الْحَيِّ مِنْ كَنَفَى صَرَارِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فِجٍ بِبُصْرَى بَلَا شَكِّ هُنَاكَ وَلَا ائْتَارِ
وَمِنْ قَرِيَّاتِ حِمصَ وَبَعْلَبَكِ لَوْ أَنِّي كُنْتُ أَجْعَلُ بِالْخِيَارِ

ولما استولى اليهود في الزمن القديم على المدينة وتغلبوا عليها - كان لهم ملك يقال له : الْفَطِيُونُ ، وكان قد سن فيهم سنة أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى يكون هو الذى يَفْتَضُّهَا قبله ، فبلغ ذلك أبا جُبَيْلَةَ أَحَدَ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، فَقَصَدَ الْمَدِينَةَ ، وَأَوْقَعَ بِالْيَهُودِ بِذِي حُرُضَ ، وَقَتْلَهُمْ ، فَقَالَتْ سَارَةُ الْقَرَطِيَّةُ تَذَكَّرَ ذَلِكَ :

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٥٢ .

بأهلى رِمَّةً لم تُتَفَنَّ شَيْئًا بذى حُرُضٍ تُعَفِّيهَا الرِّيحُ
كهول من قريظة أتلقتهم سيوفُ الخَزْرجية والرماحُ
ولو أذنوا بحزبهم لَحَالَتْ هنالك دونهم حَرْبٌ رَدَّاحُ

وقد قال كثير ذاكرا هذا الموضع المجاور للمدينة .

أَرْبَعٌ فُحْيٌ معارف الأطلال بالجزع من حُرُضٍ فهنَّ بَوَالٍ

وهناك موضع آخر يقال له « حرض » في هذا العهد واقع بين الخُزْج ومقاطعة الأحساء ، وهو في الزمن القديم يقال له « دحرض » ، وسيأتى الكلام عليه في معلقة عنقرة إن شاء الله تعالى .

وفي جهة الأفلاج موضع يقال له « حراضة » واقع في بلاد الأفلاج كثير النخل .

وهناك موضع فيه ماء يقال لها « حراضة » واقع غربي حَضَنِ الجبل المشهور الواقع جنوبي ركة ، وكان بنيت بن ماعز الروقي قد طرد قوما من البقوم وقد أيقنوا بالهلاك فالتجئوا إلى طرف حَضَنِ المطل على ماء حراضة المذكورة ، فقال في ذلك قصيدة نبطية منها :

رب نصفني من بني عم عاضه بشلف تروى حدها والمسامير
ظلع البقوم إلى أمقاد حراضه اكسيه يالبقما ثياب مشاهير

ذكر للبقوم أنه يجب عليهم أن يكسوا هذا الجبل الذي منعه من .

والذي عناه زهير في قصيدته واد في بلاد غطفان فيه ماء قليل يقال لهذا الوادي حرض ، واقع في جبل في العلم ، وهو في حدود بلاد غطفان الشمالية ، يوجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إذا خرجت من ماء النقرة قاصداً الشمال وجعلت جبل العلم على شمالك ، وسلكت الطريق المسمى قعضب عند أهل تلك الناحية ، وخرجت منه ، فإما النحائت التي تقدم ذكرها على يمينك ، وماء حرض على شمالك .

اتمهي ذكر الأماكن الواردة في شعر

زهير بن أبي سلمى المزني

والحمد لله أولاً وآخراً

٣

طَرَفَةُ بْنُ عَبْدِ الْبَكْرِ

طرفة بن العبد البكري

(مات سنة ٧٠ قبل الهجرة - ٥٥٠ للميلاد ، تقريباً)

١ - قال في مطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِيرْقَةَ نَهْمَدِ تَلَوَّحَ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
بِرَوْضَةٍ دُعِمِي فَأَكْنَفَ حَاجِرِ ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِ وَأُبْكِ إِلَى الْغَدِ^(١)
وَقُوفًا بِهَا صَنَجِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَصِفِ مِنْ دَدِ

نهمد

أما نهمد وبرقة فإنما لمعنا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه في كتب المعاجم وشرح الأشعار الواردة في ذلك ، اهتدينا إلى موضعه الآن ، لكنه قد تغير اسمه ، حدده الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » فقال : هو واقع في حزيز وضاح الذي يمتد منه إلى حليت ؛ والموجود هناك سناب أسود يقال له اليوم « حيد الردامي » يتصل غربا بحزوم وأبارق ، وهي البرقة التي ذكرها طرفة في قوله « بيرقة نهمد » ونهمد : هو من حيد الردامي المسمى اليوم بهذا الاسم ، قال الأعشى :

هَلْ تَذْكُرِينَ الْعَهْدَ يَابْنَةَ مَالِكٍ أَيَّامَ نَرْتَبِعُ السُّتَارَ فَشَهْمَدَا

والستار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، لا يبعد عن أبارق نهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم ، والستار المذكور : واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته .

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعا يطلق عليه اليوم اسم نهمد ، ولكنه على حسب تحديد الهمداني واقع عند حيد الردامي من غير إشكال .

والأبارق المضافة إليه واقعة في غربيه الجنوبي مما يلي الستار ، الذي ذكره الأعشى ، وهو غير الستار الذي ذكره امرؤ القيس ؛ لأن الذي ذكره امرؤ القيس في حَمَى ضَرِيَّةَ ، والذي ذكره الأعشى واقع في شرقي طخفة شمالى غول قريبا من منية .

وفي جزيرة العرب خمسة جبال كلها تسمى بالستار ، وكلها أسماء جاهلية باقية إلى هذا العهد .

(١) هذا البيت ساقط من رواية التبريزي والزوزني ، وقد رواه ياقوت (٤ / ٣١٦) وفيه عنده

« فَأَكْنَفَ حَائِلَ » .

روضة دعوى : لم أعرف في بلاد العرب روضة بهذا الاسم إلا روضة واحدة تقع بين قنيفذة روضة دعوى وكثيب نفود السر ، وقنيفذة : هي الأكتبة المتراكمة بين مراة وبين السر ، وروضة دعوى واقعة بين قنيفذة والسر غربى مراة ، وهي : روضة كبيرة كثيرة السدر والسلم والطلح ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تسمى « روضة بن ديمان » يعرفها الكثيرون من أهل نجد ، تقع في النصف بين كثيب السر وكثيب قنيفذة ، وهي لكثيب قنيفذة أقرب ، بين أبرق المشياهة وبين (خَل) ^(١) سعود وهي التي تسميها العامة « روضة سدران » وهذا الاسم حديث ، سببه أن السيول كثرت فيها عاما من الأعوام فخرج فيها ماء بين سدر فسميت هذه الماء « سدران » ثم غلب هذا الاسم حتى قيل لها « روضة سدران » وهي بنفسها « روضة ديمان » وهذا الاسم الأخير قديم ، وأنا أعرفها من مدة قديمة بهذا الاسم ، وهي التي عنها الشاعر بقوله :

هَيْهَاتَ مَسْكَنُهَا مِنْ حَيْثُ مَسْكَنُهَا إِذَا تَضَمَّنَهَا دِيْمَانُ فَالِدُورِ

ولست أعرف في بلاد العرب موضعا بالاسم الذي ورد في شعر طرفة غير الذي ذكرنا . وقول طرفة « أكناف حاجر » في لغة العرب قديما وحديثا أن الموضع الذي ينبجر فيه السيل من الأرض يسمى « حاجرأ » فهو اسم جنس غير معين ، فإن كان طرفة عنى بذلك ما حَجَرَ السيل من الأرض فهو قريب من « روضة دعوى » من محاجر السيل التي هي مجاورة لها ، وإن كان قصد موضعا بعينه فلست أعلم موضعا يقال له حاجر إلا موضعا واحدا يقع عن وادي الرمة شمالا ، وهو قريب النقرة ، يبعد عنها مسافة نصف يوم تقريبا ، يقال له في هذا العهد « الحاجر » وهو منهل ترده الأعراب .

النواصف ودد : كلها واقعة في البحر الشرقي ، لأن طرفة حين قال : * خلايا سفين بالنواصف النواصف ودد من دد * أتبعها بقوله * عَدَوْلِيَّةُ أَوْ مِنْ سَفِينِ بْنِ يَامِنْ * وامرؤ القيس لما وصف الظعائن وقال : فشبهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا من المكروعات من سَفِينِ بْنِ يَامِنْ دَوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا والصَّفَا وَالْمُشَقَّرُ فِي هَجَرَ بَغَيْرِ خِلَافٍ ، وطرفة ذكر سفين ابن يامن ، ودد : اسم لوادٍ يصب في البحر الشرقي .

والنواصف : هي نواصف هذا الوادي ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وأما صاحب معجم البلدان فإنه قال ^(٢) على ذكره : هو موضع ، واستدل بقول طرفة في معلقته ، ومنهم

من قال : إنه وادٍ من أودية عمان يصب في البحر ، والنواصف التي ذكرها طرفة هي نواصف دد وقد ورد لها ذكر في أشعار كثيرة ، قال ود بن منظور الأسدي :

أَلَا حَيَّ رَبِّعًا بِالنَّوَصِفِ أَوْ رَسَمًا خَلَا دُمِيَّةَ الْأَرْوَاحِ تَطْسُمُهُ طَسْمًا^(١)

وقد دَرَسَ ذكر الناس للنواصف ولِدَدٍ ، وظنى أن أحداً لا يعرفها اليوم بهذين الاسمين ، وقد أَطَلَّتُ البحث عن دَدٍ وموضعه ، فقال لى بعضُ أهل الأدب : أنا أظن أن « ددا » هي المدينة الواقعة في عمان التي يقال لها اليوم « دبي » وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باءً ، فرجعت إلى كتب المعاجم للاستقصاء عن دد ، وعن دبي ، فوجدت دبي هذا الاسم من عهد الجاهلية فقد كان يقال له في الزمن القديم « دبا » واتل أبيها القارئ هذه العبارة التي أوردها ياقوت في معجمه عن الأصمعي حتى يزول عنك الشك ، وتعلم أن ددا اسمٌ قديمٌ جاهلي ودبي أيضاً اسمٌ قديمٌ جاهلي قال ياقوت^(٢) : وبعمان مدينة مشهورة قديمة يقال لها « دبا » وهي قصبة عمان ، ولعل هذه السوق المشهورة التي فتحها المسلمون في أيام أبي بكر رضى الله عنه غنوة سنة إحدى عشرة وأميرهم حذيفة ابن محصن فقتل وسبا ، قال الواقدي : قدم وفد الأزدي من « دبا » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقرين بالإسلام ، فبعث عليهم مُصَدِّقاً منهم يقال له حذيفة بن محصن البارقي ، ثم الأزدي من أهل « دبا » فكان يأخذ صدقة أغنيائهم وَيَرُدُّهَا إلى فقرائهم ، وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرائض لم يجد لها موضعاً ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدوا ، فدعاهم إلى النزوع ، فأبوا ، وأسمعه شتماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فكتب حذيفة في ذلك إلى أبي بكر رضى الله عنه ، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات عامر ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم انحاز عكرمة إلى تبالة : أن سِرَ فيمن قبلك من المسلمين ، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي ، فجهز لقيط إليهم جيشاً ، فالتقوا ، فهزمهم الله ، وقتل منهم نحو المائة حتى دخلوا مدينة « دبا » ففتحوها بها فحاصرهم المسلمون شهراً أو نحوه ، ولم يكونوا قد استعدوا للحصار ، فأرسلوا إلى حذيفة يسألونه الصلح فقال : لا أصالح إلا على حكمي ، فاضطروا إلى النزول على حكمه ، فقال : اخرجوا من مدينتكم عزَّ لا سلاح معكم ، فدخل المسلمون حصنهم ، فقال : إني حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسبي

(١) وقع في معجم البلدان « نطمسه طمساً » بتقديم الميم على السين ، وهو تحريف ، وتقول

« طمس الطريق » و « طسم » بمعنى واحد ، ومعناها درس ، وانظر شواهد ذلك في اللسان (ط

ذرائعكم ، فقتل من أشرافهم مائة رجل ، وسبى ذرائعهم ، وقدم بسبيهم المدينة ، فاختلف المسلمون فيهم ، وكان فيهم أبو صُفْرَةَ أبو المَهَلَّب غلاماً لم يبلغ ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتل مَنْ بَقِيَ من المقاتلة ، فقال عمر رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله ، هم مسلمون ، إنما شجَّوْا بأموالهم ، والقومُ يقولون : ما رجعنا عن الإسلام ، فلم يزالوا موقوفين حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه ، فأطلقهم عمر رضي الله عنه ، فرجع بعضهم إلى بلاده ، وخرج أبو المَهَلَّب حتى نزل البصرة ، وأقام عِكرَمة بدباً عاملاً لأبي بكر ، وآل المَهَلَّب استوطنوا البصرة ، وكانوا قُوَّاداً وعمالاً لبني أمية حتى قُضت عليهم تلك الدولة ، وأحزم من تولى منهم قتال الخوارج المَهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ ، وله عليهم انتصارات عظيمة ، وهو الذي فلَّهم بعد الصبر والمطاولَة .

* * *

٢ - وقال طرفة :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَاتَّبَعْتَ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ
تَرَبَّعْتَ الْقَفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوْلَى الْأُسْرَةِ أُغَيْدِ

القفان

أما القفان فإن المواضع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة منها « قف » قريب حَفَرِ أَبِي مُوسَى الأشعري في الصَّمان ، و « قف » في جنوبي الصَّمان مما يلي طريق الأحساء السالك إلى نجد ، و « قف » في جهة المدينة ، و « قف » قريب الرس جنوبي وادي الرمة ، و « قف الجواء » شمالي الرمة ، ورد لها ذكر في أشعار العرب ، فإذا قال الشاعر « الْقَفَّان » بالثنية فهما في الصَّمان ، وقد مر ذكرهما ، وإذا أفرد فهو يقصد أحدهما ، وإذا ثناهما شاعر غَطَّفَانِي كزهير وغيره فهما الواقعان قريب الرمة ، وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذى الرمة وهى تذكر القف القريب من المدينة ، وقد رحل بها زوجها إلى تلك الناحية ^(١) :

نَظَرْتُ وَدُونِي الْقَفُّ ذُو النَّخْلِ هَلْ أَرَى أَجَارَعَ مِنْ آلِ الضُّحَى فِي ذُرَى الْأَمَلِ
فِيَالِكَ مِنْ شَوْقِ رَجِيعٍ وَنَظَرَةٍ ثَنَاها عَلَى الْقَفِّ خَيْلًا مِنْ الْحَبْلِ
أَلَا حَبْدًا مَا بَيْنَ حُزْوَى وَشَارِعِ وَأَنْقَاءَ حُزْوَى مِنْ حُزُونٍ وَمِنْ سَهْلٍ
لِعَمْرَى لِأَصْوَاتِ الْمَكَاكِي بِالضُّحَى وَصَوْتُ صَبَا فِي حَائِطِ الرَّثَمِ بِالذَّحْلِ
وَصَوْتُ شِمَالٍ زَعَزَعَتْ بَعْدَ هَذَا أَلَاءَ وَأَسْبَاطًا وَأَرْطَى مِنْ الْحَبْلِ
أَحْبُّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَا حِ دَجَاجَةٍ وَدِيكَ وَصَوْتُ الرِّيحِ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ

فِيالَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْبَتَ لَيْلَةَ بِجُمْهُورٍ حَزَوَى حَيْثُ رَبَّنَى أَهْلَى
وقد قال زهير حين أفرد القف :

لَمَنْ طَلَّلَ كَالوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عَافَا الرِّسُّ مِنْهُ فَالرِّسِّسُ فَعَاقِلُهُ
فَقَفَّ فِصَارَاتٌ فَأَكْنَفَ مَنَعَجٍ فَشَرَقْتُ سَلَمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ
هذا القف الذى يقع عن الرُّمَّة شمالاً مختلطاً بصارات ، وقال أيضاً حين ثناه :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ عَامٍ وَمِنْ زَمَنٍ لَّالَ سَلَامَاءَ بِالْقَفِّينِ فَالرَّكْنُ
فهو حينئذ قد قصد القفَّين اللذين يقع أحدهما شمالى الرمة ، والثانى جنوبى بها ، وهذا الذى
قصده طرفة ؛ لأنها من أصلح الأرض للابل ، وهن باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٣ - وقال طرفة :

وَأَتْلَعَ نَهَاضٌ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ كَسْكَنَّانٍ بُوصَى بِدَجَلَةَ مَصْعَدٍ ^(١)
دَجَلَةُ : نهر معروف يصبُّ في بحر الخليج الفارسى ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال
أبو العلاء المعرى ^(٢) :

دجلة

سَقِيًّا لِدَجَلَةَ وَالْدُنْيَا مَفْرَقَةً حَتَّى يَعُودَ اجْتِمَاعُ النُّجُومِ تَشَقُّقًا
وبعدها لا أَحَبُّ الشَّرْبِ مِنْ نَهَرٍ كَأَنَّمَا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا
ذَمَّ الْوَلِيدُ وَلَمْ أَذْمُمْ بِلَادَكُمْ إِذْ قَالَ « مَا أَنْصَفْتَ بَغْدَادَ » حَوْشِيَّتَا
وقال ابن التمار الواسطى يصف ضوء القمر على دَجَلَةَ :

قَمِ فَاغْتَصِمِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالنُّوبِ وَاجْمَعِ بِكَأْسِكَ شَمْلَ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ مَهْزُومَةٌ وَجِيوشُ الصَّبْحِ فِي الطَّلَبِ
وَالْبَدْرُ فِي الْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ تَحْسَبُهُ قَدْ مَدَّ جَسْرًا عَلَى الشَّطِّينِ مِنْ ذَهَبِ

ودجلة هى التى عنها طرفة بقوله « بدجلة مصعد » وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ،
عليها مدُنٌ وقُرَى عامرة كثيرة النخل والمزارع ، تنحدر من الشمال متجهة إلى جهة الجنوب ،
وكذلك نهر الفُرات على هذا الاتجاه ، ودجلة : موضع آخر في ديار العرب بالبادية ، وهو قسم من

(١) الأتلع : المشرف ، وأراد عنقها الطويل ، والسكان - بضم السين وتشديد الكاف - ذنب
السفينة الذى تقوم وتسكن به (هو المسمى اليوم في لسان ملاحى مصر : الدفة) والبوصى : السفينة
فارسي معرب ، ويروى « كسكان نوتى » والنوتى : الملاح . (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١ .

الرثمة ، قال يزيد بن الطثري :

خلا الفيضُ من حلّه فالحائلُ فدجلة ذو الأرتى فقرنُ الموامل
وقد كان محتلاً وفي العيش غرةً لأسماء مفضى ذو سليل وعائل
فأصبح منها ذاك قفراً وما تحت لك النفس فانظر ما الذى أنت فاعل
هذه الشواهد على دجلة التي في البادية ، وعليها شواهد كثيرة ، وهى واقعة قريب الرثمة ،
كانت تعرف بهذا الاسم في الزمن القديم ، وقد انقطع ذكر هذا الاسم اليوم .

* * *

٤ - وقال طرفة يصف أذى راحلته :

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلشَّرَى لَهَجَسِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنَدِّدٍ
مُؤَلَّتَانِ تَعْرِفُ الْعَتَقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ
حومل : قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس لما قرّنه بالدخول ، وهو قريب من
ماء الدخول كما ذكرنا في كلامنا على معلقة امرئ القيس في تحديده ^(١) . وحومل : قد أطل أهل
المعاجم عليه ، واختلفوا في تحديده ، فحدّثه فيما مضى تحديدا شافيا مصيباً عن علم و يقين .

* * *

٥ - وقال طرفة :

وُظِلُّ ذَوَى الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فَذَرِ وَخُلِقِ ؛ إِنِّى لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ يَدْتِى نَائِيًا عِنْدَ ضَرْغَدِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ
أما « ضرغد » فأنا أعرفه يقينا ، يقال له اليوم « ضرغط » أبدلوا داله طاء ، به قصر ومزارع ،
واقع في جبال حرة سوداء منيعة ، يلتهجى إليها المجرم ، يقع بين قرية المستجدة الواقعة جنوبى
جبل رمان ، وشرقى بلد الحائط التي كانت تسمى في الزمن القديم « فذك » ، وحره ضرغد : تقع
غربيه ، وهى منهل ترده الأعراب ، وبه قصر ، فإذا أغبر على أهله دخلوا في تلك الحرة فسلبوا ،
وهى حرة عظيمة سوداء منيعة ، تسميها العامة اليوم « لابة ضرغط » وهو الذى ذكره طرفة في
معلقته ، لم يتغير من اسمه شيء إلا هذا الإبدال الذى أشرنا إليه ، وموقعه بين بلاد بنى أسد وبلاد
غطفان ، وقد وردته ، قال ^(٢) عامر بن الطفيل العامرى :

(١) انظر ص ١٧ من هذا الجزء . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٥٣٠ .

وَلَسَّالْنِ أَسْمَاءَ - وَهِيَ خَمِيَّةٌ - نَصَحَاءُهَا : أَطْرَدْتُ أُمَ لَمْ أَطْرِدْ
 قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خَيْلَهُ قَلَحَ الْكِلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرَدٍ
 فَلَا بُغْيَيْنَاكُمْ قَنًا وَعَوَارِضًا وَلَا قَبِيلَنَّا الْخَيْلَ لَابَةً ضَرْغِدٍ
 بِالْخَيْلِ تَعَثَّرَ بِالْقَصِيدِ كَأَنَّهَا حَدَا تَتَابَعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَفْصَدِ
 وَلَا تُأَرَنَّ بِمَالِكَ ، وَبِمَالِكَ وَأَخَى الْمُرُوءَاتِ الَّذِي لَمْ يَسْنَدْ^(١)
 وَقَتِيلَ مَرَّةً أَثَارَنَ فَإِنَّهُ فَرَعَ ، وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يَقْصِدْ
 يَا سَلَمَ أَخْتَ بَنِي فَزَارَةَ ، إِنِّي فَانٍ ، وَإِنْ الْمَرْءَ غَيْرَ مُحَلِّدٍ^(٢)
 وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أُشْبِهُهَا سَمَرًا وَأَوْقِدُهَا إِذَا لَمْ تُتَوَقَّدِ

انتهت معلقة هذا الشاعر الفحل ، وهي من أطول المعلقات ، ولكن لم يرد فيها من ذكر
 البقاع إلا القليل ، وهو الذي أوردناه في كتابنا هذا ، وطرفة من أقدم شعراء المعلقات ، وقد اختلفوا
 في عمره ؛ فمنهم من قال : إنه هلك وعمره عشرون سنة^(٣) ، ومنهم من قال : إنه عاش ستاً وعشرين
 سنة^(٤) ، وذكروا عنه نباهةً وحدةً ذهنٍ في صغره ، قالوا : إنه كان في نادى قومه وهو ابنُ عشر
 سنين وخاله المتلمسُ الشاعرُ يُلقِي قصيدةً ، فلما بلغ قوله :

وَقَدْ أَنْفَيْنَ الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْغَرِيَّةَ عِيَهُم

فقال طرفة : اسْتَمَوَى الْجَلُّ يَا خَالَ ، فقال المتلمس : ادْنُ مِنِّي ، فلما قرب منه مَسَحَ قَمَةً رَأْسِهِ
 وقال : وَيْلَ لِهَذِهِ مِنْ تِلْكَ^(٥) .

* * *

انتهى ذكر الأماكن الواردة في معلقة

طرفة بن العبد البكري

- (١) في معجم ياقوت (٥ / ٥٣٠) « وأخى المروءات » وما أحسبه إلا محرفاً عما ذكرت
 (١) في المعجم « إني غان » وما بعده من عجز البيت يؤيد صحة ما أثبتناه
 (٣) والأدباء يسمون طرفة « ابن العشرين » وانظر المزهري (١ / ٢٤٣) والشريشي (١ / ١٩١)
 والخزانة (١ / ٤١٦)

(٤) وأخته لأمه ، وهي الخرنق بنت بدر بن هفان تقول في رثائه :

عَدَدْنَا لَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا
 فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا اسْتَمَّ تَمَامُهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قِمًا
 وَلَا شَكَّ أَنَّ أَخْتَ أَعْرَفَ بَسْنَهُ .

(٥) يريد ويل لرأسك من لسانك

٤

لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاغِي

لبيد بن ربيعة العامري

ذكروا أنه بلغ من العمر ١٥٧ سنة ، وهو أكثر أهل المعلقة في معلقته ذكراً لمواقع البلاد العربية ، وهذا مطلع قصيدته المعلقة :

١ - عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بَعْنَى تَابَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا
فَسَدَّافِعُ الرِّيَّانِ عُرَى رَسْمِهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيَ سِلَاقُهَا

ذكر لبيد أربعة مواضع في هذين البيتين : منى ، وغول ، والرجام ، والريان ، وكلها متقاربة لا يكون بين واحد منها وآخر أكثر من مسافة نصف يوم .

فأما منى التى ذكرها لبيد فهى هضبة حمراء واقعة بين طخفة ومنى ، فيها ماء عذب ، وهى تسمى اليوم عند عامة أهل نجد « منية » لا تزال تذكر بهذا الاسم ، وكثير من الناس قد ظن - غالطاً - أن منى فى هذا البيت الموضع الواقع قريب مكة ، وقد أكثر الشعراء فى ذكر منى على اختلاف مقصودهم ، قال كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأغناق المطى الأباطح
وجدت بها وجد المضل ركابه بمكة والركبان غاد ورائح

وهذا الشاعر الخزاعى إنما عني بمنى البلد الذى يجتمع فيه الناس أيام الحج ، وقال العرجى :

نلتبث حولا كله كاملاً لا نلتقي إلا على منهج
فى الحج إن حجت ، وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج

وهذا الشاعر القرشى أراد منى الذى أراده كثير ، وأما منى الذى ذكره لبيد فهو الذى ذكره شاعر من بنى عامر حين قال :

أتبعتهم مقلّة إنسانها غرق كالقص فى ررق بالدمع مغمور
حتى تواروا بشعف والجمال بهم عن هضب غول وعن جنبى منى زور
والشواهد كثيرة فى ذكر منى الواقعة فى عالية نجد الشمالية .

وأما غول فقد مضى الكلام عليه فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، يقع من منى تحت مطلع سهيل ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، ذكروا أنه كان فى

الجاهلية عامرا به نخيل وعيون ، فأما في هذا العهد ففيه نخيل حديثة شارعة في المساء ، وهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب لضبة على بنى كلاب ، قال أوس بن غلفاء :
وقد قالت أُمَامَةُ يوم غولٍ تقطع يابن غلفاء الحبال
وقال أعرابي من أهل تلك الناحية :

ألا ليت شعري هل تَغَيَّرَ بعدنا معارفُ ما بين اللوى فأبان
وهل برح الريَّانُ بعددي مكانه وغول ، ومن يبقى على الحدثان ؟
إذا كنت متجها إلى جهة الشرق وأنت في غول ، فإذا التفت عن يمينك رأيت الكبشات
والبكرات ، كلها جبال ، أما الكبشات فهي سود ، والبكرات حمراء ، وهي من حدود حمى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شرق الحمى ، ثم اتسع الحمى في خلافة عثمان بن عفان
رضي الله عنه ، ودخل فيه غول وطخفة والريان ومنى المذكورة ونفى ، وهو حده الشرق قف ؛ وإذا
التفت على شمالك رأيت طخفة تبعد منك مسافة أقل من ساعتين ، وهو جبل أحمر له رهوس
شاهقة ، وبه يوم من أيام العرب عظيم ، وكان السبب فيه أن ردافة النعمان بن المنذر كانت في
بنى يربوع ، فطلب حاجب بن زُرارة من النعمان أن يجعلها في بنى مجاشع ، فهم النعمان بذلك ،
فأبى عليه بنو يربوع ، فقال له حاجب بن زُرارة : أبعث إليهم جيشا ، فإنهم لن يصبروا له ،
فبعث إليهم جيشا برأسة ابنه قابوس ، ومعه حسان بن المنذر على المقدمة ، فأتوا بنى يربوع في
طخفة وقد نذروا بهم ، فالتقوا ، وكانت معركة عظيمة ، فضرب طارق بن عميرة اليربوعي فرس
قابوس بن النعمان وأخذه ليحجز ناصيته ، فقال قابوس : إن الملك لا تجز نواصيه ، فقال : نعم
عليك ونبعثك إلى أبيك ، فمن عليه وبعثه إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسر به بشر بن عمرو
الرياحي ثم من عليه وأرسله ، فقال مالك بن نويرة اليربوعي في ذلك :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعد ما رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها إنا مداريك قبلها إذا طلب الشاء البعيد المقرب

وقال جرير يعنى هذا اليوم :

بطخفة جالدا الملوكة وخیلنا جرین بیسطام بن قیس علی نحب

وهذا الجبل - أعنى طخفة - مشؤم ، كثيرة فيه المعارك ، وتلتجىء إليه اللصوص إذا أجمعت ،
وأنا أعرف في أوائل القرن الرابع عشر رجلا يقال له « عمير البراق » نزل في أعلاها في موضع

منيع ، ومعه زوجته وابنان له : الكبير يقال له « غشام » قد حمل البندقية وأتقن الرمي ، والثاني يقال له « زين » صغير السن في ذلك الوقت ، وابنة له ، وكان إذا طلع عليه الصبح تجهز هو وابنه غشام وأخذوا بندقيتهما وذهبا يلتمسان الرزق ، وكانت تلك السنة مجدبة ، فكانا إذا وجدا بعيراً أخذاه ، وإن وجدا غنماً أو بقراً ساقاه إلى تلك الهضبة ، وشكا الناس أفعالهم وكان فيما شكوه منهم أنهم أكلوا الآدميين ، فقد صح أنهم أكلوا أربعة ثلاثة رجال وامرأة ، فلما تم القضاء والقدر عليهما ذهباً كما كانا يذهبان ، فاستاقا بقر أهل مسكة القرية الواقعة في الحى في القرب من ضرية تبعد عنها مسافة أقل من يوم شمالي ضرية ، فخرج أهل تلك القرية يطلبون البقر ، فاقبضوا آثارها ، حتى وجدوا الآثار تلج في طخفة ، فعلمو أن الذى أخذها عمير وابنه غشام ، وهم يعلمون طرق تلك الهضبة الشاخة في السماء ، فولجوا الطرق ليلاً ، وأخذوا عليهم المسالك المؤدية إلى محلهم فقبل بزوغ الشمس أحس بهم عمير ، فأخذ بندقيته ، فلما علموا أنه علم بهم ثارت البنادق بين الطرفين فقتل عمير في حينه ، وقتل ابنه غشام رجلاً من أهل مسكة يقال له الهاجرى ، فأسر أهل مسكة غشام بن عمير ، وذهبوا به إلى بلادهم ، فقال مشاري الهاجرى أخو الرجل المقتول : إن الذى قتل أخى هو غشام ، وأسر في نفسه أن يقتله من غير أن يستأمر قومه ، فلما جن عليه الليل قتل غشاماً ، فثار رجال القرية فقالوا : تقتل رجلاً أسيراً بين أيدينا ، قال : قتلت قاتل أخى ، وأما عمير فسوقوا ديتته ، فأنهى بهم الأمر على أن ساقوا دية عمير ، فدفعوها لابنه الصغير وقبيلته .

وفى تلك الهضبة جرت معارك كثيرة في الإسلام ، فالأكثر من المواضع التى تمر عليها في كتابنا هذا إذا وجدنا موضعاً فيه يوم من أيام العرب في الجاهلية وجدنا به يوماً في الإسلام في الموضع نفسه .

الرجام

وأما الرجام فهي واقعة بين غول ومنى وطخفة ، وهى هضبات صغار على رؤوسها حجارة متصلة بعضها ببعض ، وفيها أبارق ، وهى بين السواد والحجرة ، ولا تزال باقية بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، فقد وقع في اسمها تغيير حيث أبدلوا الراء لاما فسميت اللجام ، وسألت شيخنا من أهل تلك الناحية فقلت : إن هذه الهضبات الصغار كانت تسمى في الجاهلية الرجام وذلك لأنها فيما يرى الناظر رجوم مبنية في رؤوس الهضاب ، وهى تسمى الآن « اللجام » فما السبب ؟ قال : إن هذا صحيح فإن مشايخنا يعرفون أنها الرجام ، ولكن في هذا العهد جاء رجل منا وقال : من سعى هذه الهضاب الرجام فقد أخطأ ، لو أنه سماها اللجام ، فقد سدت الطريق النافذ بين طخفة وغول كما يسد اللجام فم الفرس ، فتغلب هذا الاسم ، وبقي إلى هذا العهد ، وفي هذا الموضع نزل

جيش لأبي بكر أيام الردة قاصدا عمان ، وشربوا من ماء غول ، وبه يوم من أيام العرب في الجاهلية ، وبه يوم بين حرب وعتيبة في القرن الرابع عشر قريب النصف منه ، وفيه انهزم العقبان ، قال شاعر من بني عامر :

وطخفة ذلت والرجام تواضعت وأدعقن حتى مالهن جنان
أدعقن^(١) : وطئن قال الضبابي عن الأصمعي :

وغول والرجام وكان قلبي يحب الراكزين إلى الرجام
وقال الراجز :

كأن فوق المتن من سَنَامِهَا عنقاء من طخفة أو رجامها
* مشرفة النيق على أعلامها *

النيق : هي أعلى الشواهد من الجبال ، وقد عرفت أن هذا الموضع يسمى في هذا العهد اللجام .
أما الريان : فهو وادٍ بين طخفة وغول ، يتجه إلى جهة الشرق جاعلا الرجام على شماله حتى يصب في وادي الرمادية ، وهذا الوادي غير وادي الرمادية الواقع في طريق السيارات بين وادي طينان ووادي الرشا .

ووادي الريان معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير منه حرف واحد ، أما الأودية^(٢) المسماة بهذا الاسم فهي كثيرة : منها وادٍ يصب من جبل شهلان ويجتمع بوادي الشعراء ، وهو الذي قال فيه جرير :

يا حَبْدًا جبلُ الريان من جبل وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا
وحبذا نفحاتٌ من يمانية تأتيك من قِبَلِ الرِّيَّانِ أحيانا
ووادي الريان أيضا : يصب من جبل قريب معدن بنى سليم ، كان الرشيد ينزله إذا حج ، وبه قصور ، وقال الشريف الرضي في ذلك :

أيا جَبَلِ الرِّيَّانِ إن تَعَرَّ منهمُ فإني سأكسوكُ الدموعَ الجواريا
ويا قُرْبَ ما أنكرتمُ العهدَ بيننا نسيتمُ فما استودعتم السرَّ ناسيا
فيا ليتني لم أعلُ نَشْرا إليكمُ حَرَاما ، ولم أهبط من الأرض واديا

والريان : اسم لأطام المدينة ، وهو الذي قال فيه شاعر مدني :

(١) اختلف علماء اللغة في « أدعقن » فقال الأصمعي : لا يقال أدعقن - بالهمز - وإنما يقال دعقن - بغير همز ، وقال غيره : دعقن وأدعقن ، لغتان . (٢) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٦

لعل ضرارا أن يعيش يباريه وتسمع بالريان تبني مشاربه
وهناك وادٍ بالقرب من ضرية في نفس الحمى يقال له الريان ، وهو الذى عنقه الشاعرة بقولها:
ألا قاتل الله اللوى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غدينا زمانا بالحمى ثم أصبحت برأى الحمى من أهله قد تخلت
ألا مالعيني لا ترى قتل الحمى ولا جبل الريان إلا استهلت
وأما الذى عنه لبيد فهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد بين طخفة وغول ومنية ، وهو الذى
قال فيه الراجز :

خلية ألوانها كالطيقان أحمى لها الملك جنوب الريان
وكبشات فجنوبى انسان
وكبشات : قريب هذا الوادى المذكور .

* * *

٢ — وقال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَايِيعَ النُّجُومِ وَصَابِيَا وَدَقُّ الرِّوَاعِدِ جَوْدَهَا فَرَاهُمَا
مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدَجِّنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَابٍ إِزْرَامُهَا
فَعَلَا فُرُوعَ الْأَيْهَقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجُلْهَتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا
الأيهقان : نوع من النبات ، وقد غلط من قال : إنه موضع ^(١).

الجلهتان

الجلهتان : جنبات كل وادٍ يقال لها : جلتهتان ، وما ارتفع من الأرض ارتفاعا ليس بالكبير
يقال له : جلته ، ولا أعلم موضعا يقال له الجلهتان ، قال فى معجم ^(٢) البلدان : إن أبا زياد الكلأبى
قال : الجلهتان مكانان بالحمى حى ضرية ، وأورد بيت لبيد شاهداً ، وأنا لا أعرف موضعاً فى حى
ضرية يقال له : الجلهتان ، والذى أعرفه بما يقرب من هذا الاسم موضع يقال له « الجلوه » معروف
بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، ولا يزال إلى هذا العهد يعرف بالجلوه ، واقع بين نفود السر ونفود
قنيفذة ، إذا خرج السالك على طريق السيارات من مكة إلى الرياض من نفود السر . فهو على

(١) وما يؤيد أن « الأيهقان » نبت كما قلنا أنه يروى « فاعتم نور الأيهقان » واعتم : ارتفع
والنور - بفتح النون وسكون الواو - النوار ، و « فروع الأيهقان » فى روايتنا يروى مرفوعاً
ويروى منصوباً على معنى علا السيل فروع الأيهقان ، والرفع أجود ، ومعناه ارتفعت فروع
الأيهقان وطالت . (٢) انظر للمعجم ٣ / ١٣٠ .

يمينه ، حتى يحيز كئيب قنيفذة ، حدوده الجنوبية ماء الأنجل ، وهو ماء كثير بين أكتبة مرتكحة ، ماؤه مر ، واسمه في الجاهلية النجيلة ، قال في معجم^(١) البلدان : إن النجيلة واد بين اليمامة وحى ضرية ، وهذا واقع بين اليمامة وحى ضرية ، ولكنه تحديد بعيد الأطراف ، ويلى ماء الأنجل في جهة الجلوه الجنوبية جميل صغير يقال له المضباعة يعرفه جميع أهل نجد ، ولها ذكر في كلام العرب ، قال الشاعر :

فالجزع بين ضباعة فرصافة فعوارض جو البساس مقفرا
ومياهه الجنوبية : دلقان ، وسديرة ، ماء قديمة جاهلية ، وهى لبنى قشير فى الزمن القديم ، قال شاعر منهم :

تسألنى كم ذا كسبت ولم أكذ بنفسى من يوم السديرة أفلت
والمياه الواقعة فى حدوده الغربية : حلوان ، والطويلة ، والعجرى ، أما حلوان : فله ذكر فى أشعار العرب غير أنه غلب عليه ذكر حلوان العراق ، فاضمحل ذكر هذا .
ومياه الجلوه الشرقية : تبراك ، وهو ماء قديم جاهلى ، موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذى ذكره جرير فى شعره حين قال^(٢) :

إذا جلست نساء بنى تميمٍ على تبراك خبئن الترابا^(٣)
وهو الذى قال فيه ابن مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة وحيا بهبؤد جزى الله أسعدا
وحيا على تبراك لم أر مثلهم رجأ قطعت منه الحباثل مفردا
بكيت بمخصمى شنة يوم فارقوا على ظهر عجاج العشيات أجردا

وهو الذى قال فيه أبو كدراء رزين بن ظالم العجلي :
أرى الله نجاني وصدق بعد ما خشيت على تبراك أن لا أصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لاغب سرى طيلسان الليل حتى تمرقا
وقال شاعر من بنى تميم :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبراك فشسى عبقر
والأباتر التى ذكرها ابن مقبل : أكتبة واقعة شمالى قنيفذة على مسافة أقل من نصف يوم يقال لها البتر إلى هذا العهد ويلى تبراك ماء حديثة يقال لها « مشاش الرخان » .

ومياه الجلوه الشمالية كلها قديمة قد درست ، ولكن عثر عليها فبعثت فى صدر القرن

(١) انظر المعجم ٨ / ٢٧٠ . (٢) معجم البلدان ٢ / ٣٦٠ . (٣) فى المعجم « نساء بنى عمير »

الرابع عشر، فإذا هي آبارٌ منحوتة في الصفا طولها من ثلاثين باعا إلى خمسة وعشرين باعا كأنها من الفحات العادية، ماؤها عذب، وحدها الجنوبي بئر يقال له « سامودة » ويلها بئر يقال لها « البديعة » وحدودها الشمالية آبار كثيرة يقال لها « البعاث » واقعة في روضة كبيرة، وهذه الآبار حماها صاحبُ الجلالة الملك عبدُ العزيز آل سعود لحيله، وهي الآن معروفة في تلك الناحية باسم « الحمى » وجميعُ الجلوه التي ذكرنا واقعة بين كثيب السر وكثيب قنيفذة، إذا خرجت من نفود السر قاصدا مِراة فهي على يمينك، فإذا قطعت قنيفذة خلفتها، ومعظمها جنوبي طرف قنيفذة الشمالى .

* * *

٣ - وقال لبيد :

شَاقَّتْكَ ظُغْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكْنَسُوا فُطْنًا تَصِرُ خِيَامُهَا
زُجَلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تَوْضِيحَ فَوْقَهَا وَظَبَاءَ وَجَرَةٍ عُطْفًا آرَامُهَا
حُفَزَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بَيْشَةٍ أُمْلُهَا وَرِضَامُهَا
توضح : قد مضى الكلام عليها في معلقة ^(١) امرئ القيس .

ووجرة : قد مضى الكلام عليها في أشعار ^(٢) امرئ القيس في كتابنا هذا .

أما بيشة : فقد ذكرناها في مواضع كثيرة من كتابنا هذا عند ذكر تبالة ، وهي واد عظيم كثير النخل والزروع والكروم يصب من الحجاز متجها إلى جهة الشرق ، به مأسدة لها ذكر في أشعار العرب ؛ وكان يسكنها في الجاهلية من العرب : خثعم ، وهلال ، وسواء بن عامر بن صَعَصَعَة ، وسلول ، وعقيل ، والضباب ، وقريش ، وفي هذا العهد يقيم فيها قبيلتان ، هما : بنو سلول ، وبنو معاوية ، ولهما فيها مدينتان : مدينة بنى سلول يقال لها : الروشن ، ومدينة بنى معاوية يقال لها : نمران ، وقرأها كثيرة ، وبها سوق عظيمة يجتمعون فيها في آخر يوم الأربعاء ، ثم يتدنون صباح يوم الخميس ويستمرون إلى منتهى ذلك اليوم ، وهذا الموضع باقى إلى هذا العهد ، ووادى بيشة يُقَارَع وادى بيش ، فوادى بيش يصب في تهامة مغربا ، ووادى بيشة مشرقا ، وأعرابُ أهل تلك الناحية يسألون الرعاة : أين رعيتم ؟ فيقولون : ضحينا في وادى بَيْشْ ، وعشينا في وادى بيشة ، تجتمع سيولها أعنى بيشة بسيل وادى رنية ، وتنتهى في موضع يقال له « رغو » غربى الهضب ، وقد أكثر الشعراء من ذكر بيشة بله لبيد ، قال السهمري :

بيشة

وَأَنْبَثَ لَيْلَى بِالْفَرِيقَيْنِ سَلَمَتْ عَلَى وَدُونِي طَخْفَةً وَرَجَامُهَا
فَإِنِ التَّتِي أَهْدَتْ عَلَى نَائِي دَارَهَا سَلَامًا لَمَرْدُودَ عَلَيْهَا سَلَامُهَا
عَدِيدَ الْحَصَى وَالْأَثَلِ مِنْ بَطْنِ بَيْشَةَ وَطَرَفَائِهَا مَا دَامَ فِيهَا حَمَامُهَا
وهي من أكبر أودية الحجاز الجنوبية ، ويجاورها من الجهة الشمالية : وادي تَبَالَةَ ، ثم
وادي رنية ، ثم وادي تربة ، كل هذه الأودية عظام واقعة بين الحجاز واليمن ، ويليهما من الجهة
الجنوبية مقاطعة « أبها » وما حولها ، وهي مساكن أزد السَّرَاةِ في الجاهلية ، وبقايا عسير اليوم
من بقايا الأزد ، وجميع الجهات اليمانية لها أسواق معروفة ، كل مقاطعة تنقل من مكان إلى مكان
وهذه الأسواق تبتدىء بالسبت وتنتهى بالجمعة ، وفي كل يوم سوق في جهة من تلك المقاطعة للتجارة
والبيع والشراء ، فإن مرّ موضع من تلك المواضع في شعر وضحنا جهته وسكانه ، فإن من شروط
كتابنا ألا نذكر من المواضع إلا ماورد ذكره في شعر ، فلو لا ذكر بيشة في شعر لبيد لما ذكرنا
شيئاً من ذلك ، وبيشة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا
مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

وقد غلط أناس كثير في هذا البيت في الشطر الأخير منه ، والصحيح روايته هكذا ^(١) :

مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْجِبَالِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمَحْجَرٍ فَتَضَمَّنِيهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا

فَصُورَاتُكَ إِنِ أَيْمَنْتَ فُظُنَّةٌ مِنْهَا وَخَافُ الْقَهْرِ أَوْ طَلُخَامُهَا

الجبال : أراد بها جبال طيء ، والمشهور منها أجأ وسلمى ، وقد مضى ذكرهما .

وأما فَيْدٌ : فقد مضى ذكره في شعر زهير ^(٢) ، وهو واقع بمشارق جبلى طيء أجأ وسلمى ،

وقد تحررنا تحديده في شرح قول زهير :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا : إِنِ مَشْرَبُكُمْ مَاءٌ بِشَرْقِ سَلْمَى فَيْدٌ أَوْ رَكْكَ

وأما محجر : فهو موضع مشهور ، وقد تقدم الكلام عليه في أشعار امرئ القيس ^(٣) ، وأشعار

(١) ذكر التبريزي في شرح المعلقات — بعد أن روى البيت بالرواية الأولى — أنه يروى على

ما ذكرنا أنه الصواب (٢) انظر ص ١٢٧ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء

(٢٣ — صحيح الأخبار ١)

زهير ، وهو واقع بين شُعْبَى وعريق الدسم ، تنحجر فيه سيول شعبي ، ويسمى اليوم « الحجرة » هذا هو المعروف عند عامة أهل نجد .

فردة

وأما فردة التي عنها لبيد فهي باقية على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وأنا أعرف بهذا الاسم ثلاثة جبال صغار ، كل واحد منها يسمى فردة ، وهي باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما أحدها فواقع في بلاد طى منفرد من الجبلين أجاً وسلمى ، ويروى أن زيد الخيل لما قفل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ووصلها أخذته الحمى ، فأقام ثلاثة أيام ، عند حى من جرم ، فلما أحسن بالموت قال :

أَمْطَلَعَ صَحْبِي الْمَشَارِقَ غَدَوَةً وَأَتَرَكَ فِي بَيْتِ بَفَرْدَةٍ مَنْجَدٍ
سَقَى اللَّهُ مَا بَيْنَ الْقَفِيلِ فُطَابَةً فَمَا دُونَ أَرْمَامٍ فَمَا فَوْقَ مَنْشَدٍ
هَنَّاكَ إِنِّي لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهُمْ يَجْهَدُ
فَلَيْتَ اللّوَاتِي عُدْنِي لَمْ يَعُدْنِي وَلَيْتَ اللّوَاتِي غَبْنَ عَنِّي عُودِي

والمشارك التي ذكرها زيد الخيل هي مشارق الجبلين التي ذكرها لبيد .

وفردة الثانية مما أعرفه هي التي عنها لبيد ، وهي واقعة على ضفة الجريب الجنوبية الشرقية في معراجة إلى جهة الرمة تاركا جبال المضيج على يمينه ، فإذا أنت قطعت جبال المضيج فانظر فردة فهي هضبة حمراء شاهقة إلى السماء عن يمين الجريب ، وسميت فردة لانفرادها من جبال المضيج ، وهي التي عنها الراعي بقوله :

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحِ قُرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالْرَحَا
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقَدَّ أَهْلَهَا وَقَدْ يَكْرُمُ الْأَضْيَافَ وَالْقَدَّ يَشْتَوِي

وفردة الثالثة : هضبة صغيرة بين جبلي ذقانين ، وهي في عالية نجد الجنوبية .

وفردة التي مرّ ذكرها ، والتي عنها لبيد ، واقعة في عالية نجد الشمالية ، وفردة الأولى : واقعة بالقرب من جبلي طيء ، هذا الذي أعلمه بهذا الاسم في نجد .

تهامة

وأما تهامة : ففيها جبال كثيرة بهذا الاسم ذكّرت في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ولها ذكر في أشعار شعراء تهامة .

ثم إنى بعد أن انتهيت من ذكر فردة وتحديد أماكن ثلاثة أجبل يسمى كل واحد منها فردة عثرت على جبلين آخرين يسمى كل واحد منهما فردة ؛ الأول : جبل منقطع من جبلة المعروفة في عالية نجد يقال له « فردة جبلة » الثاني : جبل منقطع من جبل اليمامة مما يلي الأفلاج قريب

« الجوفيا » الطريق السالك إلى وادى الحر ثم السالك إلى الأفلاج ، ويقال له « فردة الجوفيا » وأما الجبال التى يقال لها « الفريدة » فهى كثيرة فى عالية نجد : منها فريدة دمع ، وهو الجبل المشهور الذى قد مر ذكره فى أشعار امرئ القيس عند ذكر غرور ، ومنها فريدة شعر ، وهى التى إذا توجهت من عفيف قاصداً الرياض ، وسرت ربع ساعة على ظهر سيارة ، ثم انعرج بك طريق القصيم فإنك تجد شعرا على شمالك ، يمر به ذلك الطريق ، وهو جبل أسود به ماء يقال لها « الأشعرية » تقف السيارات عندها أو قريبا منها ، وهذه الفريدة هى التى ذكرها فيحان ابن ثمر الرقاص من الروقة فى قصيدة له نبطية ، وقد أغار جلالة الملك عبد العزيز على الحفاة الذين منهم هذا الشاعر وأخذ إبلهم وهم قاطنون على « سجا » الماء المعروف فى عالية نجد ، وكسرت رجل ذلك الشاعر عند إبله وحمل إلى بلد الشعرا ، وبقي بها ينتظر برأه ، فتذكر أهله وأوطان قومه ، فقال قصيدة نبطية مشهورة منها :

ترحلوا من ديرة المذ والصاغ دار بخيله مير أهلها مشاكيل
تقلن الصبح والنقى قد راع والعصرىم الخنفسية مخاليل
عدوا فريدة شعر حيث أنه أسناع وإن كان ما شفتوا فمد واد رايل

ومنها فريدة الانكبر ، وفريدة بحيرة ، وفريدة أبو دخن ، ولكن هذين الموضعين يفردان ويجمعان فيقال : فرايد ، وفريدة أبو دخن ، وفريدة بحيرة . قال رجل من أهل القويعية ، وقد حل فى بلد الشعراء مريضا ، ولم يكن يحب أن يموت فى بلد الشعراء ويقبر فيها ، وإنما كان يحب أن يموت فى بلد القويعية ويقبر بها :

إن مت مروا بى فرايد بحيره وتنحروا بى دار وضاح الأنياى
ثم اقبرونى فى منازل منيره شرق عن البركة وغرب عن الباب

وفى الحمادة جبل يقال له « الفريدة » بين بلد القصب وبلد الحريق ، بين نفود الوشم وجبل طويق شمالى اليمامة ، وهناك جبل منقطع من جبل الأكموم يقال له « الفريدة ، فريدة الأكموم » وقد قال مصنف هذا الكتاب قصيدة نبطية لما استعاضت العرب ركوب السيارات من ركوب الإبل ، قال فيها :

أثر ركب البكس فى الدار البعيدة عندى أحسن من ركوب الموجفات
إلى أن قال :

ينشرون الصبح من خشم الفريدة حقت الأكموم والمسى مرات
ورخام : جبل أحمر ، وكان أعلاه مطلى برخام ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقع فى رخام

بلاد غطفان في جهة أبلي الشمالية الشرقية ، على ضفة وادٍ يقال له « الركو » وهذا الوادى يتجه سيله مُغَرَّبًا حتى يصب في الشعبة ، وسيلُ الشعبة يتجه إلى عقيق المدينة فيصب فيه ، ثم يتجه سمول تلك الأودية وتصب في وادى الحمض حتى تصب في البحر الغربى ، إذا كنت في طرف كشب الشمال الشرقى منه فانظر جبل رخام هنالك يطلع عليه القطب الشمالى ، وجميع الجبال المحيطة به سود إلا جبل رخام فإن أعلاه أبيض يقع غربى هضب « شَرَوْرَى » الذى يسميه الناس اليوم « هضب الشرار » والذى يقع بين جبل كشب وأبلى وحره بنى عبد الله بن غطفان التى في شرقها صفينة والسويرقية القرى المعروفة بهذه الأسماء في عهدنا هذا ، وأغلب أسمائها جاهلى ، ورُخام : يُعَدُّ من الجبال الواقعة في أعلى بلاد غطفان ، وهو - كما قلنا - لا يزال باقيا بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا .

صوائق

وصوائق : جبال حجازية واقعة بين بلاد هذيل وبلاد بنى سليم وبلاد الرثوة ، تقع شمالى وادى نخلة الشامية ، وقد يُظَنُّ أن صوائق التى حددناها غير التى عنها لبید ، وذلك لأن لبیدا يقول فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القهر أو طلخامها والمعروف أن وحاف القهر واقع فى اليمن ، وصوائق التى حددناها حجازية باقية إلى اليوم على هذا الاسم تعرف به ، ولكن ياقوتا الرومى يذكر فى معجم البلدان ^(١) عن أبى زياد : أن القهر فى أسافل الحجاز مما يلى نجداً من قبل الطائف . وقد أكثر الشعراء من ذكر صوائق هذه ، وهذا لبید يقول فى قصيدة أخرى :

أقوى فعُرَى واسط فبرام من أهله فصوائق فحرام

وصوائق فى هذا البيت هى صوائق الحجازية بغير شك ، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكرها قال أبو جندب الهذلى :

وقد عصبت أهل العرج منهم بأهل صوائق إذ عصبونى

ويقع كثيرا فى أشعار العرب أن أحدهم إذا ذكر صوائق ذكر معها برام ، وبران جبل به مياه مشهور بهذا الاسم عند أهل المدينة وباديتهم ، يقع قريب النقيع ، ذكروا أنه جنوبى المدينة على مسافة عشرين فرسخا ، وقد ذكر الزبير بن بكار أودية العقيق ، وقال فى كلامه : ثم قلعة برام ، وفيها يقول الحرق المزنى ، وهو ابن أخت مَعْن بن أوس المزنى المشهور ^(٢) :

وإنى لأهوى من هوى بعض أهله براما وأجزعا بهن برام

وذكروا أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي قد أغار على هوازن وهم في وادي برام فسبى منهم سبياً ، فقصدته أبو براء عامر بن مالك ملأعب الأسنة ، فطلبهم منه ، فأطلقهم له وكساهم ، فقال أبو براء :

ألم ترني رحلت العيس يوماً إلى أوس بن حارثة بن لأم
إلى ضخم الدسيعة مذحجتي نكاه من جديلة خير نأم
وفي أسرى هوازن أدركتهم فوارس طيء بلوى برام
تقرب ما استطاع أبو بجير وفك القوم من قبل الكلام
فما أوس بن حارثة بن لأم بغير في الحروب ولا كهام
وذكروا أن عبد الله بن الزبير لما تغلب على الحجاز نفى من المدينة من كان بها من بني أمية ، وكان فيهم أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، فلحق بالشام ، فحن إلى أوطانه ، فقال أشعارا يتشوق إلى تلك الأوطان منها :

ليت شعري وأين منى ليت ألقى العهد يلبس فبرام ؟
أم كهدي العقيق أم غيّرته بعدى الحادثات والأيام ؟
وبقوى بذلت لخمًا وعكًا وجذاما ، وأين منى جذام ؟
وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام
كل قصر مشيد ذى أواس يتغنى على ذراه الحمام
أقر منى السلام إن جئت قومي وقليل لهم لدى السلام
أقطع الليل كله باكتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدها ر وحادث عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم غت الدها ر وحرب يشيب فيها الغلام
ولقد حان أن يكون لهذا الـ بعد عنا تباعد وانصرام

فبلغت هذه الأبيات وغيرها من شعره عبد الله بن الزبير فقال : حن أبو قطيفة إلى وطنه ، من رآه فليبلغه عنى أنى قد أمنته ، فليرجع ثم رجع فمات قبل أن يبلغ المدينة .
وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي على ذكر برام وقد أجاد حين قال :

لقد أحيت ذات الروض حتي ترَبَّعها أداحي النعام
يسير بين خطم اللوذ عمرو فلوذ القارتين إلى برام

فصنح حَبَوْنِ فخليف صبح فنخل إلى رنين إلى بشام
وَرَامَ الذي قَرَنه الشعراء بصَوَاتِقُ قد قرنوه بمواضع آخر موجودة إلى هذا العهد على
أسمائها منها « خليف صبح » وقد غلط فيه كثير من أهل المعاجم بقولهم إن صبحاً موضع « أما
الخليف » المذكور فهو بخلاف على واد لقميلة يقال لها صبح في نواحي المدينة باقية بهذا الاسم إلى
هذا العهد ، وهم بطن من حرب يقال لهم صبح ، وصبوح : تفرع إلى بطون كثيرة .
وأما نخل فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على أشعار زهير ، وهو باق بهذا الاسم إلى
هذا العهد ، وقد حددنا مكانه على قول زهير .

تَرَبَّصْ فَإِنْ تَقُوَ المرواة منهم وداراتها لا تقو منهم إذا نخل
ورنين ، و بشام : باقيان على اسميهما هذين إلى هذا العهد ، وهما واقعان جنوبيَّ المدينة ،
وإنما أطلعنا في ذكر برام لأن الشعراء يذكرونه مع صوائق في مواضع كثيرة ، وصوائق التي ذكرها
ليبيد في قوله :

أقوى قَعْرَى واسط فبرام من أهله فصوائق فخرام
حجازية كما قلنا : برام ، وصوائق ، وحرام ، جميع تلك المواضع حجازية معروفة بهذه
الأسماء إلى هذا العهد ، كلها جبال ، صوائق بين حدود هَذِيل وسليم ، وحرام وبرام مما يلي المدينة
قريب وادي النقيع .

وقد تكون صوائق التي ذكرها ليبيد في معلقته حيث يقول :

فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القهر أو طلخامها
هي صوائق الحجاز ، إن صح كلام ياقوت الذي ذكرناه ، وقد تكون موضعاً آخر غير
صوائق الحجاز ، ولكن لم أعر عليه بهذا الاسم إلى هذا العهد ووجهُ هذا أنه قرنَها بالقهر وطلخام
فأما القهر المشهور فهو معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهي جبال في بلاد عبيدة
بطنٍ من قحطان بها معدن بارود ، وأهل نجد كلهم يعرفونه ، وشعراء بني عامر بن صعصعة
يذكرونه ، قال مزاحم العقيلي :

القهر

أتاني بقرطاس الأمير مجلس	فأفزع قرطاسُ الأمير فؤاديا
فقلت له : لامرحبا بك مُرسلاً	إلى ولا لبيَّ أميرك داعيا
أليست جبال القهر قعسا مكانها	وعروى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبي أن تُعدَّ ببابه	وما قد أزلَّ الكاشحون أماميا
ولا أستريم عُقبة الأمر بعد ما	تورط في يهماء كعبي وساقيا

وقال خِداش بن زُهَيْر في ذكر القهر :

فيا أخوينَا من أبينا وأمنَا إليكم إليكم ، لا سبيلَ إلى جسر
دَعُوا جانبي إني سأُنزل جانبا لكم واسعا بين اليمامة والقهرِ
أبي فارس الضَّحِياءَ عمرو بن عامر أبى الذَّمَّ واختار الوفاء على الغدر

وربما دلَّ على أن القهر الذي ذكره ليبد واقع في بلاد قحطان ، في الجهة اليمانية ، قولُ ليبد « إن أيمنت » فقد جعل القهر يمانيا ، وهو واقع في بلاد قحطان والقهر معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومعدن البارود الذي بها : معروف بقوة انتزاعه من البندقية وإصابته للفريسة ، وفي ذلك يقول شاعر أعرابي في أبيات له نبطية ، وهو شاعر معروف عند عامة أهل نجد يقال له : مخلد القشامي من قبيلة القشمة :

يالايمي يضرب على حَدِّ البهرِ يأخذ إلى حوله صوابه مجيفي
بمثنو منن حاديه خفان وأعشر وملح القهر وابواردى ظريف

المثومن : نوع من البندقيات كان مستعملا في زمن ذلك الشاعر ، والخفان : نوع من الكبريت الذي يخلط به البارود ، والعشر : الفحم من العشر وهو الذي يصير البارود أسوداً ، والملح : هو أصل البارود .

والقهر : يقرن في أشعار العرب في كثير منها بعروى . وعروى : موضع معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد تقدم في الشواهد الذي ذكرنا على القهر بيت شعر لمزاحم العقيلي ذكر فيه القهر وعروى وهو قوله :

أليست جبال القهر قعسا مكانها وعروى وأجبال الوحاف كما هيا

وعروى : منقطعة من عرض ابني شمام غربا قريبا منه ، وهو واد عظيم كثير المياه ، جاهلي ، استنبطه قوم من عتيبة من المقطعة والنفعة يرأسهم ابن حميد المقاتي ، وهي اليوم بلد بها نخل وزرع وعليها جبل مطل على بطن هذا الوادي شاهق إلى السماء ، يقال له « عروان » يتصل به في جهته جبيلات صغار يقال لها « عريويات » ويشمل تلك الناحية واديها وجبالها اسمُ عروى . وهذا الاسم يطلق على تلك الناحية ، وهو اسم قديم جاهلي ، وهو باقٍ إلى هذا العهد ، وهي واقعة في بلاد بني كلاب بن عامر بن صعصعة . وقال حديج بن العوجاء النصري ^(١) :

بمَلْمُومَةٍ عَمِيَاءَ لو قَدَفُوا بها شماريخ من عروى إذا عاد صفصفا

وقال ابن مقبل :

(١) انظر المعجم ٦ / ١٦١ .

يادار كبشة تلك لم تتغير بجنوب ذى بقر فخرم عصنصر
جنوب عروى فالقهاد غشيتها وهنأ فميج لى الدموع تذكري

أما ذو بقر الذى ذكره ابن مقبل فهو وادٍ معروف بهذا الاسم قريب منقطع جبل اليمامة فى
جهة الشمالية ، والقهاد التى ذكرها مع عروى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد جنوبى عروى ، وبين
بلد الرويضة و بلد الروضة هضبات يقال لها القهاد إلى هذا اليوم .

أما طلخام : فلا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم أو يقار به إلا موضعين : أحدهما : جبل فى بلاد
طى لبني شمعى فى الزمن القديم ، وهم بطن من طى ، يقال له « طخام » ليس به لام ، وهو بهذا
الاسم إلى هذا العهد ، وهو غير الذى عنده لبيد ، الثانى : يوجد على ضفة وادى الجريب الشمالية
هضبة سوداء شاهقة إلى السماء ، ويلبها هضبة صغيرة ، وحدثنى شيخ من أعراب تلك الناحية
يقال له فراج بن طويق من الحفاة ، وهذا الشيخ هو والد سويد بن طويق ازجل المعروف الذى
لم يهلك إلا قريب النصف من القرن الرابع عشر ، قال : إني أعرف أن هذه الهضبة الكبيرة
السوداء كان يقال لها طلخام ، والهضبة الصغيرة كان يقال لها طليخيم ، تصغير طلخام ، ثم إن القوم
سموا الهضبتين معا « طخفات » عوضاً عن طلخام ، وهذه الهضبات الواقعة على ضفة الجريب
الشمالية هى طلخام الذى ذكره لبيد ، وهى اليوم تعرف عند عامة أهل نجد بطخفات ، وأنا لم أجد
فى كتب المعاجم لطخفات ذكراً ، وهذا دليل على أن هذا الاسم كاحداثى فراج بن طويق ، ومائة
الغنية تقع جنوبى طخفات هذه على مسافة أقل من مسافة نصف يوم ، والدنائب المعروفة من
الدفينة تحت مطلع القطب الشمالى ، وهى من طلخام المعروفة اليوم بطخفات تحت مظهر سهيل على
مسافة يوم ، وليس فى عالية نجد جبل يسمى طخفة ، وله ذكر فى كتب المعاجم ، إلا طخفة المشهورة
التي بين ضربة ونفى .

طلخام

٥ - وقال لبيد يصف راحلته :

فلها هبابٌ فى الزمام كأنها صهباء خفَّ مع الجنوب جهامها
أو ملمعٌ وسقت لأخقب لآحه طردُ الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الإكام مسحج قد رابه عصيانها ووحامها
بأحزة الثلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها آرامها

الثلبوت : واد يكتفه آكام سود بين قطن وجبال الموشم والحاجر ، سيل ذلك الوادى

الثلبوت

يصبُّ في الرمة ، تسكنه بنو عبس من غطفان ، وهو واقع بين بلاد أسد وبلاد غطفان ، قال الخطيب^(١) :

ألم تر أن ذبيانا وعبسا لبغى الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجران ونحن حيُّ بنو عمِّ تجمعنا صلاحا
منعنا مدفع الثلبوت حتى نزلنا واكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا
وقال مرة بن عياش بن عم معاوية بن خليل النصرى ينوح على بنى جذيمة بن نصر :
ولقد أرى الثلبوت يألف بينه حتى كأنهم أولو سلطان
ولهم بلاد طالما عرفت لهم صحن الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكم أن الأجيفر قسمه شطران

انظر إلى هذه الأبيات الأخيرة فقد ذكر السبعان وذكر الأجيفر ، والأجيفر تصغير الأجر والسبعان والأجر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموقع السبعان من الثلبوت شمالا على مسافة يومين ، والأجر من السبعان في جهته الشرقية على مسافة يوم ونصف ، والسبعان موقعه قريب سلمى الجبل الثاني من جبل طى ؛ وبلى الثلبوت موضع يقال له التلييميت ، وهما باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفهما بعض سكان قرى الجوى ، وقد أخذ هذا الاسم يذهب عند أكثر أهل نجد ، وهو كثير في أشعار العرب ، وذكره في معاجمهم .

* * *

٦ - وقال لمبيد :

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت
عليت تردد في نهاء صُعائدٍ سبعا ثواما كاملا أيامها

صُعائد : موضع معروف واقع بين بلاد غطفان وبلاد بنى سليم ، من الفاصلات بين الحجاز ونجد ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال الشاعر^(٢) :

وتطربت حاجات رب قافل أهواء حب في أناس مصعد
حضرُوا ظلال الأثل فوق صُعائد ورموا فراخ حمامه المتغرد

وأنا لا أعرف موضعا بهذا الاسم في هذا العهد ، وقد غلط كثير من أهل المعاجم بين صُعائد

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢١ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٥٧ .

وضعائق فأما صمائد : فهي على ما ذكرت ، وأما صمائق : فهي موضع بنجد في ديار بني أسد كانت فيه حرب ، وموضعه - على ما ذكروا - بين سميراء ورمان ، وأنا لا أعرفه .

* * *

٧ - وقال لبيد :

وَكثِيرَةٌ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٌ تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا
غُلْبٌ تَشْدَرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدْيِ رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا
أُنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُوتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَى كِرَامِهَا

ذكره البدى يحتمل أنه قصد جنَّ البادية كما قال عنتره في شطر بيت :

البدى

* إنسٌ إذا قعدُوا جنٌّ إذا ركبوا *

فأما البدى : الذى ذكرته الشعراء في أشعارها فيظهر لى أنه واديان كل واحد منهما يسمى البدى ، أحدهما : يصب في الركاء ، واقع في القطعة الجنوبية من نجد . والثانى : يقع في شرق القصيم ، قال لبيد في بيت غير الذى تقدم :

جعلن حراج القريتين وعالجا يمينا ونكبن البدى شمائلًا

أما القريتان : فهما معروفتان ، واقعتان شرقي عنيزة ، بهنهما عبد الله بن عامر بن كريز ، وقد تغير اسمهما قليلا ، وهناك في روضة الزغبية الواقعة من عنيزة في الجهة الشرقية موضع يقال له « القرية » بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وعالج الذى ذكره لبيد : رمال مرتككة تقع شمالي النباج الذى يسمى الأسياح اليوم ، يقال له اليوم العروق .

والبدى : لا أعلم موضعا في جهة القصيم يقال له البدى ، إلا موضعا واحداً اسمه يقارب هذا الاسم يقال له « اللبىد » يقع بين النباج وبلد بريدة ، يحميمه العامل على بريدة لمواشيه ، وهو موضع خصب .

ومن الدلائل الواضحة على أن الذى يسمى البدى موضعان قول الراعى :

يظفن بجون ذى عثمانين لم تدع أشاقيص فيه والبديان مصنعا
فتناه الراعى في هذا البيت ، وقال امرؤ القيس ^(١) :

أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لَهُ اللَّوْىُ فَوَادَى الْبَدْيِ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ

(١) انظر ص ٨١ من هذا الجزء ، ومعجم البلدان ٢ / ٩٢

قَعَدْتُ لَهُ^١ وصحبتى بين ضارج وبين تلاع يثلث فالعريض
هذا الوادى الذى ذكره امرؤ القيس هو الواقع فى القطعة الجنوبية من نجد ، وقال الأعشى :
أتنسين أيا ما لنا بدحيضة وأيامنا بين البدى فتهمدا
وهذا الموضع الذى ذكره الأعشى هو الواقع فى شرق القصيم الذى ذكرنا أن « البديد » عنده
أو قريب منه ؛ لأن الأعشى قرنه بدحيضة ، ودحيضة ماء لبني تميم ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم
اليوم ، ولكنها - فيما حدّده أهل المعاجم - واقعة فى القطعة الشرقية الشمالية من نجد .
وأما وادي البدى الذى يقع فى القطعة الجنوبية من نجد فقد أوضحه لبيد نفسه ، وذلك
حيث يقول :

لاقي البدى الكلاب فاعتلجا سيل أتيهما لمن غلبا
فدعدعا سرّة الركاء كما ددع ساقى الأعاجم الغربا
ذكر لبيد أن سيل الكلاب والبدى يجتمعان حتى يصُبان فى السرّة ، ثم تتجه السيول إلى
الركاء ، أما الكلاب : فقد تقدم الكلام عليه فى أشعار امرئ القيس ، وهو اليوم يسمى
« وادى قحقح » على ما ذكرناه وأطلقنا فى الاستدلال لما ذكرناه ، وليس يجتمع بسيل هذا
الوادى - على ما بين لبيد - إلا سيل وادى يقال له اليوم « الجلة » فهو إذن البدى الذى وقع فى
معلقة لبيد ، ودليلنا على ذلك هذا الذى يقوله لبيد نفسه فى البيتين اللذين أترناهما لك ، وشيء
آخر يدل على أن هذا البدى هو « الجلة » وذلك أنهم عثروا فى هذا الوادى على بئر قديمة كانت
قد طمرت ، فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب تلك الناحية من بنى شيبان - وهم بطن من
عتيبة - : إن هذه البئر كان يقال لها « البدية » ؛ فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل على أنهم
أضافوها إلى وادى البدى الذى تقع هى فيه ، وأن الوادى كان له هذا الاسم . وأكثر سيول نجد
الجنوبية تصب فى وادى الركاء ، فأما الأودية التى تصب فى وادى السرّة قبل أن تجتمع بوادى
الركاء فهى : وادى قحقح ، ووادى الجلة ، ووادى البيضا ، وجميع أودية جبل العلم وأودية جبل
دمخ ، كل هذه الأودية تصب فى وادى السرّة ، وأما أودية شُريف نجد فهى : وادى شيبكان ،
ووادى الشبكة ، ووادى الشاة ، ووادى الشواة ، ووادى حلبان ، ووادى عليان ، ووادى عصيل ،
جميع تلك الأودية تصب فى وادى السرّة ، وجميع أودية الحجرة المجاورة لبلد الروضة روضة العرض
شمالها وادى عصيل ، وجنوبها أودية صبحا والأنكير ، جميع هذه الأودية تصب فى السرّة ، ثم
تجتمع سيول تلك الناحية فى بطن السرّة ، وتتجه جنوبا إلى وادى الركاء .

ووادى الركاء متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية ، والقاسم بين وادى السرة ووادى الركاء جبل الحصة المشهور في الجاهلية بالحصاء ، ووادى الحصة يجعل ذلك الجبل على شماله ، ووادى السرة يجعل ذلك الجبل على يمينه ، فإذا خلفا ذلك الجبل اجتماعا ، وانقطع ذكر السرة ، وبقى وادى الركاء ، ثم اتجه قاصدا مطلع الشمس ، ثم يأتيه وادى لنجع ، ووادى العمق ، ووادى بتران ، ووادى قران ، جميع تلك الأودية تصب في وادى الركاء ، ووادى بتران ووادى عمق من أكبر تلك الأودية ، وبتران واقع في طرف بلاد بنى عامر الجنوبية ، قال مجنون بنى عامر صاحب ليلي :

وأشرفت من بتران أنظر هل أرى خيالا لليلي رأية وترانيسا
فلم يترك الإشراف في كل مرقب ولا الدمع من عينيك إلا المأقيا
وقال عمرو بن معديكرب يذكر عمقا :

لمن طلل بالعمق أصبح دارسا تبدل آراما وعيما كوانسا
بمعترك ضنك الحبيبا ترى به من القوم محدوسا وآخر حادسا
تساقط به الأبطال حتى كأنها حتى براها السير شعنا بوانسا

وقد غلط ناس كثير بين عمق والعمق ، فأما العمق فواقع في بلاد بنى عبد الله بن غطفان وعمق الذى أوردناه واقع في القطعة الجنوبية من نجد ، والعمق ميمه مفتوحة ، وهو الذى قال فيه الراجز :

كأنها بين شرورى والعمق وقد كسون الجلد نظا من عرق
نواحة تلوى بجلباب خلق

و بتران والعمق كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، فإذا اختلطت سيول تلك الأودية بوادى الركاء وهو متجه إلى جهة مطلع الشمس انخرج إلى جهة الشرق ، ثم يأتيه وادى الرين وهو وادٍ عظيم به قصور ومزارع ونخيل لأهل بلد القويعة ، ثم يتجه وادى الركاء وتأتيه أودية صفار بعد أنكمل سيله الذى يسير إليه من أودية الزيدى وأودية العريف وأودية جبال السودة وجبال الحصة وجبال صبيحا ، والأودية الصفار تأتيه من جبال صغرى المضبة فيصب فيه ، ثم يردده كئيب يقال له « نفود الدحى » ويتجه ذلك الوادى إلى الجهة الشرقية الشمالية ، فإذا انقطع عنه ذلك الكئيب انخرج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى أعلى وادى برك الواقع في اليمامة ، ثم يصب فيه ، وتختلط سيول الركاء بسيل وادى برك ، ويتجه إلى الجهة الشرقية الشمالية ، فيصب في وادى الخرج بعد ما تجوز بلد الحوطة وقراها ، ويأتيها وادى ماوان ، ووادى نساح ، ووادى الأوسط ،

ووادى الحائر ، ووادى حنيفة ، ثم تجتمع تلك السيول العظيمة فى موضع يقال له السهى فى جهة الخرج الشمالية الشرقية ، وهذا الاسم اسم جاهلى قديم يقال لها السهى ، قال جرير :
 كَلَنْتُ صَحْبِي أَهْوَآءًا عَلَى ثِقَةٍ اللَّهُ دَرُهُمْ رُكْبًا وَمَا كَلَفُوا
 سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهَى وَدُونَهُمْ فَيَحْزَنُ فَالْحَزَنُ فَالْصَّيْمَانُ فَالْوَكْفُ
 يُزْجُونَ نَحْوَكَ أَطْلَاحًا مُخَذَّمَةً قَدْ مَسَّهَا الْفُكْبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْعَجْفُ

وقد كنت قبل أن أكتب هذه الكتابة عن سيل وادى الركاء ومسيره واتجاهه أشك فى أنه يصب فى وادى برك ، وكنت أظن أنه يقف بين كئيب الدحى وجبل العارض ، ولكنى أخذت هذه الأخبار عن الثقات الواقفين على حقيقة أمره وسيره عند جريانه ، وقد شاهدوه بأعينهم وهو يصب فى وادى برك ، وقالوا : إن وادى برك أطمئن من وادى الركاء أكثر من مائة وخمسين مترا ، وكنت أظن قبل ذلك أن وادى الركاء أطمئن من وادى برك بمائتى متر ، ولكنى أخذت الخبر عن الثقات ، وكتبت بعد التثبت ، فهذا الوادى العظيم - أعنى وادى الركاء - أعلاه تأتية سيول من جهة ذقانين والدخول وتنتهى فى أسفل وادى الخرج ، وهذه المسافة قريب شهر لسيير حاملات الأثقال من الإبل ، وقد انتهينا من سيول الرشا وأوديته ، وسيأتى الكلام على سيول الرمة فى موضعها عند بيان موضع تلك الجهة .

* * *

٨ - وقال لمبيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتِفِهَا بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهِ أَعْلَامُهَا
 أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ بُدِلَتْ لَجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا
 فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةً مُخْصَبًا أَهْضَامُهَا

تبالة : وادٍ فى جهة بيشة ، وهو وادٍ عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى تبالة الكلام عليه فى أشعار امرئ القيس ^(١) .

انتهت معلقة لمبيد ، وهى المعلقة الرابعة من العشر .

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء .

٥

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ النَّخْلِيِّ

عمرو بن كلثوم التغلبي

مات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وخمسين سنة تقريباً
هو عمرو بن كلثوم التغلبي الذي ينتهي نسبه في تغلب بن وائل ثم يمتد إلى جديلة بن أسد
ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ذكر المواضع الواردة في معلقته :

١ - أَلَا هُبِّي بِصَخْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي مُخُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشْعَشَعَةً كَأَنَّ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا مَصْحِينَا

الأندرين : اسمُ قرية ^(١) في جنوبي حَلَبَ ، بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب ، في
طرف البرية ، ليس بعدها عمارة ، وهي الآن خراب ليس فيها إلا بقية جدران ، وأهل تلك
الناحية يعرفونها بهذا الاسم ، وكانت تباع فيها الخمر في الجاهلية ، وهي التي عنها عمرو بن كلثوم
وقد اختلف أهل اللغة وأهل المعاجم في لفظها ؛ فمنهم من قال : إنها جمع أندري - بياء النسبة -
فلما جمع اجتمع فيه ثلاث ياءات ، فحذف ياء النسبة كما قالوا « الأشعرين » في جمع أشعري ، وقال
الأزهري : الأندر : قرية بالشام فيها كروم ، وجمعها الأندرين .

* * *

٢ - وقال عمرو بن كلثوم :

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مُجْرَاهَا الْيَمِينَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا
وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلِكَ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا

بَعْلِكَ : اسمُ لمدينة من أعمال دمشق ، وكان بها صنم لقوم إلياس النبي عليه السلام ،
وهو الذي قال الله جل ذكره فيه (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلم يطلق هذا الاسم
على هذه المدينة إلا بعد أن وضع هذا الصنم فيها ، وهو معظم عند اليونانيين ، وقد أطل السكلام
عليه أهل المعاجم وذكروا فيه روايات كثيرة ، وهذا الاسم معروف إلى هذا العهد عند جميع أهل
تلك الناحية .

دمشق : معروفة بدمشق الشام ، وهى عاصمة سوريا اليوم ، قال فى معجم البلدان ^(١) : دمشق البلد المشهور ، قصبة الشام ، وهى جنة الأرض بلا خلاف ، لحسن عمارة ، ونضارة بُقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب ، هذه عبارة من عبارات المعجم ، وقد أطل عليها صاحب معجم البلدان ، ومما قيل فى دمشق وحسنها ونضارتها من الفرو وال نظم قول أبى المطاع ابن حمدان فى وصف دمشق :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلى بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفنى إلى بردى واليربين حنين
وقد كان شكى فى الفراق يروغى فكيف أكون اليوم وهو يقين
فوالله ما فارقكم قاليا لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون
وقال الصنوبرى :

صفت دنيا دمشق لقاطنيها فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
مكلاة فواكههن أبهى ال مناظر فى مناظرنا وأهيا
فمن تقأحه لم تعد خدا ومن أترجة لم تعد ثديا
وقال البحتري :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطربها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمنى السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبات فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيمته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال أبو محمد بن عبد الله النقاد يمدح دمشق :

سقى الله ما تحوى دمشق وحيّاها فما أطيب اللذات فيها وأهناها
نزلنا بها واستوقفنا محاسن يحن إليها كل قلب ويهواها
لبسنا بها عيشا رقيقا رداؤه ونلنا بها من صفوة اللهو أغلاها
وكم ليلة نادمت بدر تمامها تقصت وما أبقت لنا غير ذكرها

فَأَهَا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ وَقُلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ قَوْلَتِي آهَا
فِيَا صَاحِبِي إِمَّا حَمَلْتُ رِسَالَةً إِلَى دَارِ أَحِبَّابٍ لَنَا طَابَ مَغْنَاهَا
وَقُلْ ذَلِكَ الْوَجْدُ الْمُبْرَحُ ثَابِتٌ وَحَرَمَةُ أَيَّامِ الصَّبَا مَا أَضْعَفْنَاهَا
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ أَنْسَتْ عَهْدَنَا فَلَسْنَا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى نَتَنَاسَاهَا
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَحْطُ صَبَابَاتِ النَفُوسِ وَمَثْوَاهَا
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِقَرَبِهَا فَمَا كَانَ أَحْلَاهَا لَهَا وَأَمْرَاهَا
وَقَالَ آخِرُ فِي ذِمِّ دِمَشْقٍ :

إِذَا فَآخَرُوا قَالُوا مِيَاهُ غَزِيرَةٍ عِذَابٌ وَلِلظَّامِ سُلَافٌ مُرَوِّقُ
وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ جَنَّةٌ اخْلُدْ جَلِّقُ وَقَدْ كَذَبُوا فِي ذَا الْمَقَالِ وَخَرَقُوا
فَمَا هِيَ إِلَّا بِلْدَةٌ جَاهِلِيَّةٌ بِهَا تَكْسِدُ الْخِيَرَاتُ وَالْفَسَقُ يَنْفَقُ
فَحَسْبُهُمْ جَيْرُونَ خِرَاءً وَزِينَةً وَرَأْسُ ابْنِ بِنْتٍ لِلْمُصْطَفَى فِيهِ عُلُقُوا
ودمشق باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

قاصرين

وقاصرين : بلدة عظيمة مما يلي بالس ، قال في معجم البلدان ^(١) : بالس بلدة بالشام بين حلب والرقّة ، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت على ضفة الفرات الغربية ، فلم يزل الفرات يُشْرِقُ عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال .

قال البلاذري في فتوح البلدان : سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين ، وقدم مقدمته إلى بالس ، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الفهري إلى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشرف الروم أقطيعا القرى التي بالقرب منهما ، وجُعِلَا حافَظَيْنِ لما بينهما من مدن الروم ، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء ، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ ، وإنما اتخذ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف ، ويقال : بل كان له رسم قديم ، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبهادى ، ثم رفضوا قاصرين ، وبلغ أبو عبيدة إلى الفرات ، ثم رجع إلى فلسطين ، فكانت بالس والقرى المنسوبة إليها كقاصرين وغيرها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعزاء عشيرة ، فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازياً إلى الروم من نحو الثمور الجزيرة عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل بوبلس وقاصرين

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٤٦ ثم انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٧ .

وعابدين وصفين ، وهى قرى منسوبة إليها ، فسأله جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووقوا له بالشروط ، ورمّ سور المدينة وأحكمه ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته ، فلم تزل فى أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية وقبض عبد الله بن على أموال بني أمية ، فدخلت فى تلك الأموال ، فأقطعها السفاح محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما مات صارت للرشيد فأقطعها ابنه المأمون ، فصارت لولده من بعده .

والداعى إلى ذكر بالس أن قاصرين لم تذكر إلا معها فى تلك العبارات ، وقاصرين باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفها أهل تلك الناحية .

* * *

٣ — وقال عمرو بن كلثوم :^(١)

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجِدِي أَمْ سَقَبَ أَضْلَتُهُ فَرَجَعَتِ الْحَيْنَا
وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهاً لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَيْنَا
تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ مُحُولَهَا أَصْلاً حُدِينَا
فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْتَحَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

اليمامة : اختلف أهل اللغة فى تسميتها اليمامة واشتقاقها ، قال الأصمعى : اليمام ضرب من الحمام البرى ، واحِدَتُهُ يمامة ، واستدل فى آخر هذه العبارة بقول المار الفقعسى :

إِذَا خَفَّ مَاءُ الْمَزْنِ فِيهَا تَيْمَمَتْ يِمَامَتُهَا أَيْ الْعِدَادِ تَرُومُ ؟

وكانت فى الزمن القديمة مساكن طنم وجديس والعماليق ، سكنتها سنين قديمة ، وقاعدتها حَجَرُ اليمامة ، وتسميتها باليمامة تسمية قديمة ، لأن زرقاء اليمامة مضافة إليها ، وهى امرأة من طنم كانت متزوجة فى جديس ، وهم فى أوائل القرون البائدة ، فإن كان الذى ذكره الأصمعى صواباً أن اليمامة الحمامة ، فالجبل المحيط باليمامة يقال له طوق اليمامة كطوق الحمامة ، فصغر حتى سمي طويقاً وجو اليمامة : هو الواقع شرق الأكمة الحجر مما يلي بلد المزاحمية ، قال جحدر اللص^(٢) فى ذكر جو :

وإنَّ امرأً يَعْدُو وَحَجَرَ وَرَاءَهُ وَجَوْ وَلَا يَفْزُوها لَضَعِيفُ

(١) البيتان الأول والثانى متأخران فى رواية المعلقات عن الثالث والرابع .

(٢) انظر المعجم ٣ / ١٧٧ .

إذا حُلَّةٌ أَبْلَيْتُهَا ابْتَعْتُ حُلَّةً بسانية طوع القياد عليف
سعى العبد إنرى ساعةً ثم رَدَّهُ تذكُّر تنوير له ورَغِيفُ
وقال بعضهم ، وهو الأعشى يقوله وهو وافد على هُوَذَةَ بن على الحنفى :
تَجَانَفُ عَنْ جَوِ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَاكَ عَنْ أَهْلِهَا إِسْوَانِكَ

وهو من مساكن هُوَذَةَ بن على الحنفى الرجل الكريم الجواد العاقل ، ولكن لم ينفعه
عقله بشيء ؛ فقد أدرك الإسلام وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إليه ، فأبى وخرج
إلى بلاد عبد القيس وهلك بها ، وهو من مشاهير العرب ، وقد على كسرى فأداناه من مجلسه وسأله
وأعجب بكلامه ، قال له كسرى : كم لك من الولد ؟ قال : أَحَدٌ عَشَرَ وَلِداً ، قال : أيهم أحب
إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يثوب ، ثم التفت كسرى
إلى أشراف قومه من العجم فقال : أسمعتم كلام هذا العربى ؟ ما أحسنه ! ثم التفت إلى هُوَذَةَ
ابن على فقال : ما نحتاج بلادك ؟ فقال : البر ، فقال : نعم المأكل إنه يصفى العقل ويقوى الدماغ
قال مصنف هذا الكتاب : كنّا فى مجلس وقرأنا هذه العبارة فى كتاب الأغاني ، وفى
ذلك المجلس الشيخ عبد الله بن حمد الدوسرى قاضى الحوطة اليوم ، وهو فى ذلك الوقت قاضى
بلد القويعة مدينة العرض ، فالتفت إليه ، وقلت له : يا شيخ إن نحتاج بلادكم فى العرض البر ،
ولكنى لم أجد عقل هُوَذَةَ بن على فيكم ولا قريباً منه ، فضحك والتفت إلى . ثم قال :
يا أخى إن البر الذى تنتج بلادنا ثلثاه شعير ، فإن وجدت اختلافاً فى العقول فهو منه .
ولهوذة بن على أخبار طويلة تملأ صفحات التاريخ .

اليامة : يطلق هذا الاسم على جميع أنحائها ، وفي أخبار المغازى عبارات كثيرة منها : افتتحت
اليامة فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقتل مسيلة الكذاب سنة ٥١٢ هـ ، ورئيس الجيش
خالد بن الوليد رضى الله عنه ، أخذها عنوة ، ثم صولحوا ، ذكروا أنه لما قرب منهم خالد بن الوليد
خرج مسيلة الكذاب وعسكر فى عقرباء ، وعقرباء موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ،
قريب بلد مسيلة التى قتل فيها ، قتلُه وخشي ، وهو عبد أسود مولى لجبير بن مطعم ، وهو قاتل
حمزة رضى الله عنه يوم أحد ، وللمسلمين وبنى حنيفة وقائع فى نواحي عقرباء كثيرة قبل قتل
مسيلة ، قال ضرار بن الأزور ^(١) :

ولو سئلت عفا جنوب لأخبرت عشيّة سالت عقرباء وملهم

وسال بفرع الواد حتى تفرقت حِجَارَتُهُ فِيهِ مِنَ الْقَوْمِ بِالْذَّمِّ
عَشِيَّةَ لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمَصْمُومُ
فَإِنْ تَبَتَّغَى الْكُفَّارَ غَيْرَ مُنِيبَةٍ جَنُوبَ فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينِ مَسْلُومُ
أَجَاهِدْ إِذَا كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمَةً وَلِلَّهِ بِالْمَرْءِ الْمَجَاهِدِ أَعْلَمُ

والقاعدة الثانية بعد قاعدة جوّ هي قاعدة حَجَرِ الموجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم في بلد الرياض قاعدة المملكة العربية السعودية اليوم ، وأطال المؤرخون الكلام على حجر . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ^(١) : خرجت بنو حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل يتبعون الريف ويرتادون السكلا ، حتى قاربوا اليمامة على السّمت الذي كانت عبدُ القيس سلكته لما قدمت البحرين ، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة منتجعاً بأهله وماله يتبع مواقع القطر حتى هَجَمَ على اليمامة ، فنزل موضعاً يقال له : قارات الجبل ، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة ، فأقام بها أياماً ومعه جاره من اليمن من سعد العشيرة ثم من بني زبيد فخرج راعي عبيد حتى أتى قاع حَجَرٍ فرأى القصور والنخل وأرضاً عرف أن بها شأناً ، وهي التي كانت لطسم وجديس ، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً ، فقال : والله إني رأيت أطاماً طوالاً وأشجاراً حساناً ، هذا حَمَلُهَا ، وأنى بالتمر معه مما وجدته منتثراً تحت النخيل ، فنناول منه عبيد وأكل وقال : والله هذا طعام طيب ، وأصبح فأمر بِحِزْزٍ فَنَحَرَتْ ، ثم قال لبنيه وغلماناه : احترزوا حتى آتيكم ، وركب فرسه ، وأردف الغلام خلفه ، وأخذ رمحاً ، حتى أتى حَجَرًا ، فلما رآها لم يَحُلْ عنها ، وعرف أنها أرض لها شأن ، فوضع رمحاً في الأرض ، ثم دفع الفرس ، واحتجز ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حَجَرًا ، وكانت تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها ، فقال في ذلك :

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادوا وحلّوا ذات شيد حصونها
فصاروا قَطِيبًا للفلاة بَعْرِيَّةَ رَمِيَا ، وصرنا في الديار قطينها
فسوف يليها بعدنا مَنْ يَحْلُهَا ويسكن عرضاً سهلها وحزونها

ثم ركز رمحاً في وسطها ، ورجع إلى أهله فاحتلمهم حتى أنزلهم بها ، فلما رأى جاره الزبيدي ذلك قال : يا عبيد الشرك ، قال : بل الرضا ، فقال : ما بعد الرضا إلا السخط ، فقال عبيد : عليك بتلك القرية فانزلها ، القرية بناحية حَجَرٍ ، على نصف فرسخ منها ، فأقام بها الزبيدي ثم فرض ^(٢)

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٢١ (٢) غرض - بالغين المعجمة - أي ضجر وسئم ومل .

فأتى عبيداً فقال له : عَوِّضْنِي شَيْئاً فَإِنِّي خَارِجٌ وَتَارِكٌ مَا هُنَا ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ بَكْرَةً ، فَخَرَجَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، وَتَسَامَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ بِمَا أَصَابَ عَمِيدَ بَنٍ ثَعْلَبَةَ ، فَأَقْبَلُوا فَفَزَلُوا قَرَى الْيَمَامَةِ ، وَأَقْبَلَ زَيْدُ بْنُ يَرْبُوعٍ عَمَّ عَمِيداً حَتَّى أَتَى عَمِيداً فَقَالَ : أَنْزِلْنِي مَعَكَ حَجْراً ، فَقَامَ عَمِيدٌ ، وَقَبِضَ عَلَى ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَنْزِلُهَا إِلَّا مَنْ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ ، يَعْنِي أَوْلَادَهُ ، فَلَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا وَلَدُهُ ، وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا عَمِيدِي ، وَقَالَ لَعَمْرِي : عَلَيْكَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الزَّيْدِي فَانْزِلْهَا ، فَانْزَلَهَا فِي أُخْبِيَةِ الشَّعْرِ حَتَّى بَنَوْا الْقُصُورَ ، وَكَانَ عَمِيدٌ يَقُولُ لَوْلَدِهِ : انْطَلِقُوا إِلَى بَادِيَتِنَا ، يَرِيدُ عَمَّهُ ، فَيَمْضُونَ يَتَحَدَّثُونَ هُنَاكَ ، فَمَنْ ثَمَّ سَمِيتَ الْبَادِيَةَ ، وَهِيَ مَنَازِلُ زَيْدٍ وَحَبِيبٍ وَقُطْنٍ وَلَمِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ بَنٍ ثَعْلَبَةَ بْنِ الدَّوْلِ بْنِ حَنِيفَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ عَمِيدٌ يَفْسِلُ الْفَخْلَ ، فَيَغْرِسُهَا فَيَخْرُجُ وَلَا تَخْلَفُ فَفَعَلَ أَهْلُ الْيَمَامَةِ كُلُّهُمْ ذَلِكَ ، فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَسْمِيَتِهَا حَجْراً ، وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشَّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا وَالتَّشَوُّقُ إِلَيْهَا ، فَرَوَى عَنْ نَفْطُوِيهِ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ مُوسَى الْكَلَابِيَّةُ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَجَرِ الْيَمَامَةِ وَنَقَلَهَا هُنَاكَ :

قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ حَجْراً أَنْ أَلُمَّ بِهَا وَأَنْ أَعِيشَ بِأَرْضِ ذَاتِ حَيْطَانٍ
لَا حَبِذَا الْغُرْفِ الْأَعْلَى وَسَاكِنَهُ وَمَا يَضْمَنُ مِنْ مَالٍ وَعَبْدَانِ
أَبَيْتُ أَرْقُبَ نَجْمِ اللَّيْلِ قَاعِدَةً حَتَّى الصَّبَاحِ وَعِنْدَ الْبَابِ عَلِجَانِ
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّي أَنْ يُعَاقِبَنِي لَقَدْ دَعَوْتُ عَلَى الشَّيْخِ ابْنَ حَيَّانِ

وَلَعَلَّ الشَّيْخَ ابْنَ حَيَّانَ هُوَ الَّذِي عَقَّدَ لَزَوْجِهَا عَلَيْهَا .

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جِشْمٍ بَكَرَ يُقَالُ لَهُ جَعْدَرُ اللَّصِّ يُخَيِّفُ السَّبِيلَ بِأَرْضِ الْهَيْمِ ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ الْحِجَااجَ بْنَ يَوْسُفَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْهَيْمِ يُشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي طَلْبِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَجِدُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى الْحِجَااجِ بِوَاسِطٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : كَلَبُ الزَّمَانِ ، وَجَرَأَةُ الْجَنَانِ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ ، فَحَبَسَ ، فَخَنَّ إِلَى بِلَادِهِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ حَجَرِ فَقَالَ :

لَقَدْ صَدَعَ الْفُؤَادَ وَقَدْ شَجَّانِي بِكَاءِ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَجَاوَبَتَا بِصَوْتِ أَعْجَمِي عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ
فَأَسْبَلْتُ الدَّمُوعَ بَلَا احْتِشَامِ وَلَمْ أَكْ بِاللَّيْمِ وَلَا الْجَبَانِ
فَقُلْتُ : لَصَاحِبِي دَعَا مَلَامِي وَكُفَّ اللَّوْمَ عَنِّي وَاعْذَرَانِي
أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ أَيُّهَا الْبَرَقُ الْيَمَانِي
وَأَهْوَى أَنْ أَعِيدَ إِلَيْكَ طَرْفِي عَلَى عُدَوَاءٍ مِنْ شَغْلِي وَشَانِي

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدانى
بلى ، وترى الهلال كما أراه ويعلموها النهار كما علانى
فما بين التفرق غير سبغ بقين من المحرم أو ثمان
ألم ترى غذيت أبا حروب إذا لم أجن كنت جنى جاني
أيا أخوى من جشم بن بكر أقلاً اللوم إن لا تنفعانى
إذا جاوزتما سققات حجر وأودية اليمامة فانهيانى
لفتيان إذا سمعوا بقتلى بسكى شبانهم وبكى الغوانى
وقولا جندار أمسى رهيناً يحاذر وقع مصقول يمانى
ستبكي كل غانية عليه وكل مخضب رخص البنان
وكل فتى له أدب وحلم معدى كريم غير وانى

فبلغ شعره هذا الحجاج ، فأحضره بين يديه ، وقال له : أيهما أحب إليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك للسباع ؟ فقال له : أعطنى سيفاً وألقنى للسباع ، فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضار مجوع فزأر السبع وجاءه ، فتلقاه بالسيف ففلق هامته ، فأكرمه الحجاج واستقباه ، وخلع عليه ، وفرض له فى العطاء ، وجعله من أصحابه .

وقد أنشد ابن الأعرابي فى نوادره لبعض اللصوص وقد طال سجنه فى حجر :
هل الباب مفروج فأنظر نظرة بعين قلت حجراً وطال احتماها ؟
ألا حبذا الدهنا وطيب ترابها وأرض فضاء يصدح الليل هامها
وسير المطايا بالعشيات والضحى إلى بقر وحش العيون أكلامها

وحجر اليمامة : هى البلد العظيمة فى الجاهلية والإسلام ، قال ابن بطوطة فى رحلته فى القرن السابع : دخلت اليمامة وقاعدتها حجر فوجدت بلداً عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع وأطال عليها الكلام ، ثم كانت قاعدة تلك الناحية فى بلد الدرعية ، فى أوائل الدعوة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره ونصرة تلك الدعوة الإمام محمد بن سعود وابنه الإمام عبد العزيز بن محمد ومن بعده ابنه الإمام سعود بن عبد العزيز الذى امتدت الفتوحات على يديه ثم انتقلت قاعدة المملكة إلى بلد الرياض ، وبها سر غامض خباها الله عن خلقه ، وهو هذا الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، قال الشاعر الكبير محمد بن عثيمين ، فى قصيدة له مطلعها وهو يخاطب فيها نفسه على طريق التجريد فيها المعروف عند أهل البلاغة :

قد بَدَّغَيْكَ المَهَارَى منتهى الأمل فما التَّنْقُلُ من سهل إلى جبل ؟
أَرِحْ رِكَابَكَ فالأَرْزَاقُ قد قسمت وليس يعدوك ما قد خط في الأزل
فطالما أَوْضَعْتَ خَوْصُ الرِّكَابِ بنا في مَهْمَةٍ قَذْفٍ أو مَجْهَلِ غُفْلِ
سَبَّاسِبُ يَقلبُ الألوانَ صَيِّخَدُها وتارةً فوق ألواحِ بَذَى زَجَلِ
فَالآنَ لَمَّا أَقالَ اللهُ عَثَرْتِها في دولة المرتضى في القول والعمل
فخفِضَ الهِمَّ وأنعمَ في ذَرَى ملك وأعفَ الرِّكائبَ من حلٍّ ومُرَّحَلِ
إلى أن قال :

لو كان فيصل يدرى قبل ميته بأنك من صُلبه استبطنى مدى الأجل
إلى أن قال :

وإن كسوتك من حُسْنِ الثَّنَا حُلْلا فأنت من قبلها أبهى من الحلل

وهي من عزيز الشعر ، وله قصائد في جلاله الملك عذبة الألفاظ ، جيدة المعاني ، مات هذا الشاعر في بلد الحوطة - رحمه الله ! - قريب منتصف القرن الرابع عشر .

وحجر قد أعاد الله عليه تاريخه الأغر بوجود هذا الملك العادل الكريم فقد اطلعت على تاريخ الأمم والملوك في الدولة الأموية والدولة العباسية من منتصف القرن الثاني إلى هذا العهد فلم أجد لأحد منهم ذكرا يضاهي ما أرى لهذا الملك من مكارم الأخلاق وعظيم الشيم وبذل المال وإهانته له ، مع تقى وورع ورفق برعيته ووفاء بالعهد ، فقد كان الملك من الملوك السابقين إذا وضع قسما من زكاة قوم في فقرائهم نطقت الشعراء والخطباء بعدله ، فأما الملك عبد العزيز فإنه يفرق الشئ الكثير من الزكاة على الفقراء ، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحلل فيفرق على جميع الجهات في رعيته ، يُفرقها أمناء وكتّاب على أهل كل جهة ، يأتيهم المقرر لهم وهم في أما كنهم بغير طلب منهم ولا تكلف ، ثم تأتيه الوفود وتتتابع أرسالهم إلى تلك العاصمة زرافات وأفواجا ، يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلق وأعراب نجران وأعراب اليمن ، وما بين تلك الجهات من الأمم التي لا يحصى عددها إلا الله ، تأتي إلى هذه السدة الملكية فتمتّاح منها كأنها تمتّاح من دجلة أو الفرات ، فبعض الأيام يبلغ عدد الوافدين عليه في اليوم الواحد عشرة آلاف رجل وقد يزidon أو ينقصون عن هذا العدد ، ويمتد هذا الترسل ستة أشهر ، فلو أن رمل عاجل نقد لنفد ولكن البركة واصله فيما تحوى تلك الكف المباركة ، فلو علم عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدؤل بن حنيفة الذي اكتشف حجرا بما تم لحجر اليوم من العز والشرف لسكانه ، وما

أدركوا من المجد والعلی ، لسرّ بذلك ، وهذا الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور صاحب بلد منفوحة قد فاته أمران :

الأول — وهو أهم من الذي بعده — أنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوجّه إليه وافداً من بلده منفوحة معتقداً الإسلام ، وقال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألم تقتمض عيناك ليلة أرمداً وبتّ كما بات السليم مسهدا
إلى أن قال :

فآليت لا أرى لها من كلاله ولا من حفيّ حتى تلاقى محمدا
إذا ما أناخت عند باب ابن هاشم أراحت وتلقى من فواضله ندى

فلما قدم مكة رده مشركو قريش ، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ ، فرجع من مكة بعد أن بذلت له قريش الإبل والحلّ ، فلما وصل بلده منفوحة نفرت به راحلته فسقط منها وهلك ، نعوذ بالله من تلك الحالة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته قال : كاد أن يسلم .

الأمر الثاني : لو أدرك الأعشى هذا الوقت وجعله الله من أهل هذا القرن لا استراح من الحِلّ والترحال ، واستراحت راحلته من الإدلاج والإرقال ، في وفادته على ملوك نجران بنى عبد المدان وعلى الملوك الأخميين بالعراق وملوك الغسانيين بالشام ، فلو أدرك هذا الوقت لقصرت خطاه ، وكانت وفادته قريبة الانتهاء سريعة المآخذ قريبة الامتياح من هذا النهر الفياض الذي أوجده صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من تيار كرمه المتتابع الذي لم يسبقه إليه سابق ، ويتعب على أثره اللاحق ، فلو كان الأعشى موجوداً لسكان يخرج من بلده منفوحة بعد طلوع الشمس وفي حينه يصل إلى السدة الملكية ويقضى وطّره ويعود إلى بلده قبل أن تشتد ضاحية النهار ، وحينئذ يرى كثرة الوافدين ، ويسمع وسواس النقود وكثرة الرهج والأصوات عند تلك السدة الملكية ، وإذن لجادت قريحته بحمد الشعر كما درّت قريحة الشاعر الكبير محمد بن عثيمين حين قال في قصيدة له مطلعها :

رَبْعٌ تَأْبُدُ مِنْ شِبْهِ الْمُهَيِّ الْعَيْنِ وقفت دمعى على أطلاله الجون

إلى أن قال :

مَنْ مُبْلِغِ الصَّحْبِ عَنِ قَوْلٍ مَبْتَجِحٍ بما يلاقى قرير القلب والعين
إِنِّي أَوَيْتُ مِنَ الْعَلَمِيا إِلَى حَرَمٍ قبل الإناخة بالبشرى يحميني
يَنْتَابِهَ النَّاسُ أَفْوَاجاً كَأَنَّهُمْ جاءوا لنسكٍ على صُهب العثانين

ترى الملوك قياماً عند سُدَّتِهِ وتُنظر ابن سبيل وابن مسكين
ذا يطلبُ العفو من عُقْبَى جريته وذا يؤمل فضلاً غير ممنون
وهذه القصيدة من عزيز الشعر ..

والملك عبد العزيز - أطل الله بقاءه ! - يعطى القاصي والداني ، والمثري والمعدم ، وفضله لم يفت
إلا القليل من أهل مملكته ، عمّر المساجد ، وأسس المدارس ، وطهر الحرمين من جميع المحرمات
ونصر المظلوم ، وقمع الظالم ، وأنقذ الله به مَنْ تحت حمايته ، وله تاريخ لو سطر لضاقت به صفحات
الكتب ، والله في خلقه سرٌّ لا يعلمه غيره ، ومنه أذخار هذا المَلِكِ الفاضل في أصلاب هذا العنصر
المبارك إلى هذا الوقت الذي أدر كناه حتى فزنا بوجوده .

قال مصنف هذا الكتاب : لقد أدركت الطرق وهي مخوفة بمن أخذ على السالكين مسالكها
من قطاعها ، فلا يفقد مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة ، فأما في هذا العهد
فإن المرأة تخرج من بلد إلى بلد بحملها وطلّها فلا يجسر أحد أن يدنو منها رافعة يديها إلى
السماء تدعو الله ببقاء هذا الملك .. ومن التصادف العجيب أني قلت في وقعة تربة سنة ١٣٣٧
قصيدة مطلعها :

بسمر الفنا والمرهفات القواضب ينال العلى والعز أعلى المراتب
إلى أن قلت :

فلا بدّ من فتح إذا شاء ربنا به يظهر التوحيد بين الأخاشب
فصدق الله تعالى قولي في عام ١٣٤٣ من الهجرة حيث افتتحت مكة ونادى المنادى بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ست سنوات .. وقلت أيضاً لما قدّم صاحب السمو الملكي الأمير
فيصل بجنود أهل نجد مددًا للغزاة المحاصرين لجدة قصيدة هذا مطلعها :

لنجلك السعد قبل اليوم مشهود وفي لواء أطيّد العز معقود
وقادها حزبا من كل ناحية وقد شكّت من سُرّاه الصمّر القود
فصدق الله تعالى هذا وافتتح جدة صاحبُ هذا اللواء الذي ذكرناه ..
وقال الشاعر البليغ محمد بن عثيمين في قصيدة مطلعها :

عُجّ بي على الربع حيث الرند والبّان وإن نأى عنه أحباب وجيران
إلى أن قال :

أقول للعيس إذ تلوي ذفاريها لآلها ولها في الدوّ تحنّان

ردى مياهاً من المعروف طاميةً نبتاتها التبرُّ لا شيوخ وسعدان
حتى انتقل الشاعر من هذا المعنى إلى معنى آخر فقال :

خبيثة الله في ذا الوقت أظهرها وللمهيمين في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عنهم أمن وإحسان
حاط الرعية من بصرى إلى عدن ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم يدعوه له بالبقا ما بقى إنسان^(١)

وهذه القصيدة من غرر الشعر ، وللشاعر قصائد كثيرة في جلالة الملك على هذه السلسلة .
فإن الله تعالى لما أوجد جلالة الملك ووسع ملكه في جميع أنحاء بلاد العرب حفظ له الدين والتوحيد
الذى ما عمر هذا الملك إلا حفظهما ، وهذه الدولة لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به . كما
قال الشاعر في قصيدة له قد مرّ مطلعها وقطعة من أبياتها :

قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت بهم ربيعة من فاس إلى الصين
وحين خفيت رسوم الدين وانطمست وسيم أهل التقى بالخسف والهون
اخترارك الله للأمر الذى سبقت به السعادة للدنيا وللدين
فكنت في هذه الدنيا القوام لهم وكنت للدين قسطاس الموازين
أعطوا بسعدك حظاً ما توهمه فكر ولم يك في الدنيا بمظنون
قال العزيز الذى أنت العزيز به قم واسمعن بى فإننى ناصر ديني
أجبت حظك إذ ناداك معترماً بالمرهفات وجرد كالسراحين
إذا سرين بليل خلت أنجمه من قد جهن الحصى يشعلان في الطين

فثبت هذا الملك وثبتت قواعده على الدين والتوحيد والإنصاف ومناهج الحق ، فإن حفظ
حفظهم الله في الدنيا والآخرة .

فهذه العاصمة القاهرة من تجوّل بها ورآها علم أن ملكها ملك صالح قد أصلح الله ملكه ،
فجميع التجارة النجدية تجلب إليها كالإبل والأغنام والدهن والحبوب والسكر والخطب والفحم
والملاح ، أضف إلى ذلك جميع الأقمشة التى ترد الحجاز وترد الخليج الفارسى والسكر والشاى والقهوة
والهيل ، جميع هذه الأنواع على اختلافها ترد إلى تلك العاصمة ، وقد ساعد على نقلها آلات
النقل الحديثة كالسيارات وغيرها ، فكل يوم ترد تجارة جديدة فتباع وتشتري في ذلك اليوم ، فهى
زهرة البلاد النجدية في هذا العهد الزاهر ، هذا السياق على اليمامة ، وحجر اليمامة قد درس رسمه

(١) بقى ، هنا بتسكين القاف للتخفيف ولإقامة الوزن ، وهو عربى جيد .

ولم يبق إلا اسمه الذي كان يعرف به في الزمن القديم ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا حَدَائِقَ دُومِ الْقَادِسِيَّةِ أَوْ حَجَرِ

وتلاشى هذا الاسم في اسم الرياض^(١) ، كما يتلاشى الملح في الماء . وقد ذكر صاحب معجم البلدان المصانع الواقعة بين المدينة التي تسمى الرياض اليوم وبين منفوحة ، والمصانع في اللغة : الآبار والأحواض ، وهذه تصنع عادة للزراع والبساتين ، والمصانع أيضاً : المباني ، قال غِيلَانُ ذو الرمة :

أَفَّ أَجَادَتِ فَتَلَّهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَالَةٌ بِالمصانع

يصف النباتَ والمطرَ الذي أجاد نبتَه حتى اشتبك من سحابة سكبت عليه ماءها في برج الأسد من نوء الذراع حَلَالَةٌ بِالمصانع : أُلقت على تلك الرياض المطر ، وقال الله تعالى في البناء : (وتخذون مصانع لعلكم تخلدون) وموضع الرياض اليوم ظني أن البقاع المنخفضة منه المتساوية كانت رياضاً فسمى بها^(١) .

والأسماء المشهورة في الجاهلية باليامة : حجر اليمامة ، وجو اليمامة ، والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل اليمامة ، وبنو حنيفة يسكنونه من أعلاه إلى أسفله ، وما حوله يمنية ويسرة قصور ونخيل ومزارع ، أعلاها البرة وما حولها ليحيى بن طالب الحنفي ، وقد مر ذكرها عند الكلام على قرقرى في قصائد زهير ، وضرمتى وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر هذه مساكن ثمامة الحنفي ، وتسمى إلى هذا العهد بوادي ثمامة ، ومن أعلى الحيسية إلى بلد الخرج كلها لبني حنيفة ، ثم انتقل منهم بُطُونٌ وجماعات كثيرة بعد الفتوحات إلى جهة العراق والشام ، واستوطنوا في تلك الجهات إلى هذا العهد ، ولهم في ذلك الوادي بقايا من العنصر الحنفي ، وأهل تلك الناحية يُعرفون بشدة البأس ، والصبر عند القتال ، والثبات في موطنه ، وقد شوهد لهم ذلك في مواطن كثيرة ، قالت العرب : فتحنا فارس والروم بعد علم أخذناه عن بني حنيفة في القتال ، والذين قالوا هذا القول من العرب هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه .

واليامة : جبل معترض في نجد الشرقية ، كما قال عمرو بن كلثوم في صفته ، وإنما يصف وجهه

(١) ظني أن هذه اللفظة غلبت على حجر ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان عند الكلام على الرياض « روضة القمعية » وذكر رياض السلي ، والقمعية موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند موضع الرياض ، والسلي : قريب الرياض ، فلعل هذه الأماكن جمع بعضها إلى بعض فقالوا « الرياض » وهم يعنون جمع روضة ، ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه .

الغربي وأنوفه الشاهقة حين قال :

* كأسياف بأيدي مصلتينا *

فلا ترى لهذا الجبل العظيم خشما شاهقا إلا متيما القبلة كأنه يصلى ، فإذا رأيته وقد أشرقت فيه الشمس تبادر إلى ذهنك بيت عمرو بن كلثوم ، إذا أتيت هذا الجبل من جهته الغربية جزمت أنه من أرفع جبال الأرض ، فإن أتيت من جهته الشرقية ظننت أن ليس هناك جبل ، لأنه يكاد يكون لاطئا بالأرض ، ولهذا الجبل شأن عظيم ، وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور : إما أن تكون فيه ، أو تراه بأعينها جاثمة في غربيه أو شرقيه ، وجميع غراس هذه الجهة يشرب من ماء هذا الجبل أو من سيله ، فهي من أجود غراس نجد ، وثمرتها خالصة بغير جلد ولا قشر ، ويكفيه فخرا أن هذه العاصمة القاهرة العظيمة الرياض قد بركت بأجمعها في وسطه ، وألقت رحلها فيه ، وهي قاسمة بين الناحيتين الشمالية والجنوبية منه ، ما كان منها شمالا إلى نهاية طرفه الشمالى فغروسها خضرى ، وهو نوع من النخل ، وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وما كان في الناحية الجنوبية منه إلى طرفه الجنوبى فغروسها يقال لها « الصفرى ، والسرى » وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وطرفه الشمالى محاذ النجاج ، وطرفه الجنوبى محاذ للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه يضعف إذا خلف بلد « لغاط » مقر السدارى أخوال جلاله الملك ، وبلد لغاط قديمة جاهلية واقعة في سفح جبل اليمامة في غربيه ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد قال الهزار بن حكيم الربعى في أرجوزة له ^(١) :

والجوف خير لك من لغاطٍ ومن آلات وإلى أراط

وسبط محذم الأوساط ومن جواد الشطّ ذى اهتماط

وقال عقبة بن قدامة يمدح بنى مازن :

وهم حصّدوا بنى سعد بن قيس على القصبات بالبيض القصار

وردوهم غداة لغاط عنهم بأكبّادٍ وأفئدة حرار

والقصبات موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي مزارع وقصور وبلد فيها نخل في غربى

عتك اليمامة يقال لها اليوم القصب .

نرجع إلى ذكر لغاط ، وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر :

وعلى لغاط بات يلغط سَيْلُه ويشجّ في لبب الكثيب ويصخبُ

ولقد صدق عمارة في وصف سيل هذا الوادى ، فإنه يشج في لبب كئيب أحمر ، وقد رأيت
 يشج فيه ، فإذا انعرج جبلُ اليمامة مما يلي موضعاً يقال له « خشم العرنية » ضَعَفَ كأنه عزم على
 الهلاك ، فينقطع في موضع يقال له « جزيرة » لأن هذا الجبل العظيم جزر فيه كما يجزر البحر ،
 وتحاذيه مما يلي الغرب أكمة حمراء متراكمة ، غربي تلك الأكمة كثبة النباح وقراها ، وشرقيها بلد
 الزلفى وقراها ، وهى التى كان يقال لها فى الجاهلية : زليفات ، وزلفة ، وقد غلط صاحب المعجم فى
 قوله ^(١) : إنها ماء شرقى سمراء ، وقد قال الخطيئة فى ذلك يخاطب رجلاً :

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وأراط : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب من جهة غربى اليمامة الشمالى ، ويصب
 فى جهتها الجنوبية الشرقية ، ويفيض فى العتك فى جربانه جاعلاً وادى سدير على شماله .
 وقال عبيد بن أيوب اللص فى ذكر زلفة ، وهو من قطاع الطريق فى تلك الناحية :

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوْمَ أَقْوَاعِ زَلْفَةٍ عَلَى مَا أَرَى خَلْفَ الْقَنَا لَوْ قُورِ
 أَرَى صَارَ مَا فِى كَفِّ أَشْمَطِ نَائِرٍ طَوَى سِرِّهِ فِى الصَّدْرِ فَهُوَ ضَمِيرٌ

وقال عبد الرحمن بن حزن فى ذلك الموضع :

سَقَى جَدُّنَا بَيْنَ الْغَمِيمِ وَزَلْفَةٍ أَحْمَ الدَّرَى وَهِيَ الْعَزَالَى مَطِيرُهَا
 إِذَا سَكَنْتَ عَنْهَا الْجَنُوبَ تَجَاوَبَتْ جِلَادَ مَرَابِيعِ السَّحَابِ وَخُورِهَا
 وَإِنِّى لِأَسْحَابِ الْقُبُورِ لَغَابُطٌ بِسُودَاءَ إِذْ كَانَتْ صَدَى لَا أُرُورِهَا
 كَأَنَّ فَوَادِى يَوْمَ جَاءَ نَعِيمُهَا مَلَأَتْ قَرْبَيْنِ أَيْدٍ تُطِيرُهَا

وتلك الناحية هى مساكن مالك بن الرئب الرجل المشهور الذى هلك فى خراسان ، وله
 قصائد مشهورة ، وقد ذكر أوطان قومه فى تلك الناحية ، وقد مضى كلامنا عليها ، وما ذكره السمين
 وهى من تلك القرى ، وكان يقال لها « سمنان » وجميع الموضع الذى ذكرها زياد بن حم
 بن سعد بن عميرة بن حريث التميمى النسب وهو فى صنعاء يتشوق إلى أوطانه واقعة فى القطعة
 الشمالية من اليمامة ، فمن ذلك قوله فى قصيدة رواها أبو تمام فى ديوان ^(٢) الحماسة :

وَحَبِّدَا حِينَ تُنْمِسِ الرِّيحُ بَارِدَةً وَادَى أَشْيٍ وَفَتَيَانٌ بِهِ هُضُمٌ
 الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرُّوْا

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٩٨ .

(٢) انظر شرح التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين (٣ / ٣٢٤) .

وادي أشئى : موجود بهذا الاسم فى وادي الشقر مما يلى بلد الجمعة المشهورة بهذا الاسم ،

وقال فى هذه القصيدة :

مَتَى أُمِرْتُ عَلَى الشَّقَرَاءِ مَعْتَسِفَا خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لِحْمَا زَيْمٍ
وَالْوَشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابِلَهَا مِنَ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلَهَا ثَرَمُ
يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْ جَنْبَى مَكْشَحَةٍ وَحَيْثُ تُبْنَى مِنَ الْخَفَاءِ الْأُطْمُ
عَنِ الْأَشَاءِ هَلْ زَالَتْ مَحَارِمُهَا وَهَلْ تَغْيِرُ مِنْ آرَامِهَا إِرَمُ
وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ الدَّهْرَ حَاضِرَهَا جَبَّارُهَا بِالْنَدَى وَالْحُلِّ مُحْتَرَمُ

ذكر هذه المواضع ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد : الشقراء التى ذكرها هى جبل أشقر بين شقرى وذات غسل ، فسميت « شقرى » عاصمة بلاد الوشم اليوم بهذا الاسم ، بعد أن حذف حرف التعريف ، والوشم : بلدان معروفة منفردة يقال لها الوشم إلى هذا العهد ، وقرى الوشم : شقرى ، وهى عاصمة تلك النواحي ، ويليهما فى الجهة الشمالية من البلاد : أشيقر ، والفرعة ، ويليهما من ناحيتها الشمالية الشرقية الداهنة : الجريفة ، والحريق ، والقصب فى جهاتها الشرقية والمشاش فى تلك الناحية منها ، ويليهما فى الجهة الجنوبية منها : القرين ، وهما قرىتان : الوقف ، وذات غسل ، وهى بلد مصنف هذا الكتاب ، ومما يلى القرين فى الجهة الجنوبية : أنيشية ، وهى بلد جرير الشاعر وذريته ، ويليهما فى الجهة الجنوبية منها : مراة ، مساكن بنى امرئ القيس التميمى ، وثرمداء لبنى سعد وبنى منقر فى الجاهلية ، وقد ذكروا أن قيس بن عاصم المنقرى كان يرتاد ثرمداء من باديته ، وهى التى يقول فيها علقمة الفحل :

مَا أَنْتَ أَمْ مَا ذَكَرَهَا رَبْعِيَّةٌ يَخْطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءِ قَلِيبِ
وَأَشِيقِرْ وَذَاتَ غَسَلٍ وَأَنْشِيَّةٌ وَمَرَاةٌ وَثَرْمَدَاءُ وَالْقَصْبُ ، جميع هذه المواضع أسماؤها جاهلية وهى باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، والوشم يبعد بعضه عن بعض مسافة يوم ، والثنايا التى ذكرها الشاعر ثنايا الأديراب ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وخَلَّ النقا : معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، فى شرقى شقرى الشمالى ، ينفذ من انكشيب الأحمر الواقع شرقى شقرى ، والأشاة هى أشئى الذى تقدم ذكره ، وقال فى قصيدته :

* جَبَّارُهَا بِالْنَدَى وَالْحُلِّ مُحْتَرَمُ *

تلك الناحية التى ذكرها لأعلم أعظم من جبارها إلى هذا العهد ، تسمى النخلة العظيمة جبارة ،

وقال فى قصيدته :

بل ليت شعري متى أغدو تُعَارِضُنِي جَرْدَاءَ سَابِجَةً أَوْ سَابِجٌ قُدُمُ
نَحْوِ الْأَمِيلِجِ أَوْ سَمْنَانَ مَبْتَكِرًا بَفَقِيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَارُ وَالْحَكَمُ
لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أَرْدِيَهُ إِلَّا جِيَادُ قَسَى النَّبْعِ وَاللُّجَمِ

الأميلج : موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد في سفح جبل اليمامة يقال له « مليح » نزل في
هذا العهد الأخير قسم من مطير رئيسهم ابن سقيان من بني عبد الله بن غطفان ، وسمنان : قد مضى
الكلام عليه في شواهد مالك بن الريب ، يقال له : سمنان ، والسمينة .

وجبل اليمامة ينقسم ثلاثة أقسام بالاسم : جبل طويق ، وهو يطلق على القطعة الشمالية منه
عند أهلها ، وهي تعم جميع اليمامة ، ووسطه يقال له : العارض ، وهذا الاسم يعمه كله ، والاسم
الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العويرض ، ثلاثة الأسماء هذه تطلق على جبل اليمامة
من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالي ، وهو جبل ملتحم منعقد بعضه ببعض ، طرفه الشمالي يبعد
عن طرفه الجنوبي مسافة شهر أو أكثر ، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق : منها
وادي العتيك الذي في أعلاه القصب ، وفي هذا الجبل يقع المشقر ، ومنها وادي السكب وفيه
قرى عامرة ونخيل منها بلد الجمعة ، وهي عاصمة قرى سدير ، ويلها بلد حرمة ، وبلد ظلمي وبلد
الحائر والحويّر ووشى الذي مر ذكره ، ومنها وادي جلاجل ، ذكروا أنه يسمى وادي المياه ،
ويليه بلد التويم ، وفي أعلى تلك الناحية المعشبة ، ومنها وادي سدير ، وهو وادي عظيم فيه قرى
ونخيل ، أعلاه بلد الروضة ، وبلد الحصون ، وبلد الجنوبية ، وبلد الحوطة ، وبلد العطار ، وبلد
العودة ، وهي أسفل ذلك الوادي ، وفي شرقي ذلك الوادي قرى : منها الخطائم ، وعشيرة ، وتمير
فإذا قطعت وادي العتيك قاصداً الجنوب أتيت إلى وادي بعيثران ، وفي هذا الوادي مدينة ثادق
بلد كثيرة النخل والمزارع ، ثم تسير إلى جهة الجنوب ، وتأتي بلد البير والصفرة جاعلا بلد رغبة
على يمينك ، ثم تأتي واديا عظيما يقال له « أبو قتادة » . وفي هذا الوادي بلد حريملا ، وبلد
القرينة ، وبلد ملهم ، ونخل تلك الناحية من أكرم النخيل وأحسنها ، وفي جهته الجنوبية
سدوس ، وفي أسفل ذلك الوادي بلد دقلة ، وغيانة ، ثم تنفذ من تلك الناحية ، وتأتي وادي حنيفة
وقد مضى الكلام عليه ، ثم يأتيك وادي الحائر ، ووادي الأوسط ، ووادي نساح ، وهو وادي
الخرج ، وسيأتيك الكلام على الخرج في معلقة عنتره .

فإذا توجهت قاصداً الجهة الجنوبية لقيك وادي ماوان ، وقد مضى الكلام عليه ، ثم يلقاك
الواديان العظيمان : برك ، وبريك ، وفي أسفلهما بلد الحوطة ، وبلد الخلوة ، وبلد القويح ، وبلد

العطيان ، وفيهما قرى ومزارع كثيرة ونخيل عظيمة ، وجميع هذه البقعة خالصة لبني تميم ، وفي أعلى وادى بريك بلد نعام ، وبلد المفيجر ، وبلد الحريق ، وهى لبني هزان ، ومعهم جماعات من العرب ، وبها نخيل كثيرة ومزارع ، وإذا اتجهت نحو الجنوب لقيك قرى الأفلاج ، وأعلاها فى الجهة الشمالية منها بلد الحجر ، وفى شرقها الشمالى وسيلة ، وتليها بلد ليلى ، وهى عاصمة تلك الفاحية ، ثم بلد السبيح وهى بلدة كثيرة النخيل ، وبها عيون جارية تنبع من الأرض ، ويلها بلد العمار ، ثم بلد الخرفة ، ثم بلد الروضة ، ثم بلد سويدان ، ثم بلد البديع ، ثم بلد مروان ، ثم بلد الرزيفية ، وفى أسفل وادى الحجر واسط ، والغيل مما يلى واسط جنوبا ، وحراضة ، والسقارة ثم يتجه هذا الجبل جنوبا ، ثم يلقاك وادى الهدار ، ثم يضعف هذا الجبل بين قرى الأفلاج وبين قرى الوادى ، ثم تلقاك أودية كمدة ، وفيها نخيل وغلات كثيرة من نتاج الأثل الذى يسمى الكومع ، ثم يتجه هذا الجبل إلى جهة الوادى المسمى بوادى الدواسر ، فإذا حاذى الوادى ذلك الجبل العظيم خفى من كثرة الرمال ، ويسميه أهل تلك الفاحية « المندفن » ثم يتجه إلى جهة مطلع الشمس ، وهو على خفائه ، وبعد الوادى بمسيرة يوم ونصف يوم يظهر رأسه ، ثم يعظم وهو متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الوادى حتى يتصل بجبال نجران ، وجميع قرى الوادى للدواسر وهم بطن من العرب أصلهم من اليمن ، ثم تحالفوا وكانوا أخلاطا وأقسامًا ، ويعرفون بالدواسر . فأما القرى التى تطل على ذلك الجبل وهى فى غربيه فجميع قرى الزلفى ، وأسافل قرى القصيم ، وقرى الوشم ، وقرى البرة ، وقرى ضرمى ، جميع تلك النواحي ترى ذلك الجبل بأعينها وليس من شرط هذا الكتاب الإطالة ، ولكن لما عرض ذكر اليمامة فى قصيدة عمرو بن كلثوم أوردناها .

* * *

٤ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّدٍ مَعَشَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ بِتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْمُخَجَّرِينَ
تَرَكَنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَغْنَتْهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُؤَعَّدِينَ

ذو طلوح : موضع موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم يقال له « الطليحي » يعرفه جميع أهل نجد بهذا الاسم ، وهو من منازل الحاج بين العراق ومكة ، يقع شمالى بلدة « قُبسة » التى سكنها بنو على بطن من بني حرب فى الأيام الأخيرة ، ورئيسهم محسن القرم ، وهى على مسافة يوم (٢٧ - صحيح الأخبار ١)

أو أقل ، بينه وبين زرود الأكمة الحمر التي كان يقال لها في الزمن القديم « رمال عاجل » وفي هذا العهد يقال لها « العروق » وذو طلوح واقع في ضفتها الشرقية ، وزرود في ضفتها الغربية ، وبينهما السكيب ، وقد وفد الأعشى ^(١) الشاعر على عمرو بن هند اللخمى ، فوافاه بذى طلوح في تجواله في القنص ، فقال قصيدة منها هذا البيت :

كم رأينا من أناس هلكوا ورأينا الملك عمراً بطلح
وقال أبو دؤاد الإيادى :

تعرف الدار ورسمًا قد مَصَحَّ ومَعَانَى الحَيِّ في نَعَفِ طَلَحْ؟
وقال جرير بن عطية :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذَى طَلُوحٍ سَقِيتِ الْغَيْثَ أَيْتُهَا الْخِيَامُ
وله شواهد كثيرة قديمة وحديثة ، ولكن بقاء هذا الاسم إلى هذا العهد يكفيه شاهداً ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « الطليحي » .

الشامات : كشيبيان أحمران فيهما بياض ، وهما أعظم تلك الأكمة ، لاتبعدان عن ذى طلوح المتقدم ذكره ، ولكنهما إلى زرود أقرب ؛ فتسمى « شامات زرود » ولاتزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهى التى عنها عمرو بن كلثوم بقوله :

* إلى الشامات نفنى الموعدينا *

* * *

٥ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينًا
وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقِدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذَى أَرَاطٍ تَسْفُ الْجَلَّةُ الْخُورُ الدَّرِينَا

خزاز : جبل معروف فى عالية نجد الشمالية ، وبه يوم من أيام العرب ، وأشار عمرو بن كلثوم إلى هذا اليوم ، لأنه لقبيلته ، وهو أول يوم امتنعت فيه العدنانية من اليمانية وضغطهم ، وهو الجبل الذى ذكره الحارث بن حنظل فى معلقته ^(٢) حين قال :

فَقُتُّورَتِ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازٍ هِيَهَاتَ مِنْكَ الصَّلَاةِ

وقد أصاب شاعر من العرب حين قال :

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٥٤ و ٥٦ . (٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٤٢٨ - ٤٣١ .

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منعج فضاق بهم ذرعاً خَزَازُ وعَاقِلُ
أما بطن منعج فهو موضع « دخنة » اليوم التي سكنها بطونٌ من حرب في أوائل القرن
الرابع عشر ، وخَزَاز واقع في غربيه على مسافة ساعة للماشي على قدميه ، وهو من أجيلة الخامر ،
وعَاقِل قد مضى الكلام عليه وذكرنا أنه قريب الرس ، وأنه يقال له اليوم « العاقلي » وقد
أكثر الشعراء من ذكر خَزَاز ، وقال النُمَيْري وهو رجل من بني ظالم يقال له الدهقان :

أنشد الدار بعطفي مَنعِج وخَزَازُ نَشْدَةُ الباغِي المضل
قد مضى حَوْلَان مَذْهَبِي بها واستهَلَّتْ نصف حَوْلٍ مقبِل
فَهِيَ خَرَسَاء إِذَا كَلِمَتُهَا ويشوقُ العَيْنَ عِرْفَانُ الطلل

وقال القتال الكلابي :

وسفح كدود الهاجري بَجَعَجَع تحفر في أعقارهن الهجارسُ
موائل ما دامت خَزَاز مكانها بجَبَانَةٍ كانت إليها المجالسُ
تَمْشِي بها رُبْدُ النعام كأنها رجال القرى تمشي عليها الطيالس

وقال السفاح التغلبي :

ولَيْلٍ بَتُّ أَوْقَدُ في خَزَاز هَدَيْتُ كَتَائِبًا متحيراتِ
ضللن من الشَّهاد وكُنَّ لولا سَهَادُ القوم أحسب هادياتِ

ويوم خَزَاز الذي أوقدت النار فيه بين زَاز واليمن ، وعلى ربيعة السفاح التغلبي ، واسمه
سلمة بن خالد ، وكليب يُجمع الجموع من ربيعة ، فقال سلمة : أوقد لي ناراً واحدة في أعلى خَزَاز
فإنَّ قرب منك العدو فأوقد نارين ، فلما قرب العدو أوقد السفاح نارين ، فاجتمعوا واقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت اليمن ، وفي رواية ثانية عن أبي زياد الكلابي أن رئيس جيوش زَاز الأحوص
ابن جعفر بن كلاب ، وأن موقد النار في خَزَاز من ربيعة ، ولهذا كان شعراؤها يذكرون تلك النار
وإيقادها ، وخَزَاز : باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وذو أراط : موضع معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم ^(١) إلى هذا العهد ، وهو وادٍ
يصب من جبل طويق متجهاً إلى جهة مطلع الشمس ، جاءلا وادي سدير على شماله ، وقد مضى

(١) أراط : هو الذي ذكرنا ، وهناك واديان عظيمان بهما قريب من بعض : الأول : بين
وضاخ ونفي ، والثاني : يقع شرقي جبال حليت المعروفة غربي بلد نفي ، يقال لهما « الأراطوي » .

السلام عليه في هذه المعلقة على ذكر اليمامة ، قال راجز من بني نمير^(١) :
أنى لك اليوم بذى أراط وهنّ أمثال السرى الأمراط
تنجو ولو من خلل الأمشاط يَلْحَنَ من ذى لائب شرواط
وقال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غداة يوم ذواتٍ بهذى لدى الوتداتِ إذ غَشِيَتْ تميمُ
ضربنا الخيلَ بالأبطالِ حتى توات وهى شاملها الكلومُ
فأشْبَعْنَا ضُبَاعَ ذوى أراط من القَتْلِ والجثثِ الغنومِ
قَتَلْنَا يوم ذالكُم يبشر فكان كفاء مَقْتَلِكُم حَكِيمِ
وهذا الوادى موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ترعاه نعم جميع قرى سدير ، وتعضد السكلا منه ، وهو كالحى تقيم به آبائهم وأغنامهم ، وليس في هذا الوادى قرى معمورة ، بل جميع القرى المعمورة محاذية لضفته الشمالية الشرقية ، وتبعد عنه تلك القرى مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات للماشى على قدميه .

وأراط ، ومبايض ، وذو طلوح ، والفجاج ، وزرود ، كل موضع من تلك المواضع به يوم من أيام العرب ، وهى باقية بهذه الأسماء من الجاهلية إلى هذا العهد ، ولا يبعد بعضها عن بعض إلا مسافة ثلاثة أيام للراكب المجد ، وأكثر الأيام وقعت بين بني تميم وبكر بن وائل ، وتلك المواضع واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد .

قد انتهينا من المواضع التى ورد ذكرها في معلقة عمرو بن كلثوم ، وسنبتدىء في معلقة عنقرة ابن شداد العبسى ، ونوضح ما ورد فيها من المواضع .

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٦٨ وفيه أن الذى في رجز النيمري « أراط » بزنة غراب ، وأن الذى في شعر الفقيمي « أراطى » بزنة حبارى .

٦

عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ

عنتر بن شداد العبسي

هو عنتر بن شداد ، وفي رواية ابن عمرو بن شداد ، ويُعد من أغربة العرب ، سُمُّوا أغربة لسوادهم ، كأنهم الغربان ، منهم ثلاثة منسوبون بأمهاتهم عنتر^(١) ، وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، وأمه نذبة ، والسليك بن عمير السعدي ، وأمه السلكة ، وإيهن ينسبون ، هلك عنتر قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وعشرين سنة تقريباً .
وهذا مطلع معلقته :

١ - هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ
إلى أن قال :

يَا دَارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحًا دَارَ عَيْلَةٍ وَأَسْلَمِي
إلى أن قال :

وَتَحُلْ عَيْلَةٌ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا بِالْحَزَنِ فَالْصَّمَانِ فَالْمُتَمَلِّمِ
الجواء : قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس .

الحزن : قال الأصمعي في كتاب جزيرة^(٢) العرب : الحزون في جزيرة العرب ثلاثة : حزن بني يربوع ، وحزن غاضرة من بني أسد ، وحزن كلب من قُضَاعَة ، والذي عناه عنتر : هو حزن بني يربوع ، وهو اليوم معروف عند عامة أهل نجد ، ولكنهم أبدلوا نونه لاما فقالوا له «الحزل» وجمعه حزل ، وهو واقع في شرق الأكمة المتاخمة لجبلى طى في جهتها الشرقية ، وهو الذي عناه جرير بقوله في مديحه لعبد الملك بن مروان :

سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْبِ وَدُونَهُمْ فَيَحْتَانُ فَالْحَزَنُ فَالصَّمَانُ فَالْوَكْفُ
إلى أن قال :

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةً وَلَيْسَ فِي فَضْلِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفُ
وهذا الحزن هو الذي عناه القتال الكلابي بقوله :

وَمَا رَوْضَةُ الْحَزَنِ قَفَرٌ مَجُودَةٌ يَمِجُ الْفَدَى رِيحَانُهَا وَصَبِيبُهَا
بَأَطْيَبَ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ أُمِّ طَارِقٍ وَلَا طَعْمَ عَنُقُودٍ عَقَارُ زَبِيبِهَا

(١) لكن إضافة عنتر إلى أمه أقل من إضافة صاحبيه إلى أمهما . وانظر الشعراء (١٣١) أوربه

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٩ .

وتلك القطعة الشمالية من نجد تُعدُّ من أخصب البلاد إذا أمطرت ، وكانت العرب تقول : من ترَبَّعَ الحزن وتَشَتَّى الصمان وتَقِيظُ الشرف ، فقد أخصب ، وفي رواية ثانية عن الأصمعي أنه قال : من تشَّتَّى الدهناء وترَبَّعَ الصمان واصطاف الحمى ، فقد استكمل المربع . وقال محمد ابن زياد الأعرابي : سئلت بنت الخلس : أى البلاد أحسن مرعى ؟ فقالت : خياشيم الحزن وجواء الصمان ، وبالصمان موضع يقال له الجويات جويات الحمل ، وهى التى عَنَتَها ، ثم سئلت وقيل لها : ثم ماذا ؟ فقالت : أجلى ، وأجلى : هضبة فى عالية نجد جاثمة على ضفة وادى الجرير الجنوبية ، يتركها سالك الطريق من مكة إلى الرياض على شماله ، وهى بين عفيف والدفينة ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والحزن معروف بطيب النبات ، ومشهور عند شعراء العرب بطيب الرائحة فى أيام الربيع ، وهو الذى يقول فيه كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جَمَّجَانَهَا وَعَرَارُهَا

بأطيب من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارُهَا

وقال ابن الأعرابي : سرق رجل من العرب بعيراً ، فوُجد السارق فى أرض الحزن ، ووجد البعير عنده ، فقيل له : إنك سارق هذا البعير ، وكان أهل البعير شمالى الحزن ، فوجد سرقة البعير ، وكانت أرض الحزن مخصبة ، فقال الأعرابي : إنى لم أسرقه ، ولكن هاجت ريح الجنوب وشتم بعيركم رائحة نبات الحزن ، فنزع إليها وأتاني ، وحفظته لكم ، وقال الأعرابي فى ذلك :

ومالى ذنب إن جَنُوبٌ تَنَفَّست بنفحة حزني من النبات أخضرا

فأخذوا بعيرهم وتركوه ، وهو مشهور اليوم عند عامة أهل نجد بالحزل كما قلنا ، وبه مياه عادية يقال لواحدھا : الحزل ، وجمعها الحزول ، تبعد عن بلد حائل ثلاثة أيام تقريباً ، وهى مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد تقع شرق الأكتبة الشرقية عن الجبلين أجاً وسلمى .

الصمان : قطعة من الأرض معروفة عند عامة أهل نجد ، جهتها الجنوبية يشقها الطريق السالك بين اليمامة والأحساء ، وشماليتها يشقها الطريق السالك بين القصيم والبصرة ، وهذه القطعة الواقعة بين الطريقين هى التى تطلق عليها عند عامة أهل نجد « الصمان » وكانت مفاوز ومَوَامى فى أيام القبيظ لا يجوزها حينذاك إلا الإبل التى تحمل الماء ، وفى هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز استنبطت المياه الكثيرة العذبة فى جهتين منها ، بالآلات الحديثة : الأول : ماء فى طريق الأحساء فى روضة « الحنى » وهى فى المنتصف بين الأحساء ومنهل أبى جفان فى جبل العرمة فى شرقيه من جهة الدهناء ، والماء الثانى : فى روضة « الشمول » على طريق الكويت

عما يلي روضة معقلا ، قال في معجم البلدان على ذكر معقلة^(١) : سميت معقلا لأنها تعقل الماء في بطنها كما يعقل الذواء البطن ، وقال في معجم البلدان عن الأزهرى : قد رأيتها ، وفيها خبارى كثيرة تُمسك الماء دهرًا طويلا ، وبها جبال رمال متفرقة يقال لها : الشماليل ، واحدا شمول ، وهذا الاسم الذى به موضع الماء اليوم يقال له الشمول ، وهو اسم جاهلى لم يتغير . ومياه الصمان التى فى جهته الجنوبية قريبة المنزع كالعوينة وجودة والنجمية ، وهذه المياه على طريق الأحساء الشمالى ، والعوينة على طريق الجبيل ، وأما مياهه الشمالية فهى نحاتت عادية بعيدة المنزع من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، وهى : ماء القرعى ، والصفة ، واللهابة ، وتلك المياه لها ذكر فى أشعار الجاهلية وهى مياه بنى تميم . يقع فى شرقها مياه قريبة المنزع : وبرة ، وهى التى ذكرها النابغة ، وسماها « ثبرة » والوفرى ، وقرية ، أما قرية : فسكنت وعُمرت ، عمرها جماعة من مطير رئيسهم الدويش بن شقير ، والصفة التى مر ذكرها ووبرة هى التى يقول فيها النابغة وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر ذكرها فى قسَمه :

وبالمُرَقَلَاتِ من لَصَافٍ وثبرة يزُرُنْ إلَّا سِيرُهُنْ تدافع

والمنهل الشمالى منها هو الحفَرُ حفر أبى موسى الأشعرى .

أما المثلث فابى لا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا جبلا قد مر ذكره فى الكلام على معلقة زهير ، وهو جبل مُتَمَثِّلٌ رأسه ، يقال له اليوم « جبل أبى ثلوم » ولا يستغرب ذكر الأماكن البعيد بعضها من بعض لأن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فى الجاهلية^(٢) :

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصَّمان
فالقُرَيَّاتِ من بلاس فداريًّا فسَكَّاهُ فالقصور الدَّوَانِي

ذكر فى هذه الأبيات « معان » ، واليرموك ، والصمان ، والقريات ، والسكاه التى يقال لها السكاكا من قرى الجوف ، وبين بعض المواضع وبعضها مسافة شهرين تقريبا ، فلا يبعد أن عنقرة ذكر الحزن والصمان والمثلث^(٣) ، وهى يطوف عليها الراكب فى أقل من عشرين يوما .

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٩٨ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٨٣ . (٣) ظهر لى بعد التأمل أنه إن لم يكن المثلث الجبل المذكور فإنه يكون مقرماء ، وهو فى الصمان ، يتثلث إذا كثر فيه الماء ، فسمى المثلث كما سميت الحرما بالحرما لحرم الماء لها إذا كثر .

٢ - وقال عنتره :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مَنِي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكَرَّمِ
كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بُعِيزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِ

عنيزتين : قد مضى الكلام عليها في مواضع كثيرة ، وعلى معلقة امرئ القيس ، وهما موضع عنيزة اليوم .

أما الغيل^(١) فلا أعلم موضعا بهذا الاسم يقال له الغيل آخره ميم ، بل أعرف موضعا يقال له الغيل « الغيل » آخره لام ، وهو موضع في البصرة في طرفها الجنوبي ، وهو واد عظيم يلحق بقرى الأفلاج ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال ذؤيب بن يثيث^(٢) :

لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا بجزعة بطن الغيل من كان باكيا
وقال آخر :

يهرى لها من تحت أرواق الليل عملس ألزق من حمى الغيل
وقال البحترى الجعدي :

ألا ياليل قد برح النهم ——— وهاج الليل حزنا والنهم ———
كأنك لم تجر — اور آل ليلى ولم يوقد لها بالغيل نار
والغيل : ابني جمدة لأنها تسكن تلك الناحية ، قال عثمان بن صمصامة الجعدي وقد مر به حمزة بن عبد الله بن قرة يريد الغيل :

وقد قلت للقرئى إن كنت رائحا إلى الغيل فاعرض بالسَّلام على نُعم
على نُعمنا لا نُعم قوم سِواننا هي الهمُّ والأحلام لو يَقَعُ الحـمـ
فإن غَضِبَ القرئى في أن بعثته إليها فلا يبرح على أنفه الرِّغمُ
والغيل بهذا اللفظ لم يذكر أنه موضع محدد في كتب اللغة ، ولا في كتب المعاجم^(١) .
فأقرب ما يكون لهذه اللفظة التي ذكرها عنتره أنه قصد بها الغيل .

* * *

٣ - وقال عنتره :

تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حَزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طَمِطَمِ

(١) رواه أبو عبيد البكري « الغيل » بعين مهملة وذكر أنه في ديار عيس (٢ / ٩٧٧) .
وذكره ياقوت (٦ / ٣٢٠) ولم يبين له موقعا
(٢) انظر ياقوت ٦ / ٣١٩ .
(٢٨ - صحيح الأخبار ١)

يُتَبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنٍ مُخِمِّ
صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرِّو الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

ذو العشيرة

المواضع التي تسمى بذى العشيرة كثيرة : منها موضع في أسفل وادى سدير في جهة الشرقية ، ومنها روضة العشر ، بين البتراء والصفرى صفرى وشم اليمامة ، ومنها عشيرة في وادى العقيق يمر بها الخارج من مكة إلى نجد ، وذكروا أن في الصمان موضعاً معروفاً يقال له « ذو العشيرة » نسب إلى عُشْرَةٍ نابتة فيه . وذكر صاحب المعجم^(١) أن في وادى الرمة موضعاً يقال له « ذو العشيرة » يصب من قطن ، وهو في بلاد بني عبد الله بن غطفان وقال شاعرهم^(١) :

غَشِيَتْ لِلْيَمْلِ بِالْبُرودِ مَنَازِلَا تَقَادَمْنَ وَاسْتَنْتَ بَهْنَ الْأَعَاصِرِ
كَأَنَّ لَمْ يَدْمَنْهَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْدَ أَيَّامِ الْهَدْمَلَةِ عَامِرِ
وَلَمْ يَعْقِلْجَ فِي حَاضِرٍ مِيجَاوِرٍ قَفَا الْغَضْنَ مِنْ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ سَامِرِ

قال في معجم البلدان^(١) عن أبي عبد الله السكوني : ذات العشيرة من منازل حاج البصرة بين مسقط الرمل وبين الشيحة ، والشيحة : من قرى الجواء يقال لها اليوم « الشيحية » ولا أعرف في تلك الناحية التي ذكرها صاحب المعجم موضعاً يقال له « ذو العشيرة » وفي عقيق المدينة موضع يقال له « ذو العشيرة » وهي التي عنها عروة بن أذينة في قوله :

يَا ذَا الْعُشَيْرَةِ قَدْ هِجَّتَ الْغَدَاةَ لَنَا شَوْقًا وَذَكَّرْتَنَا أَيَّامَكَ الْأَوَّلَا
مَا كَانَ أَحْسَنَ فَيْكِ الْعَيْشَ مُؤْتَمِقَا غَضًّا وَأَطْيَبَ فِي أَصَالِكَ الْأَصْلَا

والذي ذكره عنتره هو للموضع الذي في الصَّمان ، لأن عنتره يقول :

صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرِّو الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

والنعام لا يبيض إلا في أرض فلاة خالية من الأنيس ، قال في معجم البلدان : إن ذا العشيرة موضع في الصمان تنبت فيه عُشْرَةٌ ، وهو نوع من النبات ، فسمى بها ذلك الموضع ، وأنا لا أعرفه في هذا العهد ، والمواضع المعروفة بهذا الاسم كثيرة في نجد والحجاز وتهامة ، ولكن ذا العشيرة الذي في الصمان قد أكثر الشعراء من ذكره ، قال أبو المكارم الزبيرى :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَائِنِ بَرُوضِ الْقَطَا يَشْغِفُنْ كُلَّ حَزِينٍ ؟
جَعَلَنَ يَمِينًا ذَا الْعُشَيْرَةِ كُلَّهُ وَذَاتِ الشَّامِلِ الْخُرْجَ خَرَجَ هَجِينِ

انظر إلى الشاعر فإنه قرن ذا العشيرة بروض القطا ، وروض القطا ليس بينه وبين الصمان إلا
أكشبة الدهناء ، وعنقرة لم يعن إلا الموضع الذي في الصمان .
ثم إنى أطلت بعد ذلك البحث والتحقيق والسؤال والتدقيق فاهتديت إلى ذى العشيرة ، وهو
جو عظيم في الصمان كثير الأشجار والنبات ، يقال له اليوم « جو عسرى » معروف عند عامة أهل
نجد بهذا الاسم ، ويقع في غربي اللصافة ، يبعد عنها مسافة يوم .

* * *

٤ — وقال عنقرة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءُ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

الدحرضان : ماءان لبنى تميم : أحدهما : يقال له اليوم حرض ، وهو واقع في طريق الأحساء
للسائر من الخرج ، ويقال له حرض إلى هذا العهد ، والثاني « وسيع » وهو ماء واقع في شرقي
العرمة مما يلي مطلع الشمس على طريق الأحساء ، وكان بنو تميم في الجاهلية يسكنون تلك الناحية
وفي لغتهم كشكشة بإبدال السين شينا فتسمى ذلك المنهل ^(١) وشيعا ، فسكنت آل مرة و بطون من
يام تلك النواحي فلم تَرِث من بنى تميم إلا الكشكشة بإبدال السين شينا ، فهي تستعملها إلى
هذا العهد ، إذا سألتهم في هذا العهد عن هذا المنهل المذكور قالوا : وشيع ، وهي لغة بنى تميم ،
وكان الزبرقان بن بدر التميمي ينزله وينزل « بنبان » المنهل المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد
والذي يبعد عن الرياض مسافة يوم ، قال الخطيئة في هجائه للزبرقان ^(٢) :

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه بمحتسب التقوى ولا متوكل

مقيم على بُنْبَانَ يمنع ماءه وماء وشيع ماء عطشان مرمل

وفي نوادر أبي زياد أن وشيعا ماء لبنى الزبرقان قرب اليمامة ، وهو معروف عند عامة أهل
نجد إلى هذا العهد يسمى وشيعا ، وهو منهل ترده الأعراب وهو دحرض الثاني ، وقد غلب القوم
اسم حرض على وشيع فقالوا لهما « الدحرضين » وزادوا دالا في أولهما ، وباب التعليب باب واسع
جداً ، كقولهم لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما « العمران » وقولهم للشمس والقمر « القمران » ومن
هذا الكلام يتبين أن « دحرض » هو حرض المنهل المعروف في طريق الأحساء تغير عن الاسم
الجاهلي تغيرا بسيطا ، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولها ذكر في
أشعار الجاهلية ، منها قول عنقرة ، وقد قرنها بالديلم ، والديلم : قريب من الموضعين ، وسيأتى
الكلام عليه ، وقال الأفوه الأودى وهو شاعر جاهلي مشهور :

(١) المعروف أن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة المؤنثة شينا . (٢) المعجم ٨ / ٤٢٤ .

الديلم

لنا بالدحرضين محل مجد وأحساب مؤثلة طماح
أما الديلم : فهو بلد عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى عاصمة الخرج ، ولكن
سقط من هذا الاسم حرف الياء ، فصار اسمه « الدلم » وهو بلد عظيم ، كثير المياه ، كثير العيون
الجارية ، كثير النخيل والمزارع ، تتجه إليه أكثر السيول وتمر به ، ثم تتجه إلى موضع السهي
وادی الخرج ، وهو وادی نساح الذى يسقيه ، وأما الأودية التى تصب فيه ، فقد مضى الكلام
عليها عند الكلام على قول امبيد :

* جن البدى رواسيا أقدامها *

وأتمنا القول عليه عند الكلام على معلقة عمرو بن كلثوم فى ذكر اليمامة. وقرى الخرج كثيرة
منها السيمح ، ونعجان ، والسلمية ، واليمامة ، وزميقة ، والعدار ، وفيه مواضع بعثت فى عهدنا هذا
وهى : الهياثم ، وهو بلد لآل عاصم بطن من قحطان يرأسهم ابن حشر ، والضبيعة ، وهذا الاسم
جاهلى بقى إلى هذا العهد ، قال فى معجم^(١) البلدان : هى قرية باليمامة لبني قيس بن ثعلبة ، سميت
بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم
« عجمان الرخم » يرأسهم ابن هديهد . وقال فى معجم البلدان على ذكر الخرج^(٢) : هو واد فيه
قُرَى من أرض اليمامة لبني قيس ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل ، وهو خير وادٍ باليمامة ،
أرضه أرض زرع ونخل ونبات كثير ، إذا كثرت الأمطار فى تلك الناحية أخصبت جوانبها ،
قال ذو الرمة فى شطربيت :

* بنفحة من خزأى الخرج هييجها *

وقال جرير :

آلوا عليهما يميناً لا تكلمنا من غير سوء ولا من ريبة خلّفوا
ياحبذا الخرج بين الدام والأدنى فالرمت من برقة الروحان فالعرف
وفى الخرج موضع يقال له « الغرافة »^(٣) إلى هذا العهد لا يبعد أن يكون هو المراد بالعرف
فى بيتى جرير المذكورين ، وهما من قصيدة استشهدنا ببيت منها على ذكر الحزن وهو قوله :
ساروا إليك من السهي ودونهم فيحان فالحزن فالصمان فالوكف
السهي التى ذكرها جرير فى بيته تجتمع فيها سيول تلك الناحية ، وذكروا أن امرأة من أهل

(١) انظره ٤٢٥ / ٥ (٢) انظره ٤١٧ / ٣

(٣) وهو موضع غير الموضع الحديث الذى يملكه الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير .

تلك الفواحي رأت السيول في وادي حنيقة تدنو من بيتها ، فكأنها خشيت أن تهدم بيتها ، فقالت تخاطب السيل : دَعْ بَيْتِي ، فإن كان بك شدة فإن السهبي تقابلها وتحملها ، والسهبي تبعد عن « الدلم » أقل من مسافة يوم ، وتلك الأودية التي تصب فيها ذكر أهل المعاجم والأخبار أنها كانت عامرة في الأزمنة القديمة ، ذكروا عن وادي حنيقة أن الرجل كان لا يزال يحدث الرجل ويتناقل معه الأخبار من غير ارتحال من بلد البرة إلى حَجَرِ اليمامة عاصمة تلك الناحية ، وذلك من كثرة السكان والقرى ، وأن وادي نساح الذي يصب في الخرج عامر بالمزارع من أعلاه إلى بلد الخرج ، وأن وادي برك الذي يصب فيه عامر من أعلاه إلى بلد الخرج ، ووادي حنيقة إذا سار سبيله يصب من جهة مغرب الشمس إلى جهة مطلعها ، ووادي برك يصب سبيله من مطلع القطب اليماني قاصداً مطلع القطب الشمالي حتى يصب في الخرج ، فأما وادي نساح الذي يصب في الخرج فإنه يأتي من جهة الغرب إلى جهة الشرق حتى يصب في الخرج ، وهو وادٍ عظيم قد أكثر الشعراء من ذكره ، قال عرقل بن الخطيم ^(١) :

لعمرك لآرْثَمَانُ إلى بَشاءٍ فحزم الأشيمين إلى صباح
أحبُّ إلىَّ من كنفِي بُحَارٍ وما رأت الخواطب من نساح
وحَجَرِ والمصانع حول حَجَرٍ وما هضمت عليه من النفاح

وحجر والمصانع ومنفوحة كلها واقعة في بلاد الرياض والخرج عمره الله في هذا العهد على يدى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ أوجد فيه المياه الغزيرة ، والزروع الكثيرة ، والمباني الشاهقة الحصينة ، وهناك روضة واقعة بين الخرج والسهبي يقال لها « روضة البجادية » مدّ شطراً من مياه تلك الناحية إليها ، وجرت كالنهر التيار ، وطافت بها ، وزُرعت على تلك المياه وغرست فيها الفخيل ، وهو آخذ الآن — بحول الله ومعونته — في أن يصير إلى حالة أحسن من حالته الأولى بهمة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفيه جهات يقنزهون فيها طيبة الهواء ، لأن أرضه خصبة ، ويأتيه جلالة الملك في بعض الأوقات إذا أراد تغيير الهواء يسكن في القصور التي عمرت على الطراز الحديث وأحاطت بها الجنان والحدائق .

قالت العرب عند تخطيط الكوفة : إن العرب أهل آبال وأغنام ، ولكن لا يصلح لها مسكن تسكنه إلا ما يصلح لإبلها ، وكذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تخطيط الكوفة ، فالخرج هو أصلح أرض للإبل .

والدلم الذى ذكره عنقرة هو مدينة « الدلم » الواقعة فى وادى الخرج ، وفى بلاد العرب أربعة مواضع يقال لها الخرج : خرج اليمامة ، وهو الذى ذكره ، وخرج هجين موضع بالصمان ، وقد مر ذكره عند الكلام على ذى العشيرة على قول الزبيرى :

جَعَلَنَ يَمِينًا ذَا الْعُشِيرَةِ كُلَّهُ وذات الشمال الخرج خرج هجين

والفرق بين خرج اليمامة وخرج هجين أن خرج اليمامة مفتوحة خاؤه وخرج هجين مضمومة خاؤه ، والخرج الثالث موضع قريب المدينة عما يلى النقيع ، وهو مضموم الخاء كالذى قبله ، وهو مجاور لبلاد بنى سليم ، بينه وبين جبل برام مسافة يوم ، قال كثير :

أَطْلَالُ دَارٍ مِنْ سَعَادٍ يَمْلِكُنِ وَقَفْتُ بِهَا وَخَشًا كَأَنَّ لَمْ تَدْمُنِ
إِلَى تَلَعَاتِ الْخَرْجِ غَيْرَ رَسْمِهَا هَمَامٌ هَطَالٌ مِنَ الدُّلُو مُدَجْنِ

وأنت ترى أن كثيرا قد قرن يلبن بالخرج ، وقد قرن يلبن ببرام فى كلمة أخرى ، وبرام مشهور أنه بين النقيع وبلاد بنى سليم ، وهذا قول كثير الذى ذكر فيه يلبن وبرام^(١) :

وَأَسْأَلُ سَلْمَى وَالشَّبَابَ الَّذِى مَضَى وَفَاةَ ابْنِ لَيْلَى إِذْ أَتَاكَ خَيْرُهَا
فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَإِنْ حِيلَ دُونَهُ وَحَالَ بِأَحْوَاذِ الصَّحَاصِحِ مَوْرُهَا
وَإِنْ نَظَرْتَ مِنْ دُونِهِ الْأَرْضَ وَانْبَرَى لَنَسْكَبِ رِيَّاحٍ هَبَّ فِيهَا خَيْرُهَا
حَيَاتِي مَا دَامَتْ بِشَرْقٍ يَلْبَنُ بَرَامٌ وَأُخِضْتُ لَمْ تَسِرْ صَخُورُهَا
وَقَالَ أَبُو قُطَيْبَةَ وَقَرَنَ يَلْبَنَ بِبَرَامٍ :

لَيْتَ شَعْرَى ، وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتَ أَعْلَى الْعَهْدِ يَلْبَنُ فَبَرَامِ

فالخرج الثالث الذى ذكره كثير موضع حجازى ، وأما الخرج الرابع فهو بفتح الخاء والراء ، وهو جبل أسود شرق منهل سجا ، منقاد إلى الجهة الشمالية حتى يقرب من غفيف ، ويتصل بالجبال السمر الواقعة على ماء غفيف ، تسميها عامة أهل نجد الخَرْجُ ، والجبل الأسود الذى فى طرف الخَرْجِ الجنوبي يقال له « خرجاء » وبها بئر حديثة يقال لها « خرجاء » وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه المواضع ، قال الحكم الخضرى^(٢) :

لَوْ أَنَّ الشَّمَّ مِنْ وَرَقَاءَ زَالَتْ وَجَدْتُ مُودَتِي بِكَ لَا تَزُولُ
فَقُلْ لِحَمَامَةِ الْخَرْجَاءِ سَقِيمًا لَظَلَّكَ حَيْثُ أَدْرَكَكَ الْمَقِيلُ

(١) انظر معجم البلدان ٥١٣/٨ وديوان كثير ١٠٧/٢ .

(٢) المعجم ٤١٦/٣

وقال ابن مقبل :

يذكرني حُبِّي حنيف كليهما حمام ترادى في الركن المعورا
ومال لا أبكي الديار وأهلها وقد رادها روادك وحيرا
وإن بني الفقيان أصبح سرُّهم بخرجاء عبس آما أن يُنفرا

وقد نسب ابن مقبل خرجاء لبني عبس ، وهي ليست في بلادهم ، ولكن يحتمل أن ابن مقبل حين قال هذه القصيدة رأى بني عبس متربعة قريب هذا الجبل ، وأما بلاد عبس فهي واقعة في بلاد غطفان شمالي أباين وغربي الجواء وشرقي النقرة ، وقد قال شاعر من العرب :

* ليس لعبس جبل غير قطن *

وقد أوردنا هذا الشطر على ذكر قطن ، ويحتمل أن يكون في بلاد بني عبس موضع غير هذا يقال له « الخرجاء » وأنا لا أعرفه في هذا العهد .

* * *

٥ — وقال عنتره :

أَبْقَى لَهَا طُولُ السَّفَارِ مُقَرَّمًا سَنَدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ التَّخِيمِ
بَرَكَتٌ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتٌ عَلَى قَصَبِ أَجَشِّ مَهْضَمٍ^(١)

الرَّدَاع : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد بين هَضَبَاتِ الجُثُومِ وهَضَبَاتِ المَسْكِي ، وهي هَضَبَاتِ صِغَارِ سَوْدَ يُقَالُ لَهَا « الرَّدَاع » بها ماء قليلة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، معروفة في بلاد بني عبد الله بن غطفان ، وهذا الموضع الذي ذكرنا تحديده يبعد عن الدَّحْرُضَيْنِ والديلم ، وذلك مستفاد أيضاً من كلام عنتره لأنه يقول :

شَرِبْنَا بِمَاءِ الدَّحْرُضَيْنِ وَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءُ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

ثم قال :

* بَرَكَتٌ عَلَى جَنْبِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا *

والمسافة بعيدة بين بعض تلك المناهل وبعضها الآخر ، فأما الأعشى - وهو رجل من أهل اليمامة - فإنه يقول^(٢) :

فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا إِذْ فَشَلْتُمْ وَإِنَّا بِالرَّدَاعِ لَمِنْ أَتَانَا

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروى « بَرَكَتٌ عَلَى جَنْبِ الرَّدَاعِ »

(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٤٣ .

من النعم التي كخرّاج أبلي تحش الأرض شيئا أو هجانا
فيحتمل أن يكون « الرداع » في كلامه موضعاً باليمامة ، لسكنك إذا تبصرت وجدته قد
ذكر أبلي في البيت الثاني ، وأبلي قريب من الرداع الذي ذكرنا أنه في بلاد بني عبد الله
ابن غطفان ، وقال لمبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر
أشار لمبيد بن ربيعة العامري إلى قبر شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بوادي
الرداع ، وقبره هناك ، وهو من سادات بني عامر ، وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص
ابن جعفر بن كلاب مات بملحوب ، وفي اليمن يخلاف يقال له « رداع » وهو من الخاليف النافذة
من اليمن إلى جهة نجد ، قال الصليحي اليميني يصف خيلاً :

حتى إذا جزنا رداع ألانها بلّ الجلال بماء ركض مرهيج
وذكروا أن وادي النمل في ذلك الخلاف ، وهو الوادي الذي نزل فيه القرآن الكريم
(حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون) والرداع الذي ذكره عنتره هو الرداع الواقع بين الجثوم والمكيلى شمالى
وادي الجرير الذي كانت العرب تسميه في الزمن القديم « الجريب » على بعد يوم ، وهو باق
بهذا الاسم إلى هذا العهد .

والمواضع التي تسمى الرداه - بإبدال العين هاء - كثيرة في بلاد العرب لا يحصىها الحصر .
اتهمينا من المواضع التي ذكرها عنتره في معلقته .

٧
الحارث بن حلزة الشكري

الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة الذي ينتهي نسبه إلى يشكر بن بكر بن وائل ، هلك سنة ٥٢ قبل الهجرة وهذا مطلع قصيدته وهي المعلقة السابعة :

١ - آذَنْتَنَا بَيْنَهِمَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِرُقَّةٍ شَمَاءٍ فَأَذْنِي دِيَارَهَا اخْلَصَاءُ
فَالْحَيَاةُ فَالْصَّفَاحُ فَأَعْنَا قُ فِتَاقٍ فَعَاذِبُ فَاَلْوَفَاءُ^(١)
فَرِيَاضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشَّرِّ بُبٍ فَالشَّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ
لَا أَرَى مَنْ عَهَدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْيَوْمَ دَلْهَا ، وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ؟^(٢)

برقة شماء : شماء هضبة حمراء من أخيلة الحمى ، سميت شماء لطولها ، وبرقتها مضافة إليها ، وهي واقعة بين شعر وجبل الأكيثال ، وهذا التحديد هو ما ذكره عنها ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد ، ولكنني أعرف بهذا الاسم في هذا العهد تلعة في شرقي جبل نهلان يصب سيلها في وادي الشعري يقال لها « تلعة شماء » والذي يظهر من كلامهم أن شماء هضبة لها برقة مضافة إليها ، وفي اللغة إذا كان الجبل طويلا قيل « جبل أشم » والهضبة الطويلة يقال لها « شماء » وقد ورد لهذه الهضبة ذكر في غير معلقة الحارث .

الخلصاء : موضع بالدهناء قريب حُرُوَيْ ، معروف عند أعراب تلك الناحية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال ذو الرمة ^(٣) :

وَلَمْ يَبْقَ بِالْخُلَصَاءِ مِمَّا عَفَتْ بِهِ مِنْ الرُّطْبِ إِلَّا يَبْسُهَا وَهَشِيمُهَا
وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى لَهُ :

أَشْبَهْنِ مِنْ بَقَرِ الْخُلَصَاءِ أَغْمِنَهَا وَهَنْ أَحْسَنَ مِنْ صِيرَانِهَا صُورًا

وهي معروفة بكثرة الظباء ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الحياة : هضبة شاهقة إلى السماء شرقي أبان ، جنوبي النبهانية على ضفة وادي الرمة الجنوبية باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « محيوة » أبدلت الألف واوا ، وهي معروفة في قديم

(١) يروي « فالحيا فالصفاح » ويروي « فأعلى ذى فتاق »

(٢) يروي « وما يرد البكاء ؟ » وهي بمعنى ما أثبتناه (٣) انظر معجم البلدان ٤٥٥/٣

الزمان وحديثه ، قال الراعى ^(١) :

ونسكب بن زوراً عن مُحَيَاة بعد ما بدا الأثل أثل الغينة المتجاور
قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب : قال رُوَيْشِدُ الأَسَدِي الذي جر المهاجرة بين بنى أسامة
- وهم من والبة - وعامر بن عبد الله - وهم من بنى عمرو بن قُعين - قال لسان الأسامي :
نحن بنو أسام أيسار الشَّيَاه فينا رفيع وأبو محياه
* وَعَسَسَ نعم الفتي تَبَيَّاه *

أى يأتيه لحاجته ينتجعه ، وبأبى محياة هذا سميت محياة ، وهى ماءة لأهل النبهانية ، هذا هو
آخر رواية الأصمعي عنها فى كتابه « جزيرة العرب » أما الاسم الذى يعرفه الناس فإنه يطلق على
هضبة يقال لها اليوم « محيوة » وفى أصل تلك الهضبة مياه كثيرة لا يبعد أن تجرى على ظهر الأرض
بعثها الذويبي الخربى صاحب بلد الشبيكة ، وقد عزم على غرس النخيل الكثير فيها والزروع
الوافرة لما رأى كثرة مائها .

الصفاح - فى اللغة يطلق على سفح كل جبل أو كثيب صفحته ، فصفحته : جانبه ، ويطلق
لفظ الصفحة على جانب السيف ، والموضع الذى يقال له الصفاح معروف فى حدود الجبال
المشرعة على وادى المغمس ، وهى آخرها ، يتركها قاصد مكة على شماله ، قال الفرزدق للحسين
ابن على لما لقيه فى توجهه إلى العراق ^(٢) :

لقيتُ الحُسينَ بأرض الصفاح عليه اليلامق والدرق

وقال ابن مقبل فى مرثيته لعثمان بن عفان رضى الله عنه حين قتل :

عفا بطحان من سليمى فيثرب فلقى الرجال من منى فالمُحَصَّبُ

فَعُسْفَانُ سر السر كل ثنية بعسفان يأويها مع الليل مقنَّبُ

فنعف وداع فالصفاح فمكة فليس بها إلا دماء ومحرب

ونعف وداع : موضع قريب نعمان ، والصفاح الذى ينطبق عليه هذا الاسم بهذا الوزن هو هذا
الموضع ، وفى نجد موضع يقال له الصفاح - بضم الصاد وتشديد الفاء - وأصل للصفاح : نوع من
الحجارة العريضة ، قال النابغة : * ويوقد بالصفاح نار الحباب *

أعناق فتاق - عنق كل شئ : أعلاه ، وفثق : جبل به ثنية يسلكها القاصد إلى بلد حائل

فتاق

(١) انظر معجم البلدان ٧/ ٤٠١

(٢) انظر معجم البلدان ٥/ ٣٦٦ وليس بيت الفرزدق موجوداً فى ديوانه ، وعجزه ليس تام الوزن

من القصيم ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عناه الحارث بن حلزة ، ذكر أعناق ذلك الجبل ، وفتاق باق إلى اليوم باسم «فتق» وهو قريب جداً من اسمه القديم ، قال الأعشى ^(١) :
أتانى وغور الحوش بينى وبينه كرادس من جنبى فتاق فأبلقا
وقال الراعى :

تبصر خليلي هل ترى من طعائن تحملن من جنبى فتاق فتهمد
وقال زيد الخيل الطائى فى ذكر هذا الموضع ؛ لأنه واقع فى بلاد قومه ^(٢) :

منعنا بين شرق إلى المطالى بحى ذى مكارة عنود
ترلنا بين فتق والخلاقي بحى ذى مداراة شديد
وحلت سنيس طلع الغباري وقد رغبت بنصر بنى لبديد

عاذب

عاذب : موضع فى الصّمان ، به مواضع تحتبس المياه ، وقد أكرت الشعراء من ذكره ، وهو قريب من موضع يقال له رهباء وقريب الأواعس ، وجميع هذه المواضع - عاذب ، ورهباء ، والأواعس - كلها فى الصّمان ، قال جرير فى هجائه للفرزدق ^(٣) :

وما ذات أرواق تصدّى لجوذر بحيث تلاقى عاذب فالأواعس
بأحسن منها يوم قالت : ألا ترى لمن حوّلنا فيهم غيور ونافس
ألم تر أن الله أخزى مجاشعا إذا ما أفاضت فى الحديث المجالس
فما زال معقولا عقلا عن الردى وما زال محبوسا عن المجد حابس
وواحد الأواعس : أوعس ، ومؤنثه : وعساء ، وقال ذو الرمة :

أيا ظئمة الوعساء بين جلاجل وبين النقا ، أنت أم أم سالم ؟
جلاجل : بلد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به نخل وزروع ، ذكرناه على ذكر اليمامة ، ووادى جلاجل : بين وادى سدير ووادى المشتقر الذى يصب عند بلد الجمعة .

والنقا : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو أكتبة مرتكبة فى الدهناء يقال لها النقيان .

الوفاء

الوفاء : معطوف على عاذب ، ولم أعر على موضعه بهذا الاسم ، وصاحب معجم البلدان لم يحدده ، إلا أنه قال ^(٤) : هو موضع فى شعر الحارث .

(١) انظر معجم ياقوت ٣٣٨/٦ (٢) الذى فى معجم ياقوت فى أبيات زيد الخيل « فتك » بالكاف موضع القاف (٣) المعجم ٩٢/٦ (٤) للمعجم ٤٢٨/٨

ورهي التي تقرن بهذه المواضع أكثر شعراء بني تميم من ذكرها ، قال شاعر^(١) منهم في

شطر بيت :

* على بُحْد رَهْبِي أو شَخْوص خِيَام *

والجد : يطلق على الجبل الصغير ، وقال العجاج في أرجوزته :

* تُعْطِيهِ رَهْبَاهَا إِذَا تَرَهَّبَا *

وقال جرير :

أَلَا حَيَّ رَهْبِي ثُمَّ حَيَّ الْمَطَالِيَا فَقَدْ كَانَ مَانُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذَكَّرَ أَوْ تَرَى ثَمَامًا حَوَالِي مَنْصَبِ الْخِيَمِ بِأَلِيَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ بِالْغُورِ حَاجَةٌ وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بِدَالِيَا
إِذَا مَا أَرَادَ الْحَيَّ أَنْ يَتَزَبَّلُوا وَحَنَّتْ جَمَالَ الْحَيِّ حَنْتَ جَمَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَمِيلُهُ إِلَيْنَا هَوَى ظَمِيَاءَ حُمَيْتِ وَادِيَا
نَظَرْتُ بِرَهْبِي وَالظَّعَائِنَ بِاللَّوَى فَطَارَتْ بِرَهْبِي شُعْبَةٌ مِنْ فُؤَادِيَا

وقال جواس بن القعطل الحناني :

بِرَهْبِي إِلَى رَوْضِ الْقَذَافِ إِلَى الْمَعَا إِلَى وَاحِفٍ تَزُورُهَا وَمَجَالِهَا

وقد قرن هذا الشاعر رهي بالمعا ، والمعا معروف بهذا الاسم في الصمان ، وهو دحل يمسك الماء

رياض القطا : قد اختلف أهل الأخبار والمعاجم في موضعها ، وهي الآن الرياض الواقعة في رياض القطا

ضفة الدهناء الغربية ، تصب عليها سيول العرمة ، وشمالها تصب عليه سيول مجزل ، وهي تمسك

الماء منذ الزمن القديم إلى هذا العهد . وهذه يَرُدُّهَا الْقَطَا ، فسميت « رياض القطا » روضة

التنهاء ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، جميع هذه الرياض من رياض القطا ، فأما تنهاء فهي

اسم لأكتبة منقطعة من الدهناء ، فأضيفت هذه الروضة إلى هذه الأكتبة ف قيل لها « روضة

التنهاء » وهي من منازل بني تميم ، قالت صفية^(٢) بنت خالد المازني مازن بن مالك بن عمرو بن

تميم ، وهي يومئذ بالبشر ، تتشوق إلى أهلها وبلاد قومها وهي من أشعر النساء :

نَظَرْتُ وَأَعْلَامَ مِنَ الْبَشْرِ دُونَهَا بِنَظَرَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ حُجْنِ الْخَالِبِ

سَمَا طَرَفُهُ وَازْدَادَ لِلْبَرْدِ حِدَةً وَأَمْسَى يَرُومُ الْأَمْرَ فَوْقَ الْمَرَاكِبِ

لَأَبْصُرَ وَهْنًا نَارَ تَنْهَاءٍ أَوْ قَدْتُ بِرَوْضِ الْقَطَا وَالْمُضْبِ هَضْبِ التَّنَاضِبِ

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٤٢

(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٨

ليالينا إذ نحن في الحزن جيرة بأفيح حر البقل سهل المشارب
ولم يَحْتَمِلْ إلا أباحت رماحنا حتى كل قوم أحرزوه وجانب
وهذا من أحسن الدلائل وأجودها لأنها حين قالت :

لأبصر وهنا نار تنهاة أوقدت بروض القطا والمهضب هضب التفاضب
ذكرت أن نار تنهاة أوقدت بروض القطا ، وثمة دليل آخر على صدق هذا التحديد ، وهو
قول الأعشى في معلقته :

حتى تحَمَل منه الماء تكلفة روض القطا فكثيب الغينة السهل
كثيب الغينة السهل هو الذي يسمى اليوم نفيد بنبان ، وهو كثيب الغينة ، لأن الغينة تعير
اسمها قليلا فصار « غيانة » وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مجاورة لهذا الكثيب ، بها
نخل وزروع ، وقد تقدم الكلام عليها عند ذكر اليمامة على ذكر وادي أبو قتادة .
ورياض القطا هي كما حدّدنا في أول هذه العبارة بين الدهناء والعرمة ، وقد أكثر الشعراء
من ذكرها ، قال ^(١) الخطيم الحرزي :

وهل أهبطن روض القطا غير خائف وهل أصبَحَن الدهر وَسَطَ بني صخر
وقال عمرو بن شاس الأسدي :

غشيت خليلى بين قوٍ وضارج فروض القطا رَسَمًا لأم المسيب
وقال الأخطل :

وبالمعرسانيات حلّ وأرزمت بروض القطا منه مَطَافِيلُ حُفَلٍ
وقال أعشى بنى تغلب :

عفا لَعَلَّعَ فرياض القطا فجنب الأسود من زينب
وقال الأخطل :

عفا واسط من أهله فَمَدَانِيَهُ فروض القطا صحراؤه فنصائبه

هذه أشعار شعراء مختلفين في الألفاظ على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وأوطانهم ، فمنهم من
ذكر روض القطا في الصمان ، ومنهم من يصفه بأنه واقع في طريق الحجاز ، ومنهم من ذكر أنه
بطريق الشام ، وللجمع بين هذه الروايات نعتقد أنهم كانوا يسمون كل روضة تمسك الماء في أى
ناحية من النواحي ويردها القطا بهذا الاسم ^(٢) ، فأما رياض القطا التي وضع لها هذا الاسم فهي

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٢١ (٢) وهكذا رأى ياقوت (انظر المعجم ٤ / ٣٢٢)

المشهوره عند عامة العرب وهى : روضة التنهاة ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، وجميع هذه الرياض بين العرمة والدهناء كما قلناه .

قال ياقوت فى معجمه ^(١) : أنا وجدت فى كتاب أبى جعفر محمد بن إدريس بن أبى حفصة على ذكره مناهل اليمامة قال : إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح ، ثم الخربة ، ثم قارات الحبل ، ثم بطن السلى ، ثم طار ، ثم عيان ، ثم روض القطا ، ثم العرمة ، وهذه كلها من أرض اليمامة .

وقد غلط الرواة فى تقديم رياض القطا على العرمة ، ورياض القطا كما ذكرنا بين الدهناء والعرمة وأودية الشرب ، والشعبتان ، والأبلاء : هذه المواضع الثلاثة كلها متصل بعضها ببعض ، أودية الشرب ولا تكون أودية الشرب إلا من أودية الشربة ، وهى واقعة بين الشعبتين اللتين ذكرهما الحارث ، ولا أعلم أحداً من العرب ذكر الشرب بهذا الوزن وهذا اللفظ إلا الحارث فى معلقته ، وأرطاة بن سمية حين قال :

أجليت أهل البرك من أوطانهم والخمس من شعبي وأهل الشرب
وأجأت الشاعر الضرورة حتى قال « الشرب » وليس هناك موضع مشهور عند العرب إلا الشربة ، وقد مضى الكلام عليها فى أشعار امرئ القيس على قوله :

تَخَطَّفُ خِزَانُ الشَّرْبَةِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال
وهذا البيت من قصيدة مطلعها * ألا عِمَّ صباحاً أيها الطللُ البالى *

والشربة : قد ذكرناها ، واستقصينا الكلام على ذكرها ، ولما عرض لنا هذا البيت عود إلى ذكر الشربة أحببت أن أزيد القارئ إيضاحاً :

الشربة : أسفلها عريق الدسم الواقع غربى شعبي ، وأعلاها من عدنة إلى أبلى ، أما عدنة المشهورة عند العرب بهذا الاسم فهى اليوم معروفة باسم « بدنة » وجميع هذه الأودية تصب فى وادى الجريب من شماليه ، والأودية التى تصب فى وادى الرمة من جنوبيه هى من أودية الشربة ولا يبعد أن الأودية التى ذكرها الحارث فى تلك الناحية ؛ لأنه قرنهما بأبلى والشعبيين .

أما الشعبتان فعرفتان بهذا الاسم عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، وهما واديان عظيمان تأتي سيولهما من الجهة الشمالية من جنوبى بلاد طى ، وتمرُّ ببلاد بنى أسد ، وتصب فى وادى الرمة ، وهاتان الشعبتان معروفتان لقوم من الأسلم من شمر تملكوهما من العهد القديم إلى هذا العهد

ولا يزالون ينتقلون فيهما من محل إلى محل ، وتأتيهما السيول من قريب سلمى ورمان ثم تتجه حتى تصب في وادي الرمة ، وتلك القبيلة التي تتربع فيهما وتيجول في نواحيهما يقال لهم آل البعير حتى إن فارسهم في المعارك يعتزى^(١) إليهما وهو على ظهر جواده ، فيقول : خيال الشعبين بعيرى فينسب لآل بعير قبيلته ، وهم بطن من الأسلم من شمر ، وقبيلة شمر تنقسم إلى أقسام منها قبيلتان اختصتا بالجليلين أجا وسلمى ؛ فقبيلة الأسلم اختصت بسلمى ، وقبيلة عبدة اختصت بأجا ، وهاتان القبيلتان أهل الجليلين ، والشعبتان معروفتان عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أبلى

أبلى : قد وعدنا فيما سبق أنا نذكرها عند الكلام على معلقة الحارث بن حنظلة ، وإني أعرفها كما أعرف بلادى ، وهى جبال سود متصل بعضها ببعض ، متاخمة لجبل كسب مما يلي جهة الشمالية ، وهى قريب القرى الواقعة فى شرق الحرة ، وهى : صفينة ، والسويرقية ، ومائة الجريسية واقعة فى وسط جبال أبلى ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأحببت أن أورد ما ورد فيها قال فى معجم البلدان^(٢) : وقال عرام بن أصبغ السلمى فى كتابه : تمضى من المدينة مَصْعِدًا إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له عريفطان معاليس له ماء ولا مرعى ، وحذاؤه جبال يقال لها أبلى ، هذا كلام عرام . وهو صحيح ، ولكن السالك من المدينة إلى مكة يترك أبلى على شماله ، ثم قال : أبلى فيها مياه : منها بئر معونة ، وذو ساعدة ، وذو جاحم أو حاحم ، والوسباء ، وهذه لبني سليم وهى قناة متصلة بعضها ببعض ، قال فيها الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم وآرام فاشابة فالحضر

(١) هذه عادة عامة عند أهل نجد ، بل عند العرب جميعهم ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، وجميع قبائل نجد كل قبيلة لها سمة تعرف بها فى القتال ، فعزوة مليسكنا وعشيرته فى المعارك وغيرها : خيال المعوجا وأنا ابن مقرن ، ولولا الإطالة لوضحت سمة كل قبيلة التى تعرف بها ، ولكن أحببت أن أذكر شيئاً من ذلك حتى يتضح للقارىء : من قحطان قبيلة آل روق ، وعزوتهم : مبعد مسارج البكار وأنا ابن روق ، الحنافر : خيال الرحمان وأنا ابن دراج ، آل عاطف عزوتهم : خيال سمحات الوجيه وأنا ابن عاطف ، وسمحات الوجيه فى هذه العزوة الإبل ، ومن قبيلة عتيبة المقطة قبيلة محمد بن هندی عزوتهم : خيال الرحمان كريزى ، وقبيلة النفعة ذوى زياد : خيال الحرشا زيود ، والحرشا : اسم ناقة ، والمساعيد : خيال الشرفا مسعودى ، الشرفا : اسم ناقة ، ومن قبيلة الروقة آل محيا من الحناتيش : خيال الحردا ، وأنا أخو غزوا ، غزوا : أخت للمعزى ، ومن مطير قبيلة الدوشان : خيال الرحمان وأنا ابن مدوش ، والجليلان من قبيلة مطير : خيال صبحى جبلى ، وصبحا : جبل فى عالية نجد الجنوبية .

(٢) انظره ١ / ٩٠ وفيه « عريفطان معن » .

وهل تركت أبلى سوادَ جبالها وهل زال بعدى عن قُدينته الحجر
وعن الزهري أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلاً أرض بنى سليم ، وهو يومئذ
بيئر مَعُونَة بِجُرْف أبلى ، وأبلى بين الأرحضية وقَرَّان ، كذا ضبطه أبو نعيم ، هذه رواية صاحب
معجم البلدان ، فأما الأسماء الوارد ذكرها في هذين البيتين : أروم ، وآرام ، وشابة ، والحضر ،
وأبلى ، وقنينة الحجر ، فجميعها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وأنا أعرفها ، وهذه رواية
أبي عبيد البكري في معجم ما استعجم ^(١) برمتها : أبلى هي جبال سود على طريق الآخذ
من مكة إلى المدينة على بطن نخل ، وأبلى حذاء وادٍ يقال له عريظان ، قد حدّثه في رسم « ظلم »
و بأبلى مياه كثيرة : منها بيئر معونة ، وذو ساعدة ، وذو جحاجم أو ذو حماحم ، هكذا قال السكوني ،
وحذاء أبلى في غربها قننة يقال لها الشورة لبني خُفّاف من بنى سليم ، وماؤهم آبار يزرع عليها ،
ماء عذب ، وأرض واسعة ، وكانت بها عين يقال لها النازية ، بين بنى خُفّاف وبين الأنصار
تضارّوها فسدّوها بعد أن قتل في شأنها ناس كثير ، وكانت عينا ثرة ، وطلبها السلطان مرارا
بالتنّ الجزل فأبوا عليه ، وحذاء أبلى من شريقها جبل يقال له ذو المَرَقعة ، وهو معدن بني سليم ،
تكون فيه الأروى كثيرا ، وفي أسفله من شريقه بيئر يقال لها الشقيقة ، وتلقاه عن يمينه من تلقاء
القيلة جبل يقال له أحامر ، وهذه الجبال تضرب إلى الحمرة ، وهي تنبت القزب والغصور والثام ،
وهناك رِعار والأخرب : جبلان لا يُنبقان شيئا ، قال الشاعر :

بليت ولا يبلى رِعارٌ ولا أرى بيئرَ ثُمَيْلٍ نائياً يتجدد
ولا الأخربُ الداني كأنَّ قِلاله بَحَاتٍ عليهنَّ الأجلة هُجْدُ

وقال كثير :

أحبك ما دامت بنجدٍ وشيجةٌ وما أنبت أبلى به رِعار

وقال الشماخ :

فبانت بأبلى ليلةٌ ثم ليلةٌ بحاذةٍ واجتابت نوى عن نواهما

(حاذة : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد) وتجاوز عين النازية فترد مياهها يقال لها الهدبية ،
وهي آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر ، في بقاع واسعة بين حرّتين ، تكون ثلاث فراسخ عَرَضاً
في طول ماشاء الله أن يكون ، أكثر نباتها الخض ، وهي لبني خُفّاف ، ثم تنتهي إلى الشوارقية
على ثلاثة أميال من عين النازية ، وهي قرية لبني سليم فيها منبر ، ويستعذبون الماء من وادٍ يقال

(١) انظره ١ / ٩٨ .

له سُورِق ، ووادي يقال له الأبطُن ، ماء عذبا ، ولهم مزارع واسعة ونخل كثير وفواكه جمة من الموز والتين والعنب والمان والسفرجل والخوخ ، وحدها ينتهي إلى ضرية ، وحواليها قرى منها قِيَا ، بينهما ثلاثة فراسخ ، وهي كثيرة الأهل والمزارع والنخيل ، قال الراجز :

ما أَطْيَبَ المَذْقَ بماءِ قِيَا وقد أَكَلْتُ قَبْلَهُ بَرْنِيَا

وقرية يقال لها الملحَاء ، سميت بالملحاء بطن من حيدان ، وهي في بطن وادي يقال له قُورَان يصب من الحرة ، فيه ثلاثة آبار عذاب ونخل وشجر ، وحواليها هضاب يُقال لها هضبات ذى جَر قال الشاعر * بِذِي جَرٍ أَسْقِمْتُ صَوْبَ غَوَادِي * وذو جَر : غدير بينهن كبير في بطن قُورَان ، وبأعلاه ماء يقال له لَيْث ، آبار كثيرة عذبة ليس لها مزارع لِفَلْظَ موضعها وخشونته وفوق ذلك ماء يقال له شَسَّ ، آبار كثيرة ، وفوق ذلك بئر يقال لها ذات الغار ، أغزرها ماء وأكثرها ، تسقى بواديهم ، قال ابن قُطَّاب السلمي :

لَقَدْ رُعْتُ مَوْنِي يَوْمَ ذِي الْغَارِ رَوْعَةً بأخبارِ سوءِ دُونِهِنَّ مَشِيبي
نَعَيْتُمْ قَتِي قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ عَنُوءَةً وفارسَهَا ، تَنْفُوْنَهُ لَحْيِيْب

وحذاء هذا الجبل جبل يقال له أَقْرَاح ، شامخ ، لا يفت شيئا ، كثير النور والأروى ، ثم تمضي من الملحَاء فَيَنْتَهِي إلى جبل يقال له مُعَان ، في جوفه أحساء ماء : منها حِسَى يقال له الهَدَّار ، ينفور بماء كثير ، بحذاءه حاميتان سوداوان ، في جوف إحداها مياه ملحَة يُقال لها الرُّقْدَة حواليها نخلات وآجام يستظل بها المار ، شبيهة بالقصور ، وهي لبني سُليْم ، وبازائها شُوَاحِط ، وهو مذكور في موضعه ، انتهى من معجم ما استعجم بحروفه .

وهذه الأسماء التي ورد ذكرها في رواية أبي عبيد البكري قد تغير اسم الكثير منها ، وبقيت منها أسماء لم تتغير : منها جبل أَحَامِر ، وهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد غربي أبلي ، والسوارقية : معروفة أيضا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وحاذة : معروفة أيضا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومعدن بني سليم معروف إلى هذا العهد ، وقد بُعِث في هذا العهد الحديث ، وتجد فيه اليوم العمال بآلاتهم العظيمة والمهندسين لاستخراج الذهب منه بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . فأما ما ذكره أبو عبيد البكري في قوله « وحدها ينتهي إلى ضرية » فهذا خطأ بين ، فإن بينها وبين ضرية مسافة خمسة أيام ، جميع الشَّرْبَةِ وأوديتها وما وقع من الأودية والجبال والمياه بين وادي الرمة ووادي الجريب حاذية بين ضرية وبين أبلي ، وأبلي : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهي واقعة في القطعة الشمالية الغربية من عالية نجد ، شرقيها في

الجاهلية وفي الإسلام لبني عبد الله بن غطفان ، وغربها لبني سليم ، ويعد معدن بني سليم قطعة منها ، والجبال المحيطة بها تضاف إليها ، فيقال لها : جبال أبي ، فأما أبي نفسها فهي جبال سود مقصّل بعضها ببعض يقطعها السالك في ساعتين .

* * *

٢ — قال الحارث بن حلزة :

وَبَعَيْنَيْكَ أَوْقَدْتَ هِنْدُ النَّارِ أَصِيلاً تُلَوِي بِهَا الْعَلِيَاءُ^(١)
فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازِي ، هِيَهَاتَ مِنْكَ الصَّلَاةُ^(٢)

العلياء في هذا البيت خاصة : هي أرض مرتفعة من خزازي أو من حوله ، وأما خزاز فقد مضى الكلام عليه في معلقة عمرو بن كلثوم ، وأوضحنا أن يوم خزاز المشهور عند العرب هو أول يوم هزمت فيه بنو عدنان القحطانيين ، وللحارث بن حلزة صاحب هذه المعلقة امتياز على شعراء المعلقات ؛ لأنه لم يحضر يوم خزاز من شعراء المعلقات أحد غيره ، وكانت الرأس في ذلك اليوم لربيعة على جميع العدنانيين .

وذكروا أن كليبا كان في ذلك اليوم هو الرئيس المطاع ، وهو الذي ألب بطون العرب من ربيعة ومضر ، فلما جاء النصر أذعنّت له العدنانيون ، فكان هو الرئيس المطاع ؛ فتحى بعد ذلك حى ضرية ، ومنع العرب من دخوله ، فسمى الحى بعد ما حماه « حى كليب » فزاد به العجب والتكبر على العرب ، فكان في بلاد العرب إذا نزل ماء من السماء في الحى أو في غيره انتجع إليه ، وحماه ، ونزل به ، فلما تجبر صرعه تجبره حتى أورده حمامه ، قتله ابن عمه .

وخزاز هو الجبل المعروف قريب بلد دخنة ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفه به عامة أهل نجد ، وهو يعد من أخيلة الخامر ، وإنما سميت تلك القطعة الخامر لأنها جبال متفرقة وآكام ورضم من دخلها خمر بها ، وهذه لغة عامة أهل نجد يسمون الوادي الملتف بالشجر خمراً ، وإذا دخلت الأرنب في الشجرة قالوا : أخرت ، وقال في القاموس : خَر - كفرح - توارى كأخمر ، وأخرته الأرض عني ومنى وعلى : وارته ، فسميت الخامر بهذا المعنى ، وهي قطعة من الأرض يبعد بعضها عن بعض مسافة يوم ونصف يوم ، شمالها مما يلي الرمة ، وجنوبها مما يلي وادي نفي ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروى « أوقدت هند النار أخيراً »

(٢) في رواية التبريزي « بخزاز » وذكر الأخرى

٣ - وقال الحارث بن حلزة :

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخَصَيْتُ — بِنِ بَعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ

ذكر الحارث بن حلزة أنه تنوّر تلك النار وهو في خزاز الذي ذكره ، وهو بين شخصين والعقيق ، فلا تكون النار إلا في جبال بني عبد الله بن غطفان الواقعة بين شمالى كشب والعقيق ، والعلياء - على هذا - لا تكون في خزاز ولا في نواحيه ، بل تكون في تلك الفاحية التي أوقدت النار في رأسها .

الشخصان

أما الشخصان فهضبة أصلها واحد ولها رأسان ، وكانت تسمى في الجاهلية بالشخصين ، وهى في هذا العهد تعرف بالشواخص ، ولا تزال باقية بهذا الاسم ، وهى واقعة في شمالى كشب الغربى العقيق : معروف عند عامة أهل نجد ، يصبُّ من جبال الحجاز الشرقية ، ويتجه شمالا جاعلاً جبال الحجاز وحاراه على شماله حتى يختلط بعقيق المدينة ، ومائة عشيرة المعروفة في الطريق بين مكة ونجد ومائة المحدثه ومائة تنضبة ، هذه كلها في بطن وادى العقيق في أعلاه ، في بطن ذلك الوادى إذا اتجه شمالا عيون وآبار كثيرة عذبة ، وهى بالقرب من المدينة ، وسيل ذلك الوادى يصب في وادى الحمض ، ويصبان معا في البحر ، هذا هو الذى بلغني عن الثقات ، وقد مر ذكره في كتابنا هذا ، وذكرنا المواضع التي يطلق عليها لفظ العقيق ، وقد أوضحنا ذلك إيضاحا تاما ، قال شاعر مدنى في عقيق المدينة :

العقيق

إِنِّي مَرَرْتُ عَلَى الْعَقِيقِ وَأَهْلُهُ يَشْكُونُ مِنْ مَطَرِ الرَّبِيعِ مُزُورًا
مَا ضَرَكُمْ إِنْ كَانَ جَعْفَرُ جَارِكُمْ أَنْ لَا يَكُونُ عَقِيقُكُمْ مَمْطُورًا

وجعفر هذا هو جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنه !

* * *

٤ - وقال الحارث بن حلزة :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقَّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرِو ، وَهَلْ لَدَاكَ بَقَاءُ ؟
لَا تَخْلُصْنَا عَلَى غَرَاتِكَ ، إِنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ
فَبَقَيْنَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنْمِيْنَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعَسَاءُ

اختلف أهل اللغة في هذا البيت الأخير ، واختلف الرواة : أما رواية الزوزنى ، فهى « حصون وعزة قعساء » ورواية الخطيب « جدود وعزة قعساء » وأجمع الأكترون على أن الشنائة هى

العداوة والبغضاء ، وهي لغة صحيحة ذكرها الله جل وعلا في محكم كتابه بقوله تعالى (لا يجرمنكم شنآن قومٍ) فإذا صحت رواية الخطيب فالشناءة هي البغضاء ، وإذا صحت رواية الزوزنى فالشاعر يقصد إقامته على الشنائة بلد من قرى الرسّ جاهلية بها نخيل ومزارع ، فهذا الشاعر الذى قد مضى لموته ألف وأربعمائة وتسعة عشر عاما ولم يتغير لفظه إلا بإبدال الهمزة نونا نعى أن « الشنائة » هي البلد الذى يسمى اليوم الشنائة ، وهي واقعة على ضفة وادى الرمة الجنوبية قريب الاختلاط ببلد الرس ، لا تبعد عن الرس إلا أقل من مسافة ساعة ونصف .

* * *

٥ - وقال الحارث بن حلزة :

أَيُّهَا خُطَّةُ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوْا هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبَ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْنَقْشُ يُجَشِّمُهُ النَّا سٌ وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ

ملحة : هضبة معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في شرق بيشة ، شهباء كأنها قطعة ملح ، لذلك سميت ملحّة ، وهي التي عنها الشاعر ، وهناك هضبات تُحرّ يقال لها الأميلاح لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي واقعة في شرق جبل الصاقب الجنوبي ، تبعد عن الصاقب مسافة نصف يوم ، والذي يدل على أنه غنى بملحة الهضبة الواقعة في أسفل بيشة أنه يقول :

* إن نبشتم ما بين ملحّة فالصاقب *

فهذا يدل على أنه يشير إلى المعارك وما قتل فيها من الأبطال ، وما بين ملحّة وجبل الصاقب إلا مسافة ست ليالٍ لحاملة الأثقال .

الصاقب والصاقب : هضبة حمراء شاهقة واقعة في عالية نجد الجنوبية ، ولا يوجد في بلاد العرب هضبة أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة الصاقب ، وهي واقعة في قطعة مصطحبة من الأرض كأنها منخفضة يقال لها « جفرة الصاقب » يرى تلك الجفرة قوم من الأعراب القاطنون في المياه المجاورة لتلك القطعة ، وهي ماء الممجة ، وماء الدخول ، الذى ذكره امرؤ القيس في شعره ومضى الكلام عليه ، وماء محضب ، وماء ورشة ، وهو منهل على طريق رنية ، وهو المنهل الذى يجاوره جبل حوضا الجبل المعروف والذى يجري ذكره في أشعار العرب وأخبارها ، والصاقب : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٦ — وقال الحارث بن حلزة :

هَلْ عَلمْتُمْ أَيَّامَ يُتَهَبُّ النَّاسُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءٍ
إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ سِيرًا حَتَّى نَهَاها الْحِساءَ

البحرين

البحرين : هى البلد المعروفة الواقعة فى سواحل البحر الشرقى ، ويدخل تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وهَجَرُ وجميع قراه ، كلها يطلق عليها اسم البحرين .

الحساء

فأما الحساء الذى ذكره الحارث فهو بكسر الحاء ، وهو غير الحساء الواقع فى نواحي هَجَر ، وهذا الاسم إذا فُتح حاؤه يطلق على جميع القرى الواقعة فى بلاد عبد القيس ، لأنه فى نفس البحرين ، وأما الحِساء فإنه يطلق على موضعين : أحدهما فى بلاد عبد الله بن غطفان ، يصبُّ سيّله فى وادى الرمة ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسى عليا » هلكت عنده امرأة يقال لها « علياء » فقبرت على هذا الماء ، وهو الذى يقول فيه زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءِ فَيُؤْمِنُ فَالْقَوَادِمِ فَالْحِساءَ

والثانى : واقع قريب المدينة ، وهو الذى يقول فيه عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يخاطب راحلته :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلْتِ رَحْلِي مَسَافَةً أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِساءِ

* * *

٧ — وقال الحارث بن حلزة :

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ التَّجَاءُ
لَيْسَ يَنْجِي مُوَاتِلًا مِنْ حِذَارِ رَأْسِ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجَلَاءَ

الطود والحرّة
الرجلاء

الطّود : اسم عام لكل جبل شاهق ، والحرّة الرجلاء : هى الصَّعْبَةُ المرتقى لايسلكها خيل ولا إبل ، لايسلكها ^(١) إلا الراجل ، فسميت حرّة رجلاء ، والحرّة : اسم لما غلظ من الحجارة واخشوشن ، وهى تكون سوداء المنظر ، ذكر فى معجم البلدان فى بلاد العرب ^(٢) ثلاثين حرّة كلها مضافة ، فأما الحرّة الرّجلاء التى ذكرها الحارث فهى واقعة بين المدينة والشام ، وهى الختصة بهذا الاسم ، يقال لها الحرّة ، قال الأحنس بن شهاب ^(٣) .

وكلب لها خَبْتُ فَرَمَلَةً عاج إلى الحرّة الرجلاء حين تحارب

وقال الراعى :

يا أهل مابال هذا الليل في صَمَرٍ يزداد طولاً وما يزداد من قصر
في إثرٍ من قطعت منى قرينتهُ يومَ الحَدَالِي بأسبابٍ من القدر
كأنما شقَّ قلبي يومَ فارقهـم قسمين بين أخى نجدٍ ومُنْجَدٍ
هم الأحبة أبكى اليومَ إثرهُم وكنت أطرب نحو الحيرة الشَّطْرُ
فقلت والحرّة الرّجلاء دونهُم وبطن لُجَّان لما اعتادنى ذكرى
صَلَّى على عزة الرحمن وابنتِها لَيْلَى وصَلَّى على جاراتها الأخرِ
هُنَّ الحرائر لا رَبَّاتُ أَحْمَرَةٍ سودُ المَحَاجِر لا يقرآن بالسور^(١)

ويحتمل أن الحارث بن حِلْزَةَ لم يقصد حرة بعينها ، بل قصد موضعاً وغراً لا يُرْتَقَى لقوله :

لَيْسَ يَنْجِي مَوَائِلًا مِنْ حَذَارِ رَأْسٍ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجَلَاءِ
قصد حرة صعبة المدخل لا يدخلها أحد ولو أنه قال « الحرة الرجلاء » لكان ذلك أقرب
إلى أنه يريد الموضع المعين الذى يسمى بهذا الاسم ، فلما ذكرها منكراً ووصفها بما يدل على
الوعورة قلنا : لعله يريد مطلق حرة يصعب سلوكها .

* * *

٨ - وقال الحارث بن حِلْزَةَ :

كَتَكَالَيْفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا الْمُنَى — ذِرْ ، وَهَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ ؟
إِذْ أَحَلَّ الْعَلِيَاءُ قُبَّةَ مَيْسُونِ نَ فَأَذْنَى دِيَارِهَا الْعَوَصَاءُ

العلياء : قطعة من الأرض مرتفعة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وليست بموضع معلوم

محدد ، وقول الحارث فى هذا البيت كقول زهير بن أبى سلمى :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمَلْنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرْنِمْ
فالعلياء هى الأرض المرتفعة كما لو قلت : عالية نجد .

وقبة ميسون : هى قبة بنيت لميسون ، وميسون : ابنة لبعض ملوك غسان ، قتل أباهَا عمرو قبة ميسون

(١) يروى أكثر الناس « لا ربّات أحمره » بالخاء المعجمة على أنه جمع خمار ، وهو خطأ ، فإن
الخمار عند العرب مما يلبسه النساء الحرائر دون غيرهن ، والأحمره - بالخاء المهملة - جمع حمار ،
وهو الدابة المعروفة ، وعليها تعمل الجوارى فى نقل المياه من الآبار إلى الدور ونحو ذلك ، فكأنه
قال : هن الحرائر لا الإماء العاملات على الحمر ، ولو أقيمت الخاء على إعجمائها لتناقض الكلام ؛ لأنه
يصير كأنه قال : هن الحرائر لا الحرائر ؛ إذ كان الخمار لا تلبسه إلا الحرة . وكانوا يكنون عن
الحرة بذات الخمار .

ابن هند وسباها و بنى لها عمرو بن هند قبة في ذلك الموضع فقال الحارث * فأدني ديارها العوصاء *
العوصاء : قطعة في الحدود الواقعة بين الشام والعراق ، وقد ذكرت العوصاء في أشعار
كثيرة ، قال عمرو بن قيس ^(١) :

أصابك ليلة العوصاء عمداً بَسْمُهم الليل ساعدةُ بن عمرو
ولا أعلم هل هذا الاسم باقٍ إلى هذا العهد أم تغير !

* * *

٩ — وقال الحارث بن حلزة :

فَرَدَدْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْ رُجٌّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ
وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزْنٍ تَهْلَا نَ شِلَالاً وَدُمِّيَ الْأُنْسَاءِ
وَجَبَبْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْ هَزُّ عَنْ حِجَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءِ

أما تهلان : فجبل أسود ، باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد في عالية نجد ، وقد مضى الكلام
عليه في قصيدة امرئ القيس عند الكلام على قوله :

كقيس الأطباء الأعفر انضرجت له عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ تَهْلَانِ
الطَّوِيُّ : يطلق العرب على كل برٍّ صالحة لفظ الطوى !

* * *

١٠ — وقال الحارث بن حلزة :

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جَعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ
لَمْ يُخْلُوا بَنِي رِزَاحٍ بَيْرَقًا نَطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِ دُعَاءُ

برقاء نطاع : أما نطاع فهو معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو من مياه الطف الشرقية ،
وهو بلد قديم الذكر بين الدهناء والجبيل ، لم يخل من السكان منذ العهد القديم الجاهلي إلى هذا
العهد ، قال في معجم البلدان ^(٢) على ذكر نطاع عن أبي منصور : إن نطاع على وزن قطام مائة في
بلاد بني تميم ، وقد وردتها ، وشربت إبلنا من ماء نطاع ، وهي ركية عذبة الماء غزيرته ، وكانت
به وقعة بين بني سعد بن تميم وهوذة بن علي الحنفي ، أخذت بنو تميم لطائم كسرى التي أجارها
هوذة بن علي ، الواردة من عند باذام وإلى كسرى على اليمن ، فكان بعدها يوم الصفقة ، وقد
أعرب به ربيعة بن مقرم في قوله :

وأقرب منه من حيث راحا أثال أو غمـازة أو نطاعُ
 فأوردها ولونُ الليلِ داجٍ ومالغبا وفي الفجر انصداعُ
 فصَبَّحَ من بنى جِلَّانَ صِلًا عَظِيفَتِهِ وأسمه المتعاعُ
 إذا لم تخزن لِبَنِيكَ لِحما غريضا من هَوَادِي الوحشِ جاعوا
 وقال أيضا في المعجم^(١): قال الحفصى: نطاع، بكسر النون: واد ونخيل لبني مالك بن سعد
 بين البحرين والبصرة .
 وأنا أقول: قد أصاب الحفصى في هذا التحديد، وهذا التحديد ينطبق على نطاع الذى نعرفه
 اليوم بهذا الاسم .

* * *

١١ — وقال الحارث بن حِلْزَة :
 ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلَّاقِ لَا رَأْفَةً وَلَا إِبْقَاءَ
 وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءَ
 الحياران : لم أجد لهما ذكرا في أخبار العرب وأشعارهم ، ويظهر لى من كلام الحارث أن به
 يوما من أيام العرب ، وأعرف موضعا واحدا يقال له الحيار حيار بنى القعقاع صقع من بركة
 قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خُلَيْد ، بينه وبين حَلَبَ يومان ، وقال المتنبي
 فى مدح سيف الدولة :
 وَكَنتَ السَّيْفُ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ
 فَأَمْسَتْ بِالْبَيْدَةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ
 وأما المواضع التى بالواو بعد الحاء — كالحوار ، والحوير ، والحوارة — فهى كثيرة فى بلاد العرب
 انتهىنا من معلقة الحارث بن حِلْزَة الشكرى ، وما ورد فيها من ذكر المواضع فى بلاد
 العرب وغيرها .

(١) انظره أيضاً فى ٢٩٦/٨ .

(٢) انظرها فى المعجم ٣ / ٣٧٥ ، وفى ديوان المتنبي ٢ / ١٠٢ بشرح العكبرى وانظر ثانيهما

وحده فى المعجم ٢ / ٩١

٨
الأعشى ميمون بن قيس

الأعشى ميمون بن قيس

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ، ينتهي نسبه إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، توفي سنة ٧ للهجرة في بلده منفوحة .

وللأعشى أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشهورة ، وقد أحببت أن أذكرها في كتابنا هذا ، لما فيها من مدح الرسول والحث على مكارم الأخلاق الشرعية ، وها هي ذى :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدًا	وبت كما بات السليم مسهدًا
وما ذاك من عشق النساء ، وإنما	تناسيت قبل اليوم خلّة مهّدًا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائن	إذا صلحت كفاه عاد فأفسدًا
كهولا وشبانًا فقدت وثرة	فلله هذا العيش كيف تردّدًا
وما زلت أبغى المال مذ أنا ناشئ	وليدًا وكهلا حين شئت وأمرّدًا
وأبتذل العيس المراقيل تفتلى	مسافة ما بين النجير فصرخدا ^(١)
ألا أيهذا السائل أين يمت	فإن لها في أهل يثرب موعدًا
فإن تسألني عني فيارب سائل	حقّي عن الأعشى به حيث أوردًا
أجدت برجليها الفجاء وجاوزت	يذاها خفافا ليما غير أجردًا
وفيهما إذا ما هجرت عجرفيّة	إذا خلت حرّباء الظهيرة أصيدًا
وأما إذا ما أدلجت فترى لها	رقيبين جدّيّا ما يغيب وفرقدًا
فأليت لا أرى لها من كلاله	ولا من حقّي حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم	ترأّحى وتلقى من فواضله ندى
نبي يرى مالا ترون وذكره	أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له نافلة ما تُغيب ونائل	وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد	نبي الإله حيث أوصى وأشهدا

(١) يروى « وأبتذل العيس المراقيل تغتدى » والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد الابل ، والمراقيل : جمع مرقال ، وهو السريع السير .

إذا أنت لم تَرَحَلْ بَرَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قِيمَتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ قَدْ تَزُودَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمَثَلِهِ وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا
وإياك والميمتات لا تقر بنهسا وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمَا حَدِيدًا لِيَفْصِدَا
وذا النُّصَبِ المعبود لا تَنْسُكَنَّه وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا
ولا تقر بنَّ جَارَةً كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا؛ فَانْكَحْنِ أَوْ تَأْبَدَا
وذا الرحم القربى فلا تَقْطَعْهُ لِفَاقِيهِ وَأَصْدُقْ وَفَكَّ الْمُقْيِدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْفَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا
ولا تَبْتَئِسْ مِنْ سَائِلِ ذِي ضَرُورَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُحْلِدَا

قال ابن هشام: فبلغ خبره قريشاً، فرصدوه على الطريق، قالوا: هذا صَفَاجَةُ العرب مَامَدَحَ أحداً إلا رفع من قدره، فلما ورد عليهم قالوا: أين تريد أبا بصير؟ قال: أريد صاحبكم لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خِلَالٍ، وكَلَّهَا بك رافق! قال: وما هن؟ قال له أبو سفيان: الزنا، قال: لقد تركني وتركته، وماذا؟ قال: القمار، قال: لعلني إن لقيته أُصِبتُ منه عوضاً من القمار، وماذا؟ قال: الربا، قال: ما دَنْتُ قَطُّ وَلَا ادَّانْتُ، وماذا؟ قال: الخمر، قال: أوه، أَرْجِعْ إلى صُبَابَةٍ قد بقيت لي بالمهراس فأشربها، فقال أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ نحن وهو الآن في هُدْنَةٍ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنَةً هَذِهِ، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت أخذت خَلْفًا، وإن ظهر علينا أنيتهم، قال: ما أكره ذلك، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى، والله لئن أنى محمدًا واتبعته لِيُضْرِمَ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا، فأخذها، وانطلق إلى بلاده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.

هذا من أخبار الأعشى، وسنبتديء في معلقته.

وهذه القصيدة ورد فيها موضعان: النَجِير، وصرخد:

أما النَجِير: فهو قَصْرٌ في اليمن لكندة، وهو الذي تحصن فيه الأشعث بن قيس الكندي النجير حين حاصره جيش أبي بكر رضي الله عنه!

صرخد

وصرخد: قرية في الشام تنسب إليها الحجر الصرخدية.

والذي بين النجير وصرخد هي جزيرة العرب كلها.

أما معلقته فهذا مطلعها، وسنأتي على المواضع الواردة فيها.

١ - وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
غَرَاءُ فَرَعَاءَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
إلى أن قال :

إِذَا تَقَوْمٌ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصُورَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أُرْدَانِهَا شِعْلُ
مَارَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَظْلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسُ مِنْهَا نَشْرُ رَاحِجَةٍ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَمِلٌ^(١)
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَاحِجَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذَا بَدَا الْأَصْلُ

الحزن : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، واستشهدنا عليه بجميع ماورد فيه ، وقد أوردنا عليه بيت جرير وهو الذي ينطبق على هذا الموضع لأنه في طريق الخارج من اليمامة إلى الشام ، قال جرير في عبد الملك بن مروان أو ابنه :

سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ الشَّهْبِ وَدُونَهُمْ فَيَحْضُرُ فَالْحَزْنُ فَالْصَّامَانُ فَالْوَكْفُ
وهذا أحسن دليل ، وهو يقال له اليوم « الحزل » .

* *

٢ - وقال الأعشى :

بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضًا قَدْ بَتَّ أَرْقَبُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شَعْلُ
إلى أن قال :

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ ثَمَلُوا شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ
قَالُوا نُمَارٌ فَبَطْنُ الْخَالِ جَادَهَا فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَلَا بِلَاهُ فَالْرَجَّالُ
فَالسَّقْحُ يَجْرِي فَخَزِيرٌ فَبَرْقَتُهُ حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرَّبُّوُ فَالْحَبْلُ
حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَسْكَفَةً رَوْضُ الْقَطَا فَكُتِبَ الْغَيْمَةُ السَّهْلُ
يَسْقَى دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا زُورًا تَجَانَفُ عَنْهَا الْقُودُ وَالرَّسْلُ

دُرْنَا : ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تباع فيها الخمر في الجاهلية ، وكثرت الأقوال في هذا الموضع ، وثبت أنها في اليمامة كلام الأعشى عنها ، ومنه هذا البيت ، ومنه قوله :

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُوا لِي وَحَلَّتْ عَلَيَّ غُلُوبَةُ السَّخَالِ

(١) في رواية التبريزي « يضحك الشمس منها كوكب شرق » وكوكب كل شيء : معظمه ، والمراد به هنا الزهر ، وشرق : أي ريان ممتلئ .

دُرْنَا

السَّخَال : هضبات في شمالي كُشْب باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهضبات في طرف الهضب الجنوبي .

ومنها قوله وهو من أقوى الدلائل على أنها باليمامة ، وهو يخاطب فيه عبد القيس القاطنين في هجر ونواحيه^(١) :

فإن تَمَنُّعُوا مِنَّا المشقر والصفَا فَإِنَّا وَجَدْنَا انْخَطَ جَمَا نَحْمِلُهَا
وإن لنا دُرْنَا فكلَّ عَشِيَّةٍ يحط إلينا خَمْرُهَا وَخَمِلُهَا
وثمّة موضع آخر يقال له دُرْنَا ، وهو أول قرية من قُرَى العراق مما يلي الحيرة كانت تباع فيها الخمر أيضا ، قال عميرة بن طارق اليربوعي^(١) .

ألا أبلغًا أبا حمار رسالةً وخبرّه أني عنكما غير غافل
رسالةً من لوطاوعوه لأصبحوا كساة نساوى بين دُرْنَا وبابل
فهذا يدل على أن هناك قرية يقال لها درنا في جهة العراق ، لأنه قرنها ببابل ، وقال مالك بن نويرة اليربوعي^(٢) :

فما شُكِرَ مَنْ أَدَّى إِلَيْكُمْ نَسَاءَكُمْ من القوم قد يَمْنَنَ دُرْنَا وبارقا
وقد قرن مالك بن نويرة في بيته درنا وبارقا ، وبارق معلوم بهذا الاسم أنه في نواحي العراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة ، وقد أكثر الشعراء في ذكر بارق ، قال الأسود بن يعفر^(٣) :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سِنْدَادٍ
وقال المنبجي^(٣) :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عواليها ومجرى السوابق
وهذه الشواهد واردة في بارق العراق ، وهناك موضع آخر يقال له بارق في تهامة ، بين البحر والسرّة شرقي القنفذة ، وهو الذي يقول فيه فراس بن غنم المنتهي نسبه إلى كفانه بن خزيمه^(٣) :

أقمنا على قيس عَشِيَّةً بارق يبيض حديثا الصقّال بواتك
ضربناهم حتى تَوَلَّوْا وخليت منازل حيزت يوم ذاك لمالك

فأما درنا فقد ذكرنا أنها في اليمامة ، وفي العراق ، وأوردنا الشواهد الواردة في ذكر الموضعين

وأنا لا أعرفها اليوم في اليمامة بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان عن الخفصى ، ورواياته عن مواضع اليمامة هي أصح الروايات ، لأنه من أهلها : درنا نُخَيْلات لبني قيس بن ثعلبة ، بها قبر الأعشى ، وذكر الهمداني أن أثافَتِ التي في اليمن كان يقال لها في الجاهلية درنا ، وقد ذكر في أثافَتِ ، ومنه قول آخر :

أثْن طَحَنَتْ دُرْنِيَةً لِعِيَالِهَا تَطْبَطَبُ نَدْيَاهَا فُطَارَ طَحِينُهَا

نمار : وادٍ يشقُّ جبلَ العارض يأتي سيمله من جهة الغرب ، ويصب في وادي حنيفة ، وهو من أودية العارض المشهورة في طرف حَجَرِ اليمامة ، وله ذكر كثير في أشعار العرب ، والمواضع المشهورة بهذا الاسم كثيرة : منها ما هو في بلاد هذيل ، قال البرقيُّ الهذلي يخاطب تَابِطَ شِرا^(١) : رميتُ بثابتٍ من ذى نَمَارٍ وأردف صاحِبَيْنِ له سِوَاهُ^(٢)

وفي هذا الجبل الواقع في بلاد هُذَيْل قَتِيلُ تَابِطَ شِرا ، فقالت أمه ترضيه :

فَتَى فَهَمَّ جَمِيعًا غَادِرُوهُ مُقِمًا بِالْحَرِيطَةِ مِنْ نَمَارٍ

ومن روايات معجم البلدان^(٣) عن الخفصى قال : نمار وادٍ لبني جُشَمِ بن الحارث ، وبنمار عارضٌ يقال له المكروعة ، وأنشد :

وما ملك بأغزَرِ منك سَيْبًا ولا وادٍ بأنزَرَهُ مِنْ نَمَارٍ

حللت به فأشرق جانباه وعاد الليلُ فيه كالنَّهَارِ

ونمار مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب على بلد الرياض ، يشقُّ جبلَ العارض من غربيه إلى شرقيه حتى يصب في وادي حنيفة .

الخال : جبل على ماءة الدفينة في جنوبها الغربي ، إذا كنت على ماء الدفينة فهو غربي مطلع سهيل أو مطلع عليه سهيل ، وهو معروف منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال الشاعر :

أهاجك بالخالِ الحمولُ الدوافعُ فأنت لمهواها من الأرض نازع

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد تعرفه عامة أهل نجد ، والساك من مكة إلى الرياض إذا نظر وهو في وادي الدفينة على يمينه رآه قريباً منه .

العسجدية : قالوا إنه سوق يكون فيه العَسْجَدُ ، قال في معجم البلدان عن الخفصى^(٤) : العسجدية التي عندها الأعشى بقوله هي ماء لبني سعد ، وأنا أظن أن الذي عنده الأعشى جبالٌ

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٣١٥ (٢) ثابت : اسم تَابِطَ شِرا ، وتَابِطَ شِرا : لقبه

(٣) انظره ٨ / ٣١٦ (٤) انظر معجم البلدان ٦ / ١٧٢

نمار

الخال

العسجدية

بكش يقال لها اليوم العسلجية ، واحدها عسلج ، وكان واحدها في الجاهلية يسمى عسجدا ، قال رزاح بن ربيعة العذري :

فلما مررن على عَسْجَدٍ وأسهن من مستفناخ سبيلا
ومما يدل على أن العسلجيات التي في كشب هي العسجدية التي ذكرها الأعشى أنك تجده قرنها
بالخال وجبال الأبلاء ، والعسلجيات اليوم واقعة بينهما ، قال شاعر حديث يقال له فخلد القشامي
من قصيدة له نبطية :

لى صاحب فى سد هاك المراقيب عسلج وضع هدان وأكباد وأنياب
الأبلاء : قد مضى الكلام عليها وذكرنا ما يتعلق بها فى معلقة الحارث بن حِزَزة عند قوله :
فرياض القَطَا فأودية الشر بب فالشعبقان فالأبلاء

أما الرجل : فهى كثيرة فى بلاد العرب ، وأشهرها رجلتا وادى الرمة : إحداها تصب فى
شماليه ، والأخرى تصب فى جنوبيه قريب أبانين ، ورجلتا وادى الرشا : إحداها تصب من
الأسودة مما يلي كويكب ، ويقال لتلك الرجل رجلة كويكب ، والأخرى تصب مما يلي جبل أبى
دخن الذى يقطعه طريق مكة إلى الرياض قسمين ، وهو جبل أسود متصل به جبال سود
متصل بعضها ببعض ليست بالكثيرة ، ويقال لتلك الرجل رجلة أبى دخن ، ووادى الرمادية يعد
رجلتيه ؛ لأن أعلاه ينقسم قسمين ، والرجل كثيرة فى بلاد العرب ، قال المثقب العبدى :

مررن على شراف فذات رجل ونكبن الذرانج باليمن
وشراف : موضع فى شرق نجد ، يعنى بهذه الرجل إحدى رجلتي وادى الرشا .

السفح : موضع يذكر فى مواضع اليمامة ، وهو فى الأصل : اسم عام لسفح كل جبل يسفح
معه الماء ، وأما السفح الذى فى اليمامة فيقال له « سفح أكلب » وقد ذكر فى أخبار طسم
وجديس ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد .

خنزير وبرقيته : خنزير جبل معروف متاخم لماء الصخرة^(١) المعروفة فى عالية نجد ، وهو
معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفه جميع أهل نجد ، منظره بين الحمرة والسواد ليس بالرفيع
يقع جنوبى ماء الصخرة ، على مسافة أقل من نصف يوم ، وبلغنى أن باليمامة موضعا يقال له

(١) عند هذه الماء كشيء مرتكف يقال له الحنان ، وقد سألت البوادر والحضر عن هذا الاسم
فقالوا : إن له حديثاً كنين الإبل ليلاً ونهاراً ، فقلت : ما السبب ؟ قالوا : إنه رمال يتهائل ، لا عسك
بعضه بعضاً ، ويكون له أصوات ، فسمى الحنان ، ولهذا الكشيء ذكر فى معجم البلدان ما أحببت أن
أورده لأنه ذكر عنه شيئاً لا يتصوره العقل .

«أنف خنزير^(١)» واقع بين خشم العان والسلى فيه أبارق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .
والحبل هي الأكتبة ، كل كتيب يقال له الحبل عند عامة العرب .

الحبل

روض القطا : قد أطلقنا الكلام عليه في معلقة الحارث ، واستشهدنا بهذا البيت ، وذكرنا رياض القطا ، وأن منها روضة القنهاء ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، واستدلنا بدلائل واضحة على تلك المواضع : منها ما ورد في قصيدة صفية بنت خالد المازنية حين قالت :

لأبصر وهنًا نار تنهاة أوقدت بروض القطا والهضب هضب القناضب
وليس نمة دليل أوضح من هذا .

كتيب الغينة

كتيب الغينة : هو نفيد بنبان ، والغينة هي بلد غيانة الواقعة في أسفل وادي أبي قتادة ، والكتيب غالباً يطلق على كل ما تراكم وارتفع من الرمال ، ولا يختص فيكون موضعاً بعينه ، ونمة موضع يقال له «كتاب» في أعلى نجد ، قال الحصين بن عمرو الأحسى :

ألا هل أتى أهل العراق وبيشة ومن حل أكناف الكتاب وتنضبا
بأنا كفيها يوم سارت بجمعها سليم إلينا ثم من قد تعيها

* * *

٣ - وقال الأعشى :

كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا تُقَاتِلُكُمْ إِنَّا لَأَمْثَالُكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْخَنُوصَا حِيَّة جَنَّبِي قُطَيْمَةً لَا مِيلَ وَلَا عَزْلُ
قَالُوا الطَّعَانُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُهُ نُزْلُ

الخنو

الخنو : به يومان من أيام العرب ، وهذا اللفظ يطلق على موضعين : أحدهما خنو قراقر ، والآخر خنو ذى قار . والخنو الذي يفتخر به الأعشى ويذكره في قصائده خنو ذى قار ، وهو يوم عظيم هزم فيه العربُ الفرس ، وهو لربيعه خاصة من دون العرب ، وكانت الرياسة في ذلك اليوم لبني شيمان ، وفي هذا اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أول يوم انتصرت فيه العربُ على العجم ، وبني نصرنا » قال الأعشى في ذلك اليوم في قصيدة له^(٢) :

فَدَى لَبْنَى ذُهْلَ بْنَ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ ، وَقَلَّتِ
كَفُّوا إِذْ أَتَى الْهَامِرُزُ تَخْفِقُ فَوْقَهُ كَظَلِ الْعَقَابِ إِذْ هَوَتْ وَتَدَلَّتِ
أَذَاقَهُمْ كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذَخْتَ فِرْسَانَهُمْ وَأَذَلَّتِ

(١) قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» : إن باليامة جبلا يقال له خنزير يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، وفي طرفه الشمالي ماء يقال له «هيت» وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٥٢ وفيه أن خنو قراقر وخنو ذى قار واحد .

فصبتهم بالحنوِ حنوِ قراقر وذى قارها منها الجنود فعلت
على كل محبوبك السراة كأنه عَقَاب سرت من مرقب إذ تدلت
نجادت على الهامرز وسط يموتهم شَائِبُ موتٍ أسبلت فاستهلَّت
تناهت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم فوارسُ من شَيْبان غُلِبْ فولَّت
وذو قار موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد بين العراق وحدود الشام التي تلى العراق .
انتهت معلقة الأعشى ، وألفاظها عذبة ، ومعانيها واضحة ، وهو من أشعر أهل زمانه .
قال صاحب الأغاني : أخبرني أبو حسن الأسدي قال : حدثنا علي بن سليمان النوفلي ، قال :
أتيت اليمامة فمررت بمنفوحة التي يقول فيها الأعشى : * بسفح منفوحة فالحاجر *
فقلت : هذه قرية الأعشى ؟ قالوا : نعم ، قلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك ، وأشاروا إليه ،
قلت : وأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته .

والشطر المذكور من قصيدته التي أولها :

شاقك من قيلة أوطانها بالشط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد فقاع منفوحة فالحائر
وجميع هذه الأمكنة التي ذكرها في هذين البيتين باقية .

أما منفوحة فهي باقية إلى هذا اليوم بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان : على شط اليمامة
منفوحة قرية في حَجَر اليمامة قبلتها بين الوتر والعرض قد اكتنفها حَجَر اليمامة ، ويظهر لى من هذا
التحديد أن هذه القرية لا تبعد عن موضع الشمسية اليوم ، وشط الوتر : باليمامة ، كان ينزله عبيد
ابن ثعلبة ، وهو حصن عتيق من بناء جدس تحصن فيه عبيد بن ثعلبة حين خط حَجَرًا .

وقال أيضا عن الحفصى : شط فيروز فيه نخيل ومحارث لبني العنبر باليمامة ، والمواقع المسماة
بشط كثيرة في بلاد العرب وغيرها ، ولا أعلم أهذا الاسم باقٍ في اليمامة أم تغير .

والوتر : وادٍ من أودية اليمامة يصب في وادي حنيفة ، يأتي سيله من جهة القطب الشمالى ،
وهو معروف عند أهل الرياض اليوم باسم أبى رفيع ، أو وادى البطحاء ، أحد الواديين هو الوتر ،
قال الحفصى في رواياته عن اليمامة : ووتر نخيلات من نواحي اليمامة ، وأنشد :

يدودها عن زُغَرِيٍّ بوتر صفائح الهند وفتيان غير

والمواقع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة جداً ، منها ماهو مشى ، ومنها ماهو على فعيل كقتيل
وجريح ؛ فالوتران - بالتثنية - موضع في بلاد هُذَيل ، قال أبو جندب ^(١) الهذلى :

(١) انظر شواهد هذا والذي بعده في معجم البلدان ٨ / ٣٩٨

فلا والله أقربُ بطنِ ضيمٍ ولا الوترَينِ ما نطقَ الحنَّامُ
رأيتهما إذا خلصا أكبَّاً على البيْتِ الجاورِ والحرامِ
وقال أبو بلينة الباهلي :

جلبناهم على الوترَينِ شداً على أسيانهم وشلَّ غزير
قصده في هذا البيت أنهم بالوا على أنفسهم ، والوتر : ماءُ خُزاعةٍ في أسفل مكة ، قال عمرو
ابن سالم الخزاعي يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ربُّ إِنِّي ناشدُ محمدًا حلفَ أبيه وأبيننا الأندلا
فانصر هَذَاكَ اللهَ نصرًا أَعْتَدَا إن قريشا أَخْلَفُواكَ الموعدا
ونَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكدا وزَعَمُوا أَن لست أدعو أحدا
وهم أَذِلُّ وأَقْلُّ عددا هم يَبْتَئُونَا بالوترِ هجدا
* وقيلونا ركعًا وسجدا *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشاً عام الحُدَيْبِيَّةِ أدخل خُزاعةً في حلفه ،
ودخلت كِفانةً في حلف قريش ، فبغت كِفانةً على خُزاعة ، وساعدتها قريش ، وكان ذلك سبب
نقض الصلح وفتح مكة ، وكانت الواقعة بين كِفانة وخُزاعة سنة سبع من الهجرة ، فقال بُدَيْل بن
عبد مناة :

تعاقد قوم يفخرون ولم تدع لهم سيديا يندوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم تجيزُ الوترِ خائفاً غير آبل
وقال أبو سهْم الهذلي :

ولم يدعوا بين عرض الوترِ وبين المناقب إلا الذنابا
وقالوا في تفسيره : الوتر ما بين عرفة إلى أدام ، وأدام : موضع معروف بتهامة اليوم ، وقال
أهبان بن لَعَط بن عُروَة بن صخر بن يعمر بن نفاعة بن عدى بن الدئل ، من كِفانة :
ألا أبلغ لديك بني قريْمٍ مُغْلَغلةً يَجِيءُ بها الخبيْرُ
فَرُدُّوه الموالى ثم حلُّوا مرابَعكم إذا مُطر الوترُ

مارد والحائر أما مارد فله ذكر في أشعار الأعشى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وأما الحائر
فهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد بين مَفْوَحَة وبلد الخَرْج ، عامر فيه نخيل وسكان ، يمر به
السالك من الخرج إلى ضَرْمَى . والحاجر الذي ذكر في هذه الأبيات في اليمامة ، ولست أعرفه
بهذا الاسم اليوم انتهى من معلقة الأعشى ميمون بن قيس .

تم الجزء الأول ، ويبدأ الجزء الثاني بالكلام على المواضع التي في شعر النابغة الذبياني

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334279

893.79

B219

v. 1

BOUND

SEP 19 1957

